

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي الجامعة الزيتونية



جمادى الثانية ١٣٧١

مارس ١٩٥٢

الجزء الاول

المجلد الثامن

فهرس القد

الجزء الاول من المجلد الثامه

صاحبه	المقال	صحيفة
الشيخ محمد المختار بن محمود	مقدمة المجاد	١
	(تفسير آية)	
الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور	ادع الى سبيل ربك بالحكمة	٣
	(الحديث الشريف)	
المنعم الشيخ محمد ابن القاضي	الحنيد من الغضب والفواحش	٩
	(الفتاوي والاحكام)	
شيخ الاسلام الشيخ محمد عبد العزيز جعيط	معالجة المريض بنقل الدم اليه	١٢
الشيخ محمد الهادي ابن القاضي	التشريع الاسلامي	١٧
الاستاذ الشاذلي خزنة دار	الايمان والاسلام	٢٠
المنعم امير الامراء على عبد الوهاب	الحق يملو	٢١
العلامة البحر الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور	نسخة فريدة من كتاب مجهول	٢٣
العلامة التحرير الشيخ محمد المنستيري	لغويات	٣٠
محمد الشاذلي ابن القاضي	الامام سعيد بن المسيب	٣٤
	(التاريخ)	
العلامة المؤرخ الاستاذ عثمان الكماك	المعاهد الدينية في القطر الليبي	٣٦
الاستاذ الامام	تمة تفسير آية ادع الى سبيل ربك	٤١
	الادب	
العلامة الدكتور الاستاذ الطاهر الخيري	ابو حبان النوحيدي	٤٢
امير شعراء الخضراء الشاذلي خزنة دار	الطليبة (شعر)	٤٦
.....	القضية التونسية	٤٧
شيخ الادباء الشيخ العربي الكبادي	نحية (شعر)	٤٨

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي الجامعة الزيتونية



المجلد الثامن جمادى الأولى ١٣٧١

بفري ١٩٥٢

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

فائحة الهدى

إيّاك اللهم وبحمدك والصلاة والسلام على من اصطفيه من
خير خلقك ونشكرك على ما هيئت من رحمة شاملة وجامعة سارفة
وندت نعمة لارشاد الخلق لما فيه الفلاح والهمتهم الصبر ليجدوا في
الكفاح وامرت المؤمنين بالوحدة وبذ الخلاف ونقمت على المكابرين
وحبيت اليهم المودة والائلاف وقلت في محكم الآيات : وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله

وبعد فهذه المجلة الزيتونية تعود الى قرائها بعد احتجاب دام
سنتين عدة فرضته شواغل القاهرة وظروف ليس في الوسع تذليل صعاها
كنا نتحضر المرة لموا الاخرى لاصدارها فتقعد بنا تلك الاحوال عن
متابعة السير وقد شددنا العزم في هذه المرة على متابعة خطانا السالفة
فتوكلنا على الله تعالى في السير بها على اقوم السبل رائدنا نصرة الحق
والدعوة لسبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ونجادل عن الحق بالتي هي
احسن ونسعى لنشر الآراء الصحيحة بين الناس ونزيف ما علق بيمض
النفوس من الاخطاء وما ظن انه من الدين والدين منه براء مجدين
في نشر التعاليم الصحيحة والاخلاق الفاضلة غير واجلين ولا مترددين
عاملين على تنقية المجتمع من ادران الفساد كاشفين الحقيقة ناصعة للعيان
حتى يزول اللبس عن المغرورين وينبلج الصبح لادي عتقين .

القرآن الكريم

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالنُّعْوَظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَا دِلَّهُمْ بِالنِّبَاتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَدِينَ)

بقلم : الامام المحقق المولى محمد الطاهر ابن عاشور

هذه الآية وارده مورد البيان لمعنى التي قبلها وهي قواه تعالى :
(ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)
لان اتباع ملة ابراهيم يكون بالعمل والقول ، فالعمل هو اقتداء الرسول بما في
خاصة نفسه والقول ندائه الناس اليها كما هو مقتضى الرسالة ولان ابراهيم دعا الناس الى
نبذ الشرك وحاج قومه فيه واذن في الناس بالحج . فلا جرم اشتمل اتباع ملة ابراهيم
على حالين احدهما الدعوة الى الله وهو غرض الآية ..
فكانت الجملة المقتضية لها وهي جملة ادع الى سبيل ربك بالحكمة الى اخرها
منزلة منزلة بدل الاشتمال من جملة ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم ولذلك فُضت
عنها ولم تعط عليها لوقوعها موقع مفرد يستتبع اقترانه بالعطف .
ومخاطبة الرسول عليه السلام بصيغة الامر بالدعوة الى سبيل ربه في حين هو داع الى
الله من قول دليل على ان صيغة الامر مستعملة في طلب الاستمرار على الدعوة لا يصد
عنها شيء على حد قواه تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله . ذلك ان المشركين

لم يغادروا شيئاً من شأنه تثبيط النبي صلى الله عليه وسلم عن معاودة دعوتهم الى الايمان الا اتوا به من تكذيب وسخرية وتهديد واختلاق وبهتان كما حكيت احوالهم في تضاعيف القران وفي هذه السورة من قوله تعالى «ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر» يظنون ان ذلك كله يحجم النبي عن دعوتهم لانهم يجهلهم يحملونهم وازين النفوس العالية على مقياس موازين نفوسهم وقد كفروا بان الرسول مضطلع بالحق الذي ارسله به ربه حتى يبلغ رسالته فلذلك ظنوا ما ياتون به من الحزبيلات مشبهاً له . وسبيل الله مجاز لكل عمل من شأنه ان ينال به عامله رضى الله تعالى فان الشيء الذي هو سبب لنسب الوال رضى الله اشبه الطريق الموصل الى المرغوب في انه يعقبه نواله واستعير اسم السبيل للسبب وإضافته الى اسم الجلالة باعتبار ان الله نبه عليه وامر بالتزامه وفي هذه الاضافة تجريد للاستعارة وبذلك صار علماً بالغلبة على كل من دين الاسلام كما في قوله تعالى :

(ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله)

وعلى القتال لتأييد الاسلام كما في قوله تعالى :

(وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله)

والمراد هنا هو الاسلام بقرينة المقام واقله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين .

والمقصود من امر الرسول باستمراره على الدعوة الى الدين الاسلامي تثبيته على ذلك وان لا يؤثسه من اهتداء المشركين ما يراه من افانين بهتانهم واختلاقهم واذاهم للمسلمين وتصلبهم في الشرك .

وحذف مفعول ادع اما لقصد التعميم لان دعوة الاسلام عامة لكل احد فشمل دعوته المشركين الذين هم المقصود الاول من المقام . واما لان الفعل قد نزل منزلة اللازم اي ليكن منك الاستمرار على الدعوة الممهودة لان المقصود الدوام على الدعوة لا تعيين المدعويين لان ذلك امر معلوم من حال الدعوة . واما لان المفعول معلوم بقرينة قوله وجادلهم . والباء في قوله بالحكمة الملازمة اي لتكن دعوتك ملازمة للحكمة والموعظة كما قالوا في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين اي اعزست ملاسماً للرفاء والبنين ومعنى الملازمة يقتضى ان لا تخلو الدعوة عن هاتين . فالحكمة : المعرفة المحكمة اي المتقنة اي الصائبة النافعة فلا تطلق الحكمة الا على المعارف الحقة التي لا يتطرقها الخطأ ،

والمذلك عرفت الحكمة بانها معرفة حقائق الاشياء على ما هي عليه مما تبلغه الطاقة البشرية بحيث لا تلبس الحقائق المشابهة بعضها مع بعض ولا تغلط في العلل والاسباب وهي اسم جامع لكل كلام يراعى فيه اصلاح حال الناس واعتقادهم ولها شعب كثيرة والمهم منها في نظر الدين اربعة امور أحدها معرفة الله حق معرفته وهو علم الاعتقاد الصحيح وبسميه قدماء اليونان العلم الالاهي او ما وراء الطبيعة ، يمدونه بالعلم الاعلى من علوم الحكمة النظرية . الثاني : ما يصدر عن علم به كمال الانسان وهو علم الاخلاق وعرفه المتقدمون بانه التخلق بصفات الله بحسب الطاقة البشرية اي بما يليق بحال البشر من معاني صفات الله ؛ الثالث : علم تهذيب العائلة وسماه الاقدمون علم تدبير المنزل وهو داخل في احكام معايشة الاهل في الشريعة ؛ الرابع : تهذيب الامة وصلاح شئونها وسمي علم السياسة المدنية وهو علم تدبير المدينة وهو مندرج في احكام الامامة . ودعوة الاسلام اصولا وفروعا لا تخلو عن شعبة من شعب هذه الحكمة .

واما الموعظة فهي القول الحق الذي يلين نفس المقول له فيقلع عن عمل الشر او يقدم على عمل الخير ، وفي حديث الرباض بن سارية : وعظنا رسول الله موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون »

وبهذا يظهر ان الموعظة اخص من الحكمة لان الموعظة لا تكون الا حكمة اذ يحصل بها اصلاح الموعوظ . قال تعالى : ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمه . بعد ان ذكر أوامر ونواهي في قوله : وقضى ربك الا تعبدوا الاياه ، الايات من سورة الاسراء وكلها موعظة ، ومعنى وصف الموعظة بالحسنة ان يكون متصفة بالحسن في نوعها فان تفاضل افراد النوع بتفاضل احتوائها على الصفات المقصودة من نوعها . ووصف الموعظة بالحننة دون وصف الحكمة بذلك لان الموعظة لما كان غالب المقصود منها ردع النفس عن الاعمال السيئة كانت مظنة لصدور اغلاظ من الواعظ وحصول انكسار في خاطر الموعوظ فامر الله بان يتوخى فيها ان تكون حسنة حملا للواعظ على الانابة القول وترغيب الموعوظ في الخير ولذلك لم تعر آية وعيد في القرءان عن ان تحف بآية بشاره وقد قال تعالى لموسى وهارون

(اذهبوا الى فرعون انه طغى فقولوا له قولنا لعنناه يذكرك او يخشى)

وليس المراد ان الحكمة لا تكون حسنة فقد علمت ان الموعظة من

انواع الحكمة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب الاحسان على كل شي واذ قد كانت دعوة الاسلام يتلقاها المنصفون فيلوح لهم الحق فيؤمنون به وينلقاها المتكبرون فيغلب عليهم التصلب فيجادون ويجادلون جدال المتعنتين وكان ذلك من شأنه ان يغضب الرسول اعضب الله امر رسوله بالدعوة الى سبيله بان امره بالمجادلة الحسنة بقوله : وجادلهم بالتى هي احسن فضمير جادلهم عائد على المشركين بقريضة المقام لظهور ان المسلمين لا يجادلون رسولهم فان الامر بالمجادلة ليس امرا بالمجادلة ولكنه امر بان تكون حسنة فالمقصود من هذا الامر وصف المأمور به وهذا سر تغيير الاسلوب اذ لم يعط اسم المجادلة على اسمي الحكمة والموعظة ولكن جيء بامر المجادلة عقب الامر بالدعوة استكمالا لاداب ذيول الدعوة وتوابعها .

فقد كان المشركون يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم قصدا للافحام والتعجيز كما اشار الله بقوله تعالى

(وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون)

وقوله (فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعنني) فمن ذلك قولهم ان تؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . وكما روي انه لما نزل قوله تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات) قال عبد الله بن الزبير لخصم محمد اثم جاءه بعد ذلك فقال يا محمد قد عبد عيسى وعبدت الملائكة فهل هم حصب لجهنم فارشده رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى :

(ان الذين سبقتم من الحسنى اولئك عنها مبعدون)^(١)

والمجادلة والجدال والجدل المراجعة بالقول في امر او راي . للاقتناع بالرجوع عنه الى ما يطلبه المجادل واذ قد كانت المجادلة المذكورة هنا من ذيول الدعوة كانت لا محالة متلبسة بالحكمة والموعظة اذ لا يعدو جدال النبي اياهم عن هديهم الى طريق الحق وانما يكون ذلك بالحكمة والموعظة .

والباء في بالتى هي احسن متعلقة بمجادلهم والتي صفة المحذوف يعلم من المقام اذ التقدير بالمجادلة التي هي احسن . واسم التفضيل في قوله بالتى هي احسن يجوز ان

(١) أخرجه ابو داود في كتاب النسخ والمنسوخ وابن المنذر وابن مردويه والطبراني عن ابن عباس

يكون غير مراد منه التفضيل على مجادلة أخرى بل المراد منه المبالغة في كونها حسنة فيكون مطلوب المفاضلة كقوله (رب السجن احب الى مما يدعونني اليه) اني محبوب الي دون ما يدعونني اليه . ويجوز ان يكون معناه التفضيل على ما يجادل به المشركون النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان فيه خلط بين حسن وفضاضة فهذا الوليد بن المغيرة لما قرا عليه النبي صلى الله عليه وسلم بعضا من القرءان قال له هل ترى بما اقول باسا قال : لا والدماء . وهذا عبد الله بن ابي يقول للنبي صلى الله عليه وسلم ايها المرء ان كان ما تقول حقا فاجلس في بيتك فمن جرك فحدثه اياه ومن لم يأتك فلا تغته ولا تاته في مجلسه بما يكره منه فامر النبي ان يجادلهم المجادلة التي هي احسن من مجادلتهم ونظير هذه الآية قوله تعالى :

(ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم)
 ويدخل في التي هي احسن مقابلة جدالهم القبط بجدال غير صريح في الغلظة مثل قواه : وانا واياكم لى هدي او في ضلال مبين ، وقواه . وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون . او بما هو احسن من ذلك من اين القول كما في قوله تعالى في جواب اهل الكتاب . وقولوا ءامنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والا هنا والا هكم واحد ونحن له مسلمون . ،
 وقد اشار بعض علماءنا الى ان هذه الآية جمعت الاقيسة المحقة من الصناعات الخمس المذكورة في علم المنطق وهي : البرهان والخطابة والجدل دون السفسطة والشعر لانهما لا يليقان باقامة الناس على الحق فما نحصر الاستدلال

الحق في البرهان والخطابة والجدل ولذلك حى حكماء الاسلام الصناعة الثلاثة جدلا محاكاة للمنى في لغة اليونان . فالى الحكمة يرجع البرهان لانه يتألف من المقدمات اليقينية والى الموعظة يرجع الخطابة لانها تتألف من المقدمات المظنية لاستنادها الى غالب الاحوال وكفى بالغالب موعظة للمتعمق كقوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح ءاباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) وقد كان في الجاهلية يسمى نكاح المقت فاجري هذا الوصف عليه في القرءان . مبالغة في تحريمه وذلك استدلال خطابي فهو موعظة وهو ايضا موافق للحكمة .

قل الفخر ان الدعوة الى المذهب لا بد ان تكون مبني على حجة والمقصود من ذكر الحجة اما تقرير ذلك المذهب في قلوب السامعين واما الزام الخصم وافحامه . اما القسم الاول فينقسم الى قسمين لان تلك الحجة اما ان تكون حجة يقينية مبررة من احتمال النقيض واما ان لا تكون كذلك بل تكون مقيدة ظنا ظاهر اظهر انحصار الحجج في الاقسام الثلاثة اولها الحجة المفيدة علما يقينيا وهو المسمى بالحكمة وثانيها الامارات الظنية وهي الموعظة الحسنة وثالثها الدلائل التي اقصد منها افحام الخصم وذلك هو الجدل وهو على قسمين لانه اما ان يكون مركبا من مقدمات ملهمة عند الجمهور وهو الجدل الواقع على الوجه الاحسن واما ان يكون مركبا من مقدمات اطلية يحاول قائلها ترويجها على المستمعين بالحيل الباطلة وهذا لا يليق باهل الفضل . انتهى كلامه وهو يشير الى ان الجدل الباطل يكون بالمقدمات السفطائية او المقدمات الشعرية وقال في آخر كلامه «واعلم ان هذه المباحث تدل على انه تعالى ادرج في هذه الآيات هذه الاسرار العالمة الشريفة مع ان اكثر الخلق كانوا عنها غافلين » وينبغي ان يحمل كلامه على ان هذه التقسيمات منضوبة تحت طرف الدعوة المذكورة في الآية انضواء على وجه التداخل بحيث ان كل قسم من الاقسام الثلاثة لا يخلو عن كونه مندرجا في احد طرق الدعوة وليس مراده ان كل طريق في الآية هو قسيم للطريق الآخر كما هو مراد المنطقيين لان تلك الحجج المذكورة في المنطق بعضها قسيم لبعض فالنسبة بينها التباين . وطرق الدعوة بعضها اخص وبعضها اعم فالنسبة بينها العموم والخصوص المطلق او الوجهي وتفصيله يفضي بنا الى تطويل . فذهنك في تفكيكه غير كليل فهذه الآية قد اشتملت على اعجاز علمي بهذا الاعتبار وهو صنف من اعجاز القرءان كثيرا ببناءه في مقدمات التفسير فمن سمعه فليكن من اهل التذكر والتذكير وبينا بمصه في مقالة المعجزات الخفية المنشورة في مجلة الهداية الاسلامية

والتخلق بالآية هو ان كل من يقوم مقامه من مقامات الرسول عليه الصلاة والسلام في ارشاد المسلمين يجب ان يكون سالكا طرقها الثلاث والا كان منصرفا عن الآداب الاسلامية وان يخشى ان يعرض مصالح الامة للتلف وكذلك كان شأن السلف في اقامة عقائد الامة واخلاقها فاصلاح الامة يتطلب ابلاغ الحق اليها بالحكمة والموعظة

اختتام الحديث الشريف

ختم الحديث الذي القاه المعظم الشيخ محمد بن القاضي في جامع جودة باشا عام ١٣٤٢

باب الحذر من الغضب والفواحش

لقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) وَالَّذِينَ يَنْفَقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرِّ وَالْكَافِئِينَ الْغَيْضَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب

قال حجة الاسلام الغزالي: الغضب شعلة نار مستكنة في طي الفؤاد. استكان الحجر تحت الرماد. يستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد. استخراج الحجر النار من الحديد. هو من نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد وحيث كان الحسد والحقد والغضب. مما يسوق العبد لمواطن العطب. وكان القصد الشرعي من وضع الشريعة اخراج المكلف عن داعية هواه. وهدايته لما به سعادته في دينه ودنياه. تتابعت الآيات والاحاديث في التحذير منها ليتنبه اولو الالباب. ومن ذلك ما تلاه ورواه الامام البخاري رضي الله عنه في هذا الباب

استدل للحذر من الغضب اولاً بثلاثين كريمة اولها قوله تبارك وتعالى (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) قال جمهور اهل التفسير كَبَائِرُ الْإِثْمِ ما رتب عليه الوعيد او ما يوجب الحد او كل ما نهى الله عنه والفواحش ما فحش وعظم قبحه منها. وقيل المراد بالكبائر ما يتعلق بالبدع واستخراج الشهوات وبالفواحش ما يتعلق بالقوة الشهوانية. وبقوله. واذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ. ما يتعلق بالقوة الغضبية.

وقال الفخر الرازي نقل صاحب الكشف عن ابن عباس رضي الله عنهما ان كبير الاثم هو الشرك وهو عندي بعيد لان شرط الايمان مذکور اولاً في صدر الآية وهو قوله جل اسمه (وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلی ربهم يتوكلون) وهو يغني عن عدم الشرك وقد اجاب في روح المعاني بانه لا تكرار بين قوله (وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا) وقوله (والذين يجتنبون كبائر الاثم) ان ارید بكبير الاثم الشرك لان المراد الاستمرار والدوام . واجاب في روح البیان بان ذکر الايمان اولاً لا يغني لانه بالايمان لا يحصل الاجتناب عن مطلق الشرك الشامل للجلي والحفي بل عن الجلي فقط وقد اطلق عليه السلام الشرك على الرياء حيث قال : اتقوا الشرك الاصغر فالقول ما قاله ترجمان القرءان رضي الله عنه .

قلت الجواب الاول بمرتبة من الضعف لا تدفع البعد كما لا يخفى واما الجواب الثاني فربما يقال عليه انه انما يتم اذا كان مراد ابن عباس من الشرك الشرك الحفي . ويقال في جوابه ان جمع الكبائر باعتبار عدد انواع الشرك . وعليه فلا اشكال كما هو بين قال في كشف الاسرار : اضاف الكبائر الى الاثم لان ذنب الصغيرة مغفور اذا اجتنبت الكبيرة كما قال تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) قال الفخر الرازي روى سعيد ابن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : كل شيء عصى الله فيه فهو كبيرة فمن عمل شيئاً منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا راجعاً عن الاسلام او جاحداً فريضة او مكذباً بقدر . وهذا القول ضعيف لوجوه الحججة الاولى . هذه الآية فان الذنوب لو كانت باسرها كبائر لم يصح الفصل بين ما يكفر باجتناب الكبائر وبين الكبائر . الحججة الثانية قوله تعالى (وكل صغير وكبير مستطير) وقوله (لا يفسد صغيرة ولا كبيرة الا احصاها) . الحججة الثالثة ان الرسول عليه الصلاة والسلام نص على ذنوب باعيانها انها كبائر كقوله (الكبائر : الاشراك بالله ؛ واليمين الغموس ؛ وعقوق الوالدين ، وقتل النفس) وذلك يدل على ان من الذنوب ما ليس بالكبائر . الحججة الرابعة . قوله تعالى (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) وهذا صريح في أن المنهيات اقسام ثلاثة : اولها الكفر وثانيها الفسوق وثالثها العصيان

فلا بد من فرق بين الفسوق وبين العصيان ليصح العطف وما ذاك الا لما ذكرنا من الفرق بين الصغائر والكبائر . فالكبائر هي الفسوق والصغائر هي العصيان واستدل ابن عباس بوجهين احدهما كثرة نعم من عصي والثاني اجلال من عصي فان اعتبرنا الاول فنعم الله غير متناهية كما قال (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وان اعتبرنا الثاني فهو اجل الموجودات واعظمها وعلى التقديرين وجب ان يكون عصيانه في غاية الكبر فثبت ان كل ذنب كبيرة والجواب من وجهين : الاول كما انه تعالى اجل الموجودات واشرفها كذلك اكرم الاكرمين وارحم الراحمين واغنى الاغنياء عن طاعات المطيعين وعن ذنوب المذنبين وكل ذلك يوجب خفة الذنب . والثاني هب ان الذنوب كلها كبيرة من حيث انها ذنوب ولكن بعضها اكبر من بعض وذلك يوجب التفاوت .

قلت ليس معنى قول حبر الامة : كل شيء عصي الله فيه فهو كبيرة ان الذنوب كلها كبائر متساوية في الانم حتى تقوم عليه تلك الادلة التي قررناها وانما مراده انها بالنسبة لعظمة من عصي بها لا يطلق عليها صغائر كما هو صريح دليله فلا وجه لردهما . ويؤيد هذا ما قرره شهاب الدين القرافي في الفرق التاسع والعشرين بعد المائتين حيث قال : قد منع من اطلاق لفظ صغيرة على شيء من معاصي الله تعالى امام الحرمين وجماعة من العلماء . وقالوا لا يقال في شيء من معاصي الله صغيرة بل جميع المعاصي كبائر لعظمة الله تعالى . وقال غيرهم يجوز ذلك . واتفق الجميع على ان المعاصي تختلف في العدالة وانه ليس كل معصية يسقط بها العدل عن مرتبة العدالة فالحلاف حينئذ انما هو في الاطلاق فقط . ويدعم هذا ما قرره الحافظ ابن القيم في مدارج السالكين حيث قال : الذنوب تنقسم الى صغائر وكبائر بنص القرءان والسنة واجماع السلف واما ما يحكى عن ابي اسحاق الاسفراييني من ان الذنوب كلها كبائر وليس فيها صغائر فليس المراد انها متساوية في الانم بحيث يكون انهم النظر المحرم كاتم الوطء الحرام وانما المراد انها بالنسبة الى عظمة من عصي بها كلها كبائر . وقد اختلف السلف في الكبائر اختلافا لا يرجع الى تباین وتضاد واقوالهم في ذلك متقاربة .

(يتبع)

الفتاوى واللامعات

معالجة المريض بنقل الدم اليه

بقلم صاحب السماحة شيخ الاسلام محمد العزيز جعيط

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبعد فقد سئلت من قيل وزارة الصحة عن حكم المداواة بتلقيح المريض بالدم سواء أكان دم المريض نفسه او دم غيره وسواء انقل الدم للمريض مباشرة من شخص وهو باق على حالته الطبيعية او نقل له بعد تجفيفه وتصويره ومزجه بعد ذلك بما يصلح معه للمداواة بالتلقيح. والجواب والله الموفق للصواب ان الدم محرم اكله وشربه بنص القرءان وهو نجس فالمداواة به من وادي المداواة بالمحرم النجس والمداواة بذلك غير مباحة في حالة الاختيار ويتحقق الاختيار اذا وجد في الادوية الطاهرة ما يغني عنه ويقوم مقامه اما في حالة الاضطرار كخوف الهلاك وانعدام الادوية الطاهرة التي تغني عن المداواة بالنجس فالجواز هو الاقوى من حيث القواعد وظواهر الآيات ويكفي في حصول النفع بنقل الدم في خوف الهلاك بتركه غلبة الظن وقد اختلفت المذاهب في التدوي بالمحرم فالراجح في المذهب المالكي المنع والامام مالك قول بالجواز على ما نقله ابو الوليد الباجي في المنتقى والمذهب الحنفي على الاباحة اذا علم الشفاء به ولم يبق غيره مقامه كما في حاشية ابن عابدين صفحة ٢١٦ من الجزء الاول طبع بولاق . والمذهب الشافعي على جواز التدوي بجميع النجاسات للضرورة الا الحمر

شرح لما تضمنته الفتوى

تضمن هذا الجواب ثلاثة مطالب الاول: اباحة نقل الدم من انسان الى آخر في حالة الاضطرار كخوف هلاك النفس او العضو . الثاني تقييد الاباحة بما اذا لم يوجد من الادوية الطاهرة ما يغني عن نقل الدم وينفع نفعه . الثالث كفاية غلبة الظن في حصول النفع بنقل الدم وفي خوف الهلاك .

اما الدليل على المطلب الاول فهو ما تقرر في الاصول من ان جميع الاحكام الشرعية لا تعدو ثلاثة انواع، اما أن ترجع الى حفظ الدين او النفس او العقل او المال او النسيب وتسمى الضروريات. واما ان ترجع الى رفع الحرج والمشقة عن الناس وتسمى الحاجيات. واما ان ترجع الى العادات المستحسنة ومكارم الاخلاق وتسمى التحسينيات. (ومن هذا القسم تناول الحباث والنجاسات) وان هذه الانواع متفاوتة الرتبة والاهمية فيقدم الالم على المهم عند التعارض فالرتبة العليا في الالمية وهي الضروريات تقدم عند التعارض على قسيمها والرتبة الوسطى وهي الحاجيات تقدم عند التعارض على التحسينيات فاذا دار الامر بين المحافظة على النفس التي هي من الضروريات وبين المحافظة على اجتناب الحباث التي هي من التحسينيات يقدم حفظ النفس على المحافظة على اجتناب الحباث التي منها الدم فحينئذ يباح التداوي بنقل الدم من انسان الى اخر او منه الى نفسه لحفظ حياته من الهلاك.

وهذه الاباحة هي ظاهر القراء ان المكرّم فقد جاء في سورة البقرة بعد محريم الميتة والدم وبقية المعطوفات قوله تعالى (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) فدخل تخصيص حرمة تلك الاعيان بحال الضرورة وقال تعالى (وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه)

والضرورة تتناول التغذي بتلك الاعيان في حال ما اذا الم به الجوع ولم يجد شيئا مباحا يتغذى به وهذا لا خلاف فيه وتتناول طلب البرء اذا لم يجد في الادوية المباحة ما يفيد في العلاج وتعين غير المباح للتداوي وهذا مما اختلف فيه الائمة المجتهدون لادلة خاصة وارادة في التداوي وان كان ظاهر الآيات اباحته فمن الادلة الخاصة المبيحة للتداوي بالمحرم حديث العرنيين الوارد في الصحيحين من اباحة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم شرب ابوال ابل لمداواتهم بها لكن لا يتم الاستدلال الا اذا قلنا بنجاسة ابوالها وهو ما ذهب اليه الحنفية والشافعية اما اذا درجنا على طهارتها وهو ما ذهب اليه المالكية فلا يتم الاستدلال بالحديث.

ومن ادلة الاباحة ترخيص رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرير لعبد الرحمان ابن عوف لمكان حكمة به لكن لا يتم الاستدلال به الا بطريق القياس لان الحديث انما

يدل على إباحة لبس الحرير المحرم المدفع الأذى فتقاس المداواة على اللبس بجامع دفع الأذى . ومن الأدلة الخاصة المانعة حديث أن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم لكن قيل في الاستدلال به أن المحرم في حالة الاضطراب بالتداوي يكون حلالا غير محرم .

ومن أدلة المنع حديث أبي الدرداء أن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام . واسكن **تكم** في هذا الحديث من جهة أن في رواته إسماعيل ابن عياش وهو ضعيف وإذا قيل بتوثيقه فيما يرويه عن الشاميين **كما** في هذا الحديث فيمكن حمل الحديث على حالة الاختيار بأن يكون هناك دواء من الطاهرات يقوم مقامه ليجمع بينه وبين أحاديث الإباحة .

وقد تبين مما سقناه أن الأدلة المانعة الواردة في التداوي بالمحرم لا تقوى الاستناد إليها لما يلحقها من احتمالات يسقط معها الاستدلال بها وأن الأقوى التعويل على ظاهر ما ورد في الآيات القرآنية من الإباحة حالة الاضطراب للتغذي أو التداوي وحمل الاضطراب على المدلول العرفي المتبادر إلى الأفهام .

وهذا هو المناسب لما اختصت به الملة الحنيفية السمحة من وضع الأمر عنا وإرادة اليسر بنا ودفع الحرج وإي إصر وحرج وعسر أشد على النفس ممن تحفز الهلاك للوثوب عليه ويرى وسيلة النجاة بين يديه ثم يذاد عن حضيرتها ويمنع من اقتعاز صهوتها . وأما دلائل المطلب الثاني فهو أن وجود المباح الذي يقوم مقام الدم المحرم في النفع ينفي حالة الاضطراب التي هي محل الترخيص .

وأما دليل المطلب الثالث فهو أنا وجدنا الرخص تدور مع الظن وجودا وعدما فأكتفى بغلبة الظن في إباحة الفطر في رمضان والتيمم للصلاة والجمع بين الصلاتين عند إرادة السفر غير أن غلبة الظن التي يكتفى بها يشترط فيها أن تكون مستندة إلى دليل كالتجربة وأخبار الأطباء .

وإذ قد فرغنا من بيان حكم التداوي بالمحرم حالة الاضطراب على ما تقتضيه القواعد وظواهر العمومات فإنا نعود إلى بيان حكمه في المذاهب الثلاثة الحنفية والمالكية والشافعية على ما ورد في كتبها المعتمدة التي بها الفتوى .

فاما المذهب الحنفي فجوازه اذا علم الشفاء به لكن قول الطبيب لا يحصل العلم قال شارح الدر في الجزء الاول صفحة ٢١٦ طبع بولاق ما نصه اختلف في التداوي بالحرم وظاهر المذهب المنع كما في رضاع الحكيير ونقل المصنف ثمة وهنا عن الحاروي وقيل يرخص اذا علم فيه الشفاء ولم يعلم دواءه اخر كما رخص الحاروي للعصان وعليه الفتوى اهـ .

وكتب عليه ابن عابدين في حاشيته عليه: في النهاية عن الذخيرة يجوز ان علم فيه شفاء ولم يعلم دواء آخر واختاره صاحب النهاية في التجنيس لان الجريمة ساقطة عند الاستشفاء كحل الحمر والميتة للعطشان والجائع .

وافاد سيدي عبد الغني النابلسي انه لا يظهر الاختلاف في كلامهم لاتفاقهم على الجواز للضرورة واشترط صاحب النهاية العلم لا يتنافيه اشتراط من بعده الشفاء ولذا قال والذي في شرح الدر ان قوله لا للتداوي محمول على المظنون والا فجوازه باليقيني اتفقي كما صرح في المصنف اهـ وقول الاطباء لا يحصل به العلم والظاهر ان التجربة يحصل بها غلبة الظن دون اليقين الا ان يريدوا بالعلم غلبة الظن وهو شائع في كلامهم اهـ كلام ابن عابدين ببعض اختصاره .

قلت حمل العلم هنا على غلبة الظن هو الذي ينبغي الجزم به لان التجربة لا يحصل بها الاغلبة الظن ولا طريق هنا لافادة الاعتقاد بالشفاء غيرها وكيف يصح ان يحمل اعتبار غلبة الظن مع ان غالب الاحكام الشرعية ظنية اما من جهة كون الدليل ظنيا واما من جهة الدلالة كما بسط في اصول الفقه وقد امر الشارع بالقضاء استنادا للبيئة او اليقين مع أنها لا يفيدان الا الظن ومجموع هذه الادلة يفيد القطع باعتبار غلبة الظن

وقول الحنفية قول الطبيب لا يحصل به العلم (اي الظن القوي) محمى بما اعتقد بقوله الناشئ عن طريق الاجتهاد والتجربة القاصرة غير المذكورة بكثرة امه الناشئة عن تجربته وتجربة غيره من الاطباء التي تكررت كثيرا في ازمة مختلفة فلا ينبغي ان يحمل كلامهم عليها وينبغي ان تفيد العلم المفسر بغلبة الظن

وعما يزيد هذا ابضاحا وبترك الشبه تتضامل حوله افتضاحا ان التجربة في المقصود

السالفة قاصرة لا تفيد الاظنا ضعيفا لانها مجرود فردي في نطاق ضيق بخلافها في زمننا فانها اتسع مجالها ونظمت اجراءاتها وتغيرت احوالها فاصبحت تجري على عدد كثير من الحيوانات العجم في ازمئة متكررة ثم على عدد عديد من الادميين والمرضى في المستشفيات من جمع من الاطباء الماهرين وبعد ذلك يعلن بنتائج التجارب مما يحصل ظنا قويا يكاد يقرب من اليقين

ومن هنا يتبين ضعف ما ذهب اليه بعض الفقهاء ممن يرى منع التداوي بالحرم من الفرق بين التداوي بالمستحب وبين اباحة التغذي به في حالة الإلضطرار بان التداوي لا يتيقن البره به فلم يحز ان يستعمل المحظور فيه بخلاف اكل المستحب وشربه للجوع والعطش ينبغي افادته ونفعه

واما المذهب المالكي فيرى منع التداوي بالدم وغيره من النجاسات في باطن الجسد وحكي صاحب التوضيح وغيره اتفاق المالكية على المنع وانما الخلاف بينهم في استعماله في ظاهر الجسد اكن ذكر ابو الوليد الباجي في المنتقى ان قول مالك في العتبية في التداوي بالمرتد من عظام الميتة مع منعه من الصلاة حتى يغسل ثلاثه اوجه احدها انها رواية عنه في التداوي بما لا يحل استعماله الا لضرورة الثاني انه انما اباح من ذلك ما فيه خلاف في نجاسته الثالث ان ذلك في استعماله خارج البدن

واما المذهب الشافعي فيرى جواز التداوي بجميع النجاسات للضرورة الا الحمر حكاه ابن رسلان في شرح السنن وغيره من الشافعية لحديث العرينيين حيث امرهم بالشرب من ابوال ابل للتداوي وقد علمت ما يتعلق بهذا الدليل والله المرشد الى سواء السبيل

لامير شعراء الخضراء الاستاذ الشاذلي خزنة دار

الماضي

يا ثالث الثلاثة . ويا جمع السكل . وياهوة الجميع . ما اعشق غورك . وما اوسع فضائك . ويا ما اشد اتصالنا بك . فنك المبتدى . واليك المنتهى . وفيك الفناء . ان قلنا هل امتلأت . قلت هل من مزيد .

ما اسرع خطاك . وما اطول سيرك . نمشي بك الى الامام . والى الخلف . ما ابعدك منا وما ادناك . وما اعطفنا عليك وما اجفاك . الام هذا الصدود . وفيه هذه القساو . اما لك من شفقة . اما لك من عودة . فقد امضنا الخشيق ولكن لات حين

النشر في الإسلام

بقلم الشيخ محمد الهادي ابن القاضي

باسم الله افتتح المقال ثم اعطى بالصلاة والسلام على سيد الحكماء والمرشدين .
مما لا يعزب على العلم ان الشريعة الاسلامية تكفلت بمصالح الدارين
وتضمنت لمن اتبعها سعادة الحياة في ذلك هو غيبة ما تصبو اليه النفوس الزكية
والعقول الرضية . بل هو المحور الذي تدور عليه فلسفة المتفلسفين وحكمة الحكماء
والعلمين من اول ما خلق الله الانسان الى يوم الناس هذا .

ولما كانت العقول البشرية مهما بلغت من الصفاء والجودة والذكاء والفطنة
والعلم الواسع والادراك الناقب لا جرم انها محل ضعف ونقص وتور وهي لا عمالة
بحيث يترتبها الخلل والجهل والاضطراب وتختلف بها الالهواء والميول باختلاف
العصور والازمان بل باختلاف المدارك والظروف والاحوال كانت لابد من حاجة الى
اصول اوابية وقواعد اساسية واركان ثابتة تحفظ على هذا الخلق - ان هم راهوها
واخذوها بهديها وساروا على ضوئها - الحالة المعتدلة والطريقة المثلى والاصراط
السوي الذي يبلغهم ما يصبون اليه من السعادة والسلام والامن والاطمئنان فكان
من لطف المبدع الحكيم الخالق لهذا الكون . الواسع علمه . الحكيم صنعه . الذي
لا يعزب عن علمه شيء في الارض ولا في السموات . المحيط بكل جليل وحقيق
مما هو كائن او يكون . الرؤف الرحيم اللطيف الخبير ان وضع للناس هذه
الاسس ومهدا لهم تمهيدا وامدهم بها في فترات مختلفة على حسب حاجتهم وعلى
قدر تطور الزمان هم على السنة رسلا الذين اختارهم لتبليغ هاتيك الاصول لمن
اراد تبليغها اليهم من عموم الخلق او خصوصه الى ان نبياً المجتسم الانساني نبياً
استعد به لتلقي عامة تلك الاصول والمبادئ الكاملة الراقية الصحيحة الوازية بجميع

المصالح وكافة لحفظ عامة المنافع والمباغة المذهبي . اريد من الخلق والمحققة لجميع انواع السعادات الدنيوية والاخروية . حيث امدادها بكاملة غير منقوصة شاملة وافية بجميع المصالح محققة لما كانت تصبو اليه العقول البشرية منذ ازمان . محققة للمعادة المحبوبة والضالة المنشودة على لسان خاتم الرسل وافضل الخلق على الاطلاق فاستحق بحق ان يلقب بمنقذ الانسانية الاعظم ودليلها الارشد على صراط الله الاقوم ولذا كانت شريعته خاتمة الشرائع حيث جاءت وافية بجميع الاصول والمبادئ . انني يصح ان تكون بحق احسن كل خير وفلاح لهذا المجتمع البشري . فجاءت داسة كل ناحية من نواحي الحياة العامة والخاصة محددة لما يجب ان يكون عليه الفرد مع نفسه ومع غيره من بني جنسه او مع سائر ما خلق له كما حددت له انواع العلاقات التي ينبغي ان يرتبط بها مع خالفه على الصورة التي ترضي خالقه .

ثم انها تجاوزت ذلك كلما فحددت لرضا الخالق تعالى حدودا اوسع مما يظن بها فجعلتها منوطة بسيرة الانسان العاقل ووقوفه عند تلك الحدود التي رسمت له سواء فيما يتعلق بالملاقات التي تربطه بالخالق مباشرة او بالملاقات التي تربطه بهائم مخلوقات الله تعالى . فكان لزاما علينا ان نحصى تلك الاصول ونحفظها وندرسها دراسا عميقة شاملا وان نعنى بها كامل العناية ليسهل العمل بها والالتزام بتعاليمها وادائها .

ولا شك ان مما يسهل علما فهمها واحسان تنزيلها على منازلها وبؤها لا يمكن استخراج فروعها الكثيرة وتطبيق كليتها على جزئياتها التي لا تنحصر ضبط الكيفية التي وردت عليها والاحوال التي لا يستهان بها حسن تنزيلها وظروف التي حفت بورودها من مصدرها الاول والادوار التي مرت بها منذ نشأتها الى اليوم وهذا ما يمكن ان صطاح على تسميته بتاريخ التشريع الاسلامي ويمكننا ان نقسم الادوار التي مرت بتاريخ التشريع الاسلامي الى خمسة ادوار باعتبار الاحوال والظروف التي مرت بها الشريعة من ميدها تكوينها الى اليوم وذلك حاصل بالنظر الى الحالة التي وردت عليها الشريعة من مصدرها الاول ثم بالنظر في كيفية تدرجها في سلم النشوء والارتفاع على القامدة التي يسير عليها كل موجود مبتدا صغيرا ثم باخذ

في القوة والعظمة الى ان تكتمل قواها ببرز كاملا قويا تام الحلقة وهذا هو دور التكوين والاكتمال ثم يعقبه دور النضوج والاستواء . ثم تنمشى معها في ادوار توسعها وانتشارها وظهور كامل قواها حيث الملمدون في قوة صولاتهم وتوسع رقعتهم وتمسكهم باهدابها لا يجحدون عنها عن اصولها قيد انملة وهو الدور الذي انتشر فيه فقهاء الاسلام ومجتهديا الملة يستنبطون ويحققون ويستخرجون من تلكم الاصول ما يلتحق بها من الجزئيات الكثيرة وقررون لكل قضية حكما على ضوء تلك الاصول وبطريق الرد اليها عملا بقوله تعالى (واو ردوا الى الرسول والى ادلي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم الآية . . .) ويمكننا ان نصلح على تسمية هذا الدور بدور العظمة والانتشار . ثم يجيء دور الركود والسكون او بالاحسرى دور الانحطاط والجمود والوقوف عن التقدم في السبيل الذي سلكه سلف هذه الامة والاكتفاء بالقدر الذي استنبطوه واستخرجوا له حكما وحفظه وضبطه والاشغال به وحده كان الزمان وقف دورته والحوادث الكونية بلغت متنها والعقل البشري انتهى الى متناه فلم تكن بنا حاجة ماسة الى الرجوع الى تلك الاصول لنستخرج ونستنبط منها ونقيس عليها ونستفرغ الوسع في العلم بها .

وثا ثات الاصول محدودة في الشريعة والقضايا والحوادث الجزئية ومحدودة لانها متعددة وتختلف باختلاف الاحوال والمصنوع والابتكارات والحاجيات كان الاجتهاد بمعنى استنباط احكام لمختلف القضايا الجزئية العارضة للمجتمع البشري امر لا مناص منه . نعم ينبغي ان يكون الرد الى تلك الاصول والاستفادة منها على نفس الكيفية التي اجمع سلف الامة على اتباعها في طرق الرد وبفس تلك الطرق الواضحة وعلى نفس تلك المسالك السلوكية .

وفي ظني ان الطريقة المثلى التي يجب علينا اليوم ان نسلكها بشريعتنا لنخرج بها من هذا الركود والجمود المنعوتة به والذي اسنم بها من اول القرن الخامس الى اليوم والذي يعود جرمه علينا لا عليها قوي بريئة ونحن المذنبون ان نكفي بما استنبطه المستنبطون من الائمة الذين وقم الاجماع على كمال اهلبيتهم لذلك فيما نجد لهم رايافه من الحوادث والقضايا على ان نختار من بين اقوالهم في ذلك ما هو اوفق بمصالح الوقت والحال ثم نخدم الشريعة على نحو ما خدموها به فيما لا نجد لهم رايافه على شرط ان يكون عملا جماعيا لا فرديا . وبذلك نبقى الشريعة مسيطرة للزمان ويتحقق فيها معنى كونها صالحة لكل زمان ومكان كما جاء ذلك عن ائمتنا الاعلام ويمكننا ان نسمي هذا الدور المتوقع ان شاء الله تعالى بدور التجدد او بدور التحريك والحياة .

الايماه والاسلام

انوران جليلان . اولهما (لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحسب لايديه
المؤمن ما يحبه لنفسه) وثانيهما (المسلم من سلم الناس من يده ولسانه) . .
من امعن النظر جيدا فيما يتضمن هذان الانوران . وعلم علم اليقين ما
يحتويان عليه من حكمة بالغة . وارشاد الاهي . يتضح امامنا جلليا ما يتطلبه الخالق
سبحانه . من عبادة المهيدي الذي يندرج تحت هاتين الصفتين اللزمتين
شرعا لكل متبع للدين الحق . وهما الايمان والاسلام (فجعل سبحانه
المحبة بين المؤمنين خاصة من حيث انها كالايماه مناطها الغائب واشترط فيها
المعاملة في المقدر بين الاخوين المؤمنين فلا يشوبها خداع ولا يسترضها
دجل . فهما الذات الواحدة فلا يتصور ان يخاتل المرء نفسه او يغالطها . والايماه
هو الرابطة الوحيدة للمحبة بين الجانبين . فاذا وقم الخدش في احد الطرفين
تسرب الى الآخر فانخرم الهيكل المقصود من تشييده بالمحبة الصادقة . فبين اولها
زوال الايمان . فالعبدان والبغضاء حيثئذ . بين المؤمنين من اشد المنكر . والله
جل جلاله يريدنا ان نكون كاليمنان المرصوص يشد بعضه بعضا

واما الاثر الثاني المرتكزة عليه دعامة هذا الدين السمح . (هو الاسلام)
وما يتطلبه هذا الاسم الشريف من عمل في الحقل البشري الجامع لسائر المخلوقات
وان لا يصح الاتصاف بها الا لمن سلمت الناس من يده ولسانه . فسلم الحق من
ابتعد عن الشر . وسعى للخير . وعمل للصالح . ودعا للسلام . وهذا هو
الصراط المستقيم . صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

وعلى ذلك يمكننا ان نحصر الادوار التي يمر بها في تاريخ التشريع
الاسلامي في ادوار خمسة :

١) الدور الاول : دور التكوين والاكتمال في العهد النبوي يتضمن بيان محمل
الادوار الخمسة

٢) الدور الثاني : دور النضوج . عهد الصحابة والتابعين

٣) الدور الثالث : دور العظمة والانتشار في عهد معاهير الائمة الفقهاء

٤) الدور الرابع : دور الركود عهد التقليد المحض

٥) الدور الخامس : دور التجديد وهو المنظور

محمد هادي بن الغابري

الحق يعبر بقلم المرحوم امير الامراء علي عبد الوهاب

قرات بغاية الاعتناء الاعداد الاولى من مجلة « الفتح » فها لني ما رايت من شذوذ بل مروق بعض من الذابغة ونبدتهم للتعالميم العالية الاسلامية وظهر لي ان السبب في هذا التطور المذموم والمأسوف عليه هو تشبعهم بالفكار الافرنجية التي دست لهم في المدة المدرسية فصاروا لا يحترمون الا ما نسب لاروبا ولا يرون حياة ولا سعادة الا في الاقتداء بها كمال الاقتداء حتى في الزي والاضاع

وعمت او كادت ان تعم هذه البلوى كافة الاقطار الاسلامية الا ما رحم ربي وكنا قبلنا نظن ان هذا الداء العضال لم يضر افكار المنتسبين للدين والذين كنا نعتد بهم حماة الشريعة السمحة ووزراءها حتى واقتنا الجرائد حاملية لفصول حاوية لاراء لم يتظاهر بها لحد الان الا الشبان الذين قضوا اشباهم بعواصم اروبا وزاولوا العلوم العصرية بمدارسها ومما يسلينا عن ذلك المصائب العظيمة هو علمنا بعزم « الفتح » على محاولة استرجاع الشاردين المغرورين وفتح قلوبهم للانوار المحمدية ولذا رايت من الواجب المتحتم بذل الجهد - جهدا مقل - لاعضاد « الفتح »

وحيث اتحقق افراط اعجاب هؤلاء الضالين بكل ما بقوله او بحسرة الافرنجي فقد احببت الاتيان ببضعة يسيرة مما سطره المستشرقون من الاوربيين في خصوص الدين الاسلامي ومن جاء به صلى الله عليه وسلم قال الامتاد هوداس مدرس العربية بكلية اللغات الشرقية الحية بباريس : « قد احاط القرءان بكل العلوم المتعلقة بالدين والشرائع ومكارم الاخلاق التي يمكن للعقل البشري بلوغها »

وتحت عنوان « محمد والقرءان » السيف مسيو جان سيرو المستشرق السويسري اشهر رسالة طويلة الذيل ذكر في خاتمتها ما هو ايات : « وما انا اقف هنا وقد كنت ارد اطالع الكلام » على هذه السور - سور القرءان العجيبة وان اظهر اكثر مما فعلت تلك الكنوز الموجودة

بالقرءان ولكن لم ينسج لي الا الاتيان ببعض نبت فقط ومن ضيق المجال اضطررت الى العدول عن السور المديحة الطوال التي ما زالت الى يومنا هذا اساسا لعقيدة المسلمين ودعامة لحباثتهم السياسية والمديحة والاجتماعية ولكن ما لا يدرك كما لا يتذكر كله

واعتبر اني قد بلغت مقصودي بهذه المجالة في التعرف بحياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعض ما حواه القرءان اذا اقنعت قراءي الكرام بان محمد كان مخلصا وان القرءان جدير بان يهتم به رجال الجهد .
وقال مسيو القريدكليس المترجم الاول بالحيش الفرنسي بافريقيا في تعاليق له على كتاب « الاسلام » للاحكيم بيرون :

ان محمدا - صلى الله عليه وسلم - عند ما يذكر قدرة وعظمة الحضرة المقدسة الالهية بقوة بعبارات بلغت في اللغة العربية غاية الفخامة

وتابيدا لقولي هذا ما كنت في بسرد مثالين فقط من كتاب الله « قال سبحانه وتعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا)

« وقال جل جلاله (ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر بمعدة من بعده سبعين ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم) »
والحق اقول اني لم اعثر اعشاء مطاعني للانجيل على ما يحاكي هاتين الآيتين « عظمة وجلالا »

وفي تايغه الموسوم « بالقرءان » قال مسيو سطلاني لانيول الانقليزي : اما في الواقع فان القرءان ليس بالطويل الممل وانه لا يخلو من الترتيب ولا من حسن التنسيق مثلما يدعيه بعضهم اما من حيث عدده اياته فانه لا يبلغ ثلثي ايات العهد الجديد (١) وان اخرجت منه قصص انبياء بني اسرائيل فانه لا يتجاوز حجم الانجيل واعمال الحوارين

وهذا الكتاب - اي القرءان - محشو لا اقول باعادات غير مفيدة الا ينعمهم

(١) العهد الجديد عبارة عن التوراة والانجيل والزبور . وهذا العهد هو الذي يعتمد البروتستانت

نسخة فريدة من كتاب مجهول^(١)

بقلم العلامة الشيخ الاستاذ الفاضل ابن عاشور

هذا المخطوط الذي يمثل فيما تاريخ طويل ومراحل عديدة من حياة الجدل المذهبي في الفقه الاسلامي هو مع ذلك ليس كتابا كاملا ولكنه قطعة من كتاب يسمى كما كتب في آخر النسخة : « الاعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب اهل الراي والقياس » .

وهو اسم يدل على ما تشبهه بقينا دراستنا القطعة التي بين ايدينا من كونه كتابا موضوعا لاثبات المذهب الذي يرى ان القياس ليس اصلا من اصول الشريعة الاسلامي ولبيان الفساد والتحليل الذين يدعيهما اصحاب هذا القول على المذاهب المبنية على اعمال القياس

النريد عند الوعظ أو الارشاد بل كررت به النصريحات المتعلقة بالفرائض الاصلية لادين الاسلامي ووقم الاسهاب في ذلك لبيان كيفهمة القيام بتلك الواجبات او تطبيقها .

وزاد المؤلف المذكور في موضع آخر فقال : وعليه فانه يمكننا فيما يخص محمد « صلى الله عليه وسلم » ان نترك ما يوجد في القراءة من مواد تتعلق بوقائمه جرت في ذلك العهد ونهني حكمنا على هذه المبادي الصالحة لكل الازمنة والتي لا يختص باشخاص ولا بشعوب معينة بل تخص فاطمة النوع البشري حينما وجد سواء اكان بجزيرة العرب او بفرنسا او بايتا بلاد اخرى . ولنتختم هذه الاسطر بما تلحه الفيلسوف الفرنسي الشهير ارنيست روتان :

ان رجال التقدم الحقيقين هم الذين يبنون اعمالهم واقوالهم على احترام الماضي : ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب

(١) نص المحاضرة التي القاها العلامة الاستاذ الفاضل ابن عاشور في اجتماع لجنة البحوث الاسلامية للغة العربية وادابها المؤتمر المستشرقين الثاني والمشرين في ١٨ ذي الحجة ١٣٧٠

فيكون حينئذ كتابا موضوعا لتدعيم مذهب الظاهرية والرد على مخالفينهم
 فإن جميع الفروع الفقهية التي أوردها مذهب الكتاب انبثاها لقوله لها أوردا على
 مخالفه فيها هي من فروع مذهب الظاهرية كما يتحقق ذلك بالرجوع الى كتب
 الخلاف ومطالعة ديوان الظاهرية الاكبر وهو كتاب المجلى لابن حزم (٢) وتبديء
 القطعة المنحدرت عنها من كتاب الاعراب من الخبرة والالتباس ببقية فصل يتعلق
 بالاحتجاج بالحديث المرسل ينتصب ويحتمل المؤلف لمناقشة القائلين بصحة الاستدلال
 بالحديث المرسل

ويستعرض مثلا من الفروع الفقهية زاعما انهم استدلو ببعضها بالحديث المرسل
 ونبتوا البعض الآخر على رد احاديث مرسله وبين ان الحديث المرسل يكون على
 درجات متفاوتة فيدعي ان مخالفه قد يستدلون بالساقط الضعيف منها ويتركون
 الجيد الحسن ويختم الفصل بتأخير رايه في ان المرسل ليس بحجة ابداء وتقرير
 ان الذين التزموا كونه حجة عندهم لم يحسنوا طرد هذا الاصل فاحتجوا به مرة
 وتركوا اخرى ويندد عليهم بان ليس لهم اصل يشتون عليه انما يحرسون على التقليد
 ثم شرع في فصل آخر عنوانه بالفصل السابع خصصه بذكر احاديث منها ما قال
 بصحته ومنها ما انكر صحته وزعم ان مخالفه استدلو بها على غير الصواب التي
 ينبغي ان تحمل عليها وقسم ذلك الى ثلاث اقسام :

أ - احاديث استخرجوا منها عللا بنوا عليها بطريق القياس فروعا في
 مذاهبهم مم كونهم قائلين في مسائل اخرى بما يخالف ذلك الاصل ويعطل عليه
 ب - احاديث يستدلون بها في لازم علمها مع كون مذاهبهم مخالفة لحكم
 المنطوق الثابت بها

ج - احاديث تقتضي احكاما عديدة استدلو بها في بعض تلك الاحكام مم
 كونهم مخالفين لمنطوقها في قيمة ما تقتضيه وفي اثناء هذه المسالك يحكم على درجة الحديث
 المبحوث فيه فيقول « استدلو بالحديث الفابت » ولا حجة لهم فيه او
 يقول « وهو حديث لا يصح ولو صح لما كانت لهم فيه حجة وقد يشير الى وجه
 العلم التي يدعيها في الحديث

وقد ذيل هذا الفصل ببيان ما اسماء «تخاليط ومناقضات» فذكر مسائل من اصول الفقه نسب الى مخالفين الاضطراب فيها بقولهم كل مرة بما يناقض قولهم فيها مرة اخرى فعدد المسائل الاتية

صيغة العموم : يحملونها على عمومها في مسائل ويخصصونها في مسائل اخرى

صيغة الامر : يحملونها مرة على الرجوب ومرة على الكراهة او المذهب

دليل الخطاب (المفهوم) : ياخذون به مرة ويشركونها اخرى

النسخ : ياخذون فيه مرة بالناسخ ومرة بالمنسوخ

وختم الفصل بما اورده المذلفون من الاخبار المتواترة وانكره هو فيه التواتر

واقاض في التعليق على حديث « ادروا الحدود بالغبهات » الذي ادعى

اهل المذهب المخالف كونه متواترا مدعيا عليهم التناقض في الاخذ به حيث

دراوا مرة ولم يدراوا اخرى فكان الفصل عبارة عن مناظرة لمذاهب القائلين

بالقياس في استمداد الاحكام من نصوص السنة بادعاء سوء الحمل او مناقضة الاصل

او عدم صحة النص او اعتباره بغير صفته الحقيقية

ثم عقد الفصل الثالث في بيان اعتماد اهل القياس على اقوال الصحابة

مخالفة لافراء والسنة

فابتدا بمناقشتهم في اصل القول بحجية قول الصحابي وجعل مرجع ذلك الى

ادعاء ان ما قاله الصحابي في المسألة المحتج لها لا يمكن ان يقوله بسرايه بل هو

راجع الى توقيف واطرد في سرد الامثال من المسائل التي اخذوا فيها بقول

الصحابي والمسائل التي لم ياخذوا فيها بما ملزمها في الغالب ان يكون القول الذي

تركوه لنفس الصحابي الذي اخذوا بقوله وقد استوعب المثل في هذا الفصل

استيعابا ازدهى بها في اخرة حيث قال : « لا نعلم لهم قصة موهوا فيها بما ذكرنا

من قولهم مثل هذا لا يقال بالرأي الا قد ذكرناها »

وفي الفصل التاسع انتصب لبيان اقوال الصحابة استشهد بها المخالفون على

وجه غير صحيح لانها لا تقتضي مرادهم في نظر المؤلف ومسلكه في هذا الفصل عين

مسلكه في الفصل السابع بالنسبة للاحاديث النبوية وتكلم في الفصل العاشر على مسائل

من الففم ذكر ان القائلين بها يدعون ان دليلهم عليها اجماع الصحابة مع كون الخلاف فيها موجودا ويقابل كل مسألة بمسألة يثبت فيها اجماع الصحابة مع كون المستدلين بذلك الاجماع في المسألة الاولى مخالفين لمقتضاها في هذه المسألة

وختم الجزء بالفصل الحادي عشر الذي عقده المؤلف لبيان استدلال بعض اهل المذاهب على صحة اقوال ائمتهم بكون الاجماع قد انعقد عليها وتشنيعهم على مخالفهم بان مخالفتهم في ذلك شذوذ عن الاجماع مع كون الاجماع لم ينعقد على ذلك فيما يراه المؤلف بدليل ما يشتهر من اقوال علماء السلف المخالفة لما ذهبوا اليه ويقابل ذلك كما فعل في الفصل قبله بذكر مسائل يدعي صحة انعقاد الاجماع عليها مع كون اهل المذاهب الذين بناظرهم قد جاءت اقوالهم فيها بخلافه للاجماع الذي لا يعرف له خلاف من قبل الاخلاف غير مشهور او غير صحيح وقد ذيل هذا الفصل بمبحث عنوانه بتنبه . . . تعرض فيه الى ما وقع لاهل القياس من الاضطراب في استنتاج اقوالهم التي خالفوا فيها الجمهور وذلك بذكر مسائل اعملوها فيها القياس مع ان قياسا مساويا للذي اعملوه او اظهر منه يقتضي خلاف ما اقتضاه القياس الذي اعملوه او لذكر صور لم يعملوها فيها القياس مع مماراتها للصور التي اعملوها فيها وبانتهاء هذا المبحث ختم الجزء الاول من الكتاب وبه انتهت القطعة المتحدث عنها وقد كتب في اخرها : (هنا نم الجزء الاول من كتاب الاغراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب اهل الراي والقياس ويتلوه ان شاء الله تعالى ذكر طرف سير من شتم اقوالهم في الدين لم يتعلقوا فيها بقرءان ولا سنة) فعلى هذا تكون القطعة التي بين ايدينا مقصورة على بعض المسائل التي هي محل خلاف بين الظاهرية وغيرهم بما يدل على ان مناقشة تلك المذاهب قد ابتدأت قبل القطعة التي بين ايدينا واستمرت بعدها كما تنص عليه فقرة التعقيب

والمناقشات الدائرة خلال هذه القطعة وان كان سياقها شاملا لعموم المخالفين للظاهرية في المسائل التي جرى البحث فيها الا انها في تقرير الحجاج ومادة المسائل كان النظر فيها متجها بصفة خاصة الى الفقهاء المتقليدين مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه

وإذا كانت هذه المناقشات قد شملت مسائل كثيرة من أصول الخلاف بين الظاهرية والحنفية فإن المقدار الذي لا يوجد عندنا من الكتاب يتوقع فيه أن يشتمل على مناقشات في مسائل أخرى من المسائل الأصلية التي هي محل خلاف بين المذهبين مثل مسألة تأويل ظواهر النصوص ومسألة التخصيص بالقياس والنسخ به ومسألة الاحتجاج بالموقوف ومسألة الاستحسان التي ظهر أنها هي المقصودة بالعنوان الذي يتبدى به الجزء الموالي ومسألة شرم من قبلنا

على أن المسألة الأصلية التي هي ركن الخلاف وجوهر موضوع الكتاب وهي مسألة القياس لم تبحث في هذه القطعة بحثاً أصلياً يتعاقب باصل الاستدلال بالقياس ومراتبها والمسائل الفرعية التي اختلف فيها المذهب الحنفي مع المذهب الظاهري بسبب أعمال القياس فمن القريب جداً أن تكون هذه المباحث أيضاً قد تقدم بعضها وكلها في ما هو سابق للقطعة التي عندنا من الكتاب وتكون هذه القطعة حينئذ قد اشتملت على بعض المسائل التي يتناظر فيها الظاهرية مع الحنفية وإن بعضها تقدم وبعضها الآخر يتبع

ومن هنا ينشأ سؤال وهو هل كان هذا الكتاب مخصوصاً بالرد على الحنفية أو أنه تناول مذاهب أخرى بالمناقشة

والذي يظهر من مذهب مؤلفه أنه كما يخفاج مع الحنفية يختلف مع مذاهب أخرى ولا سيما المذهب المالكي الذي أخذ عليه الظاهرية أخذ تشجيع عتيق اعتماده على عمل أهل المدينة وعلى المصالح المرسلات وعلى سد الذرائع بله المسائل الكثيرة التي يشترك فيها المالكية مع الحنفية وأهمها في خلاف الظاهرية القول بالقياس

على أن ي اسم الكتاب السدي رسم في آخر النسخة ما يدل على أنه رضع لمناقشة مذاهب لا مذهب واحد

وإن تعرض المؤلف لقبول الحنفية بالتهكم والاستخفاف في أثناء البحث يدل على أنه يضمهم لهم مثل ما يضمهم للمذهب الحنفي

وبهذا يظهر أن المقدار الذي يجب عنا من الكتاب يكون شتملاً على ردود

على المذاهب التي تقول بالقياس كلها وخصوصا المذاهب الثلاثة التي اشتهرت بذلك وانتشرت قبل ظهور مذهب الظاهرية اعني الحنفي والمالكي والشافعي ومن المنتظر ان يكون حظ المذهبين الحنفي والمالكي من هذه الردود اوفر من حظ المذهب الشافعي اسمعنا الخلاف بين الاولين وبين الظاهرية في الاصول والفروع ولكون المذهب الشافعي لا يكاد يخلف مع الظاهرية الا في اصل القول بالقياس وقد كان داود مؤسس مذهب الظاهرية شافعيًا وكان كثير من اتباعه - مثل ابن حزم - شافعيًا ايضا قبل ان ينقلبوا الى الظاهرية

ويتلخص من هذا كله ان هذا الكتاب انما وضع تاليفه على الابتداء بالتشريع على اتيام المجتهدين (لانه كثيرا ما يذكر في اثناء المباحث التي في نسختنا ما ينص فيه باللائمة على الذين لا يرجعون الى ظواهر الكتاب والسنة ويعكفون على تقليد اقوال المجتهدين ويجعل ذلك هو السبب في الوقوع بهم في ما وقعوا فيه من الاصول المردودة)

ثم بيان ان اصل الخروج عن ظاهري الاصلين انما كان لالتعلق بالقياس وبيان بطلان القياس وسقوط الاستدلال به في الدين

ثم ياخذ هذه المذاهب مذهباً مذهباً قبيحديء بالمذهب الحنفي يناقشه في الاستدلال بالموقوف والمرسل وهو المبحث الذي تبنيء به القطعة التي بين ايدينا وبعد الفراغ من المباحث التي اسلفنا تلخيصها يستمر في ابتداء الجزء الموالي لهذه القطعة بالرد على قولهم بالاستحسان وهو ما عناه بقولهم : « نحن لم يتعلقوا فيها بقرءان ولا سنة » . وبذلك يطوي بساط المناقشة مع المذهب الحنفي ويتوجه الى المذهب المالكي فيناقشه في جميع ما ناقش فيه المذهب الحنفي من قبل وبعد فصولا خاصة يحتفل بها احتفالا لازما لمناقشة الاصول التي انفرد بها المالكية ثم يميل الى المذهب الشافعي بفصل يبين فيه ما لحقه من الاضطراب ومخالفة النص والاجماع بسبب افعال القياس وينتهي بذلك الجزء الثاني الذي ينتهي به الكتاب جملة

والكتاب محرر بطريقة جدلية خطايبية فيها شدة العنف وسورة الحدة

فالمؤلف يتعمق في أشد العبارات واقسامها في الدلالة على معاني الخطئة حتى يدخل في باب الغتم الفاحش

وهو حرص كل الحرص على ان يظهر لفارئيه ان مخالفته ليسوا غافلين عن الادلة ولا غالطين في تنزيلها ولكنهم متعمدون القول بما يعلمون انه باطل تعصبا لمذاهبهم وبعين طائفة من الفقهاء المشهورين بعلم الحديث قبيل الغ في التفتيم عليهم لادعائه ان ما وسم غيرهم من العذر بالجهل لا يسعهم ويعتق من بين هؤلاء الامام الحنفي الشهير ابا جعفر الطحاوي فيحرق الارم على اعراضه عن مذهب الظاهر وتقليده لمذهب من مذاهب القياس

وبصرح باعجابه بسعة علم الطحاوي اعجابا يجعله اكثر الفقهاء الحنفية وغيرهم ورد ذكر في الكتاب

واعمل معرفة مؤلف هذا الكتاب ومقارنته باثارة وظروف حياته تزيد هذه المعاني اتضاحا

فالنسخة التي بين ايدينا لم تشتمل على اسم المؤلف ولكن فصول الكتاب تشتمل كثيرا على تكميلته نفسه عند صدر كل بيان بقواه (قال ابو محمد) على الطريقة الشائعة في القرنين الرابع والخامس

فمن هو ابو محمد هذا ؟

البس قد عرفنا من تحليل الكتاب انه ظاهري المذهب ونريد الآن انه يقول بانكار القياس انكارا مطلقا اي ان القياس بجميع مرانبي وعلى اختلاف صورته باختلاف مسالك العلة لا يصلح دليلا للاحكام الشرعية وبصرح بهذا نصريحا واضحا مقصودا بسد به باب تحليل الاحكام سدا كليا اذ يقول: « فان قالوا فلاي شيء نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن اغتسال الجنب في الماء الدائم قلنا لان الله اوحى اليه بذلك قال تعالى او ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا يسأل مسلم ربه لم امرت بهذا قال نعم لا يسأل عما يفعل نهي عن ذلك كما نهي عن الخنزير والدم ليلوكم اياكم احسن عملا ولا يجزي المطيم بالحنة والعاصي بما هو اهله ولا مزيد »

في اللغة

بقلم العلامة النحرير الشيخ محمد المسنيري

يمتاز الانسان عن سائر المخلوقات بالعلم وانما العلم بالنعلم والنعلم باللغة واللغات تتفاضل في حقيقتها وجوهرها والبيان (١) وهو تاديت المعاني التي تقوم بالنفس وتختلف بين جوانحها على وجه يكون اقرب الى القبول وادعى الى التائير وما من شك ان للغة العربية في هذا الميدان شأوا بعيدا ومدى واسعا لا يطاول مما مكن لها الانتشار في اصقاع الدنيا منذ حملها اهلها الى الامم في فتوحات صدر الاسلام بدون ان يلزموهم بتعلمها فتلقوها تلك الامم وحفظتها واتقنتها

وهذا الانكار القاطم للقياس لم يكن شان الظاهرية جميعا فقد كان امامهم داود بن علي الاصفهاني ينكر الاقيسة ولكنه لم يصرح بانكار القياس جملة حتى تردد علماء الاصول في اعتباره منكرا للقياس (١) واثبت السبكي في طبقات الشافعية (٢) استنادا الى وثائق قوية ان داود لا ينكر القياس وانه مصرح باعتبار التعلييل في الاحكام وان الذي تغالى في ذلك من اتباعه حتى نفى القياس مطلقا انما هو ابن حزم وعلى ذلك نقرر في مبحث الاحتجاج بالقياس من علم اصول الفقه ان مذهب ابن حزم بخلاف في هذه المسألة عن مذهب امامه داود فابن حزم ينكر القياس مطلقا وداود ينكر ما عدا القياس الخلي (٣)

ولما كان الكتاب الذي هو موضوع بحثنا لقائل بابطال القياس مطلقا كما صرحت بذلك العبارة المنقولة عنه فانفا وما تكرر من امثالها فانه يظهر من ذلك ان ينسب هذا الكتاب لابن حزم لانه انقره بالمذهب الذي بني الكتاب عليه وصرح بمذهبه هذا في كتابه المحلى (يتم)

(١) انظر كلام القرافي في تنقيح الفصول ص ١٥٥ ج ٢ ط ٠ تونسني بحاشية ابن عاشور

(٢) ص ٤٦ ج ٢ ط ٠ مصر

(٣) انظر شرح المحلى على جمع الحوامع ص ١٧٢ ج ٢ ط بولاقها مشى حاشية البناني -

فلا بدع ان صارت من اكبر العوامل للاتحاد بين الناطقين بها بل جعلت منهم وحدة متماسكة نبت عنها معاول الهدامين والمقوضين

ذلك ان احد الكتّابين بتونس اذا ما اراد بحث أي موضوع يريد فما عليه الا ان يتناول بعضه على المنهج العربي الذي بخزارة فلا يكاد ينتهي منها ليدرج في نشرة دورية حتى يلقفها العربي بالشرق ويتفهم معناها وتبطل له مغايرتها ومرايمه وكذلك الشأن فيما يكتبه الشرقي او ينظمه بالنسبة لاختصاص التونسي

بيد اننا نشفق كثيرا من حدوث اخذاش في حجم هذه الوحدة المنبعص بما يقع فيها المنشؤون عندنا من الاخطاء في مدلول بعض المفردات اللغوية او في نفس الاساليب التركيبية

والعجيب في الامر انه بمجرد صدور خطأ ما من بعضهم سرعان ما يلقفها الباقيون ويتداولونه ويشيع بينهم

فانما ما اورد علينا سائل قوامهم : « خطأ مشهور خبر من صواب مهجور » فلا نرى جوابا له الا ابتائنا ما قاله العالم المصري المعاصر السيد علي راتب في مقدمة كتاب الاغانى لابي الفرج الاصفهاني المتوفى سنة ٣٥١ هـ مطبوعاً دار الكتب المصرية قال ما نصه :

كان هممنا بمعالجة هذا الخطب (يقصد به ما يقع فيه الادباء من الاخطاء) فلا يشبطن من هممنا قول المستكئين « خطأ مشهور خبر من صواب مهجور » فبالله اذا جاء بعدنا جيل فقرأ تلك الكلمات المستعملة في غير وجهها هل كان له غير المعاجم مرجعا لفهمها وهناك يجد معنى مباينا لماراد الكاتب فيخلق عليه الفهم

ولا يستصغرنا احدنا شان النطق صوابا فما هو ذا اثره اننا اصبحنا ولا نفهم كلام اخواننا الشاميين والمغاربة كلامه

يقصد الكاتب من هذا ان الاستمرار على اقرار الاخطاء المنتشرة في اللغة العربية سيفضي بنا (لا قدر الله) الى حدوث لهجات خاصة بكل اقليم عربي شأنها في ذلك شان اللغات العامية المنتشرة في البلاد الاسلامية العربية اليوم

لذا راينا من الواجب العلمي التعرض لهذه الاخطاء مع بيان وجه تصحيحها فمن ذلك قولهم اعتذر فلان عن الحضور بمعنى انه لم يحضر وايدى عذره

والصواب ان يقال اعتذر من عدم الحضور لان المعتذر عنه انما هو عدم الحضور لا الحضور ثم ان فعل اعتذر يتعدى بمن لا عن يقول الشاعر العربي
قد قيل ما قيل ان صدقا وان كذبا فما اعتذارك من قول اذا قيل
ويقولون ان هذا النبا مثلا قد قطع جبهة كل قائل وكانهم يفهمون من
جبهة معنى الصوت او النبرات او القول وكل ذلك خطأ والصواب ان يقال « قطعت
جبهة قول كل خطيب » وجبهة اسم امرأة والكلام مثل ومورد المثل ما قاله
صاحب القاموس ونصه « وجبهة امرأة رعناء واجتمع قوم يخطبون في الصلح بين
حين في دم كي يرضوا بالديعة فينماهم كذلك قالت جبهة ظفر بالفساتل ولي
للمقتول قتلته فقالوا قطعت جبهة قول كل خطيب اه

ويقولون جاءت الاخبار تنعي وفاة فلان ويكسرون العين من تنعي وفي
تركيبهم هذا خطأ مزدوج اما الاول ففي جعلهم نعي من باب ضرب لكسرهم العين
من تنعي والصواب انه من باب قطع اي بفتح عين الفعل في الماضي والمضارع وعليه
فالمضارع تنعي على زنة تنهى والخطا الثاني هو قولهم تنعي وفاة فلان حيث ان مادة
النعي تدل باصلها على الاخبار بالوفاة فلا معنى لذكر الموت قال في القاموس : نعا
لها نعا ونعايا بتضعيف الياء وكسر العين ونعاينا بالضم اخبره بموته

قال شارحه مرتضى ص ٣٧٣ ج ١٠

وظاهر هذا السياق كما للجوهري ايضا انه من حدد نصر على ما يقتضيه
اصطلاحه عند عدم ذكر المضارع والصواب انما من حدسني ففي المحكم نعا نعايا
ونعاينا اه ثم قال بعد شارحا قوله « والنعي كعني » يكون مصدرا كما تقدم يقال جاء
نعي فلان اي نعيه ويكون بمعنى « الناعي » وهو الذي ياتي بخبر الموت قال الشاعر
قام النعي قاسمعا ونعي الكريم الاروها

ويقولون سمى فلان عاملا على بلد كذا ويتصدون انما ولي واطلاق التسمية
على الولاية غير معروف في العربية قل في القاموس واسم الشيء علامته وقال ابن
سيده اللفظ الموضوع على الجوهر والعرض للتمييز ونقله عنه في القاموس ثم قال
صاحب القاموس « وسماه فلانا وبه » قال شارحه مرتضى : اي جعله اسما له
وعلمه عليه قال سيويه والاصل الباء لانه كقولك عرفته بهذه العلامة واضحه بها اه

وقد بذات جهودا في مراجعة دراوين اللغة وموسوعاتها لعلها تجد حيويا
لتصحيح هذا الاطلاق فلم اظفر بذلك وعليه فالصواب ان يقال ولي فلان عاملا
على بلد كذا او عين او ما شاكل ذلك

ويقولون استبدل القديم بالجديد ويقصدون انه ترك القديم واخذ مكانه
الجديد وهو خطأ ولئن شاع كثيرا حتى عند كبار الكاتبيين والادباء ذلك ان مادة
استبدل وتبدل وبديل تدل على جعل شيء في موضوع آخر بسدلا منه والباء
تقرن بالمبدل منه اي المنزوك لا البديل اي الماخوذ قال تعالى : « استبدلون الذي
هو ادنى بالذي هو خير » الآية ٦١ من البقرة وقال جل من قائل :

« ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل » الآية ١٠٨ من البقرة ايضا
وقال تعالى ايضا في الآية الثانية من سورة النساء « وءاتوا البيتمى باموالهم ولا
تبدلوا الخبيث بالطيب » قال ابن جزي : اي لا تاكلوا اموالهم وهو الخبيث وتدعوا
مالكم وهو الطيب اه كلامه فقد اتضح ان مدخول الباء هو المنزوك

ويقولون صرح لسان حال الوزارة الخارجية بكذا وقالت جريدة كذا
لسان حال الحزب الفلاني وهو خطأ لان المصرح في الواقع هو ناطق لسان
وزارة الخارجية لا انها امارات ودلائل لاحت على وزارة الخارجية تشبهتها بلطق
بجامع الدلالة على المعنى المفهوم وكذلك في جريدة كذا لسان حال الحزب الفلاني
فالتصريح والقول انما وقعما بلسان المقال لا بلسان الحال وهما متغايران قال
الشاعر العربي

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا فلسان حالي بالشك كابتعا انطق
اي ولئن مدحتك بلسان مقالتي فجهيم الامارات والملاسات تنقض ذلك
وتجار بالشكوى بل هي اقوى في الدلالة على ذلك من مدحي الحاصل بالقول
وهو معنى قوله انطق

وبعد فسنواصل بحثنا حول اخطاء اخرى مما سنفصل القول فيه على
صفحات هذه المجلة في المستقبل ان شاء الله

❀ سعيد بن المسيب ❀

بقلم : مدير المجلة

فكر عبد الملك بن مروان في امر الخلافة بعده واراد جعلها في ابنه الوليد ثم سليمان من بعده وقبل ان يعلن رايه وبأخذ البيعة لهما من الخاصة ثم من العامة اراد ان يمهّد لذلك فلاح له ان احسن وسيلة يعظم بها منزلة ابنه مصاهرة عالم المدينة وعابدها سعيد بن المسيب فقد جمع الى شرف النسب العلم والزهد والورع اما العلم فقد كان في الدرجة الاولى في علوم العربية مبرزاً في الفقه مرجعاً في الحديث فهما لكتاب الله يجلس في مسجد الرسول ويجلس بين يدة طلاب المعرفة يتفقهون عليه ويدرسون آيات القرآن واحاديث الرسول وحج اليه الناس طالبين الرواية عنه من كل بلد، واما الزهد فقد استغنى عن حطام الدنيا بما كفاه ولم تتعلّق همته الرقيعه بما ليس له فيه حاجة وزهد فيما في ايدي الناس وما يتفخرون بها فانغلا الله عنهم وقلل حاجتهم

واما الورع فقد اشتهر به بين الخاصة والعامة فاحبه الناس عموماً وعظموا منزلته واما شرف النسب فهو قرشي من بني مخزوم فلا حرم اذا اخبرته داهية العرب ومفخرة ملوك بني امية ووقع عليه اختياره لبصاهرة ويخطب ابنته لابنه الذي رشحه للخلافة بعده لعلمه انه سيحصل على موافقته في ولاية العهد واذا رضي بها سعيد فمن الذي لا يرضى لرضاه وهو القدوة ولكن ابن المسيب لم يكن عند ظن عبد الملك وابن مروان فزهد في مصاهرة الخليفة كما زهد في امواله ومضى على سنته في بعده عن دار الامارة وعدم الرضا عن هذا النوع من الحكم الذي يتوصل اليه بحمد السيف والذي لم يقم على الشورى الذي جعلها الله اساساً للحكم في الاسلام

وكان لسعيد بن المسيب تلميذ يدعى ابا وداعة نكب في اهله فاجتمع عليه مصيبتان فقد اهل وائلة ذات اليد حضر عند ابي سعيد فقال له هل احدثت امرأة غيرها قال له يرحمك الله ومن يرضى بي بعلا لابنته وانا لا املك الا درهمين او ثلاثة فقال له سعيد ان انا فعلت ذلك ففعل ؟ قال له نعم وانقلب حزنه سروراً

وتبدلت وحشته انسا وعظم عليه الامر وازداد اكباره واحبلاله لهذا الشيخ الوقور
وتعير في امره كيف يقدم مصاهرته ويفضله على ابن الخليفة وهو هو شرقا ومقاما
ولكن ابن المسيب لم يرد ان يتاخر في الامر فحمد الله تعالى بما هواهله واتنى
عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وزوجها لابي وداعها بما معها من المال
فقام الزوج وفارق المجلس وذهب الى بيته ولما جن الظلام وارضى الليل
ستوره جاء سعيد وطرق عليه الباب فقال من هذا فقال سعيد فلم يدر بخلداه انه
سعيد بن المسيب الذي زوجها ابنته في ذلك اليوم وهو من هو سعيد الذي لم ير
منذ اربعين سنة الا في المسجد او في طريقة ما بين بيته والمسجد فقام ابو وداعة وفتح
الباب فاذا هو بسعيد بن المسيب فقال له هذا انت يا ابا محمد هلا ارسلت الى قاتنك
وبدا له انه اراد الرجوع فيما فعل

قال له سعيد رايتك رجلا غزبا فكرهت ان تبيت اللبلة وحدك وهذه امراتك
قد دفعتها داخل البيت ورد الباب وانصرف . فسقطت من الحياء فاستوثق ابو وداعة
من الباب ثم صعد فوق المنزل ونادى الى حيرانها قلبوا دعوتهم واستفهموا عن
الامر الذي دعاهم من اجله فتص عليهم قصتها واخبرهم ان الزوجة جاء بها ابوها
على غفلة وانها في المنزل قد دخلوا عليها وجلسوا معها

وجاءت والدتها فاقسمت عليه ان وجهها من وجهه حرام ان مسها قبل ان
تصلحها ثلاثة ايام فمكث ثلاثة ايام ثم دخل بها فاذا هي من اجل النساء واحسنهن
واحفظهن لكتاب الله تعالى واعلمهن بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واعرفهن بحقوق الزوج
ومكث ابو وداعة شهرا لم يتصل بسعيد ولما انقضى الشهر دخل على سعيد
وهو جالس في حلقة درسه في مسجد المدينة فسلم عليه فرد عليه التحية ولم يزد
على ذلك حتى خرج الناس من المسجد فلم يبق غيرهما قال له سعيد ما حال ذلك
الانسان قال له ابو وداعة هو على ما يحب الصديق ويكره العدو
فقال له ان رايتك شيء ف . . .

ولكن سعيد لم يسلم من عاقبة ما فعل وناله من عذاب عبد الملك ما ناله فقد
دفعه لمبايعه ابنه بولاية العهد فابى فبعث الى عامله بالمدينة وقال له ان اعرضني على
السيف فان مضى على رايه الاول فاجلده خمسين جلدة وطف به في اسواق المدينة .
وهكذا تحمل ابو سعيد ما تحمل ولم يكثر بما اصابه ولم يثن عن رايه
الذي يرى انه الحق . . .

المعاهد الدينية

في القطر الليبي

التاريخ

بقلم المؤرخ الاستاذ عثمان الكعاك

إذا نظرت الى مدينة طرابلس من علو طائرة او من منارة مرتفع بدت لك منازل بيضاء كأنها نحتت من العاج او صبغت من الكافور تعلوها المازن المستديرة نزاحم الذنوبيل في ارتفاعها والقباب البيضاء الناصعة تحاكي قباب الزياتين المنتشرة في البساتين وهذا هو الطابع العربي الافريقي الجميل الذي تمتاز به جميع المدن الليبية ومن الواجب ان ندرس هذه الجوامع الرائعة واحوال معمارها وتاريخ انشائها ومايقام بها من دروس على غرار ما جرى به النظام النقابي في كامل المغرب العربي منذ العصور الاسلامية الاولى

ونحن سنستعرض هذه الجوامع بمدينة قمدنية وجامعا فجامعا .
ومن المعلوم لدى الكل ان المملكة الليبية المتحدة تتركب من ثلاثة اقطار هي طرابلس وقزان وبرقة . فحديثنا اولا عن طرابلس
يمتد القطر الطرابلسي على طول البحر من راس آجدير قرب خليج بوكماشى على الحدود التونسية وينتهى الى قرب اجداية من حدود ولاية برقة ومساحة القطر الطرابلسي وحده تبلغ مليون كم . مربعا اي نحو السبع مرات مساحة القطر التونسي . ويوجد به من السكان نحو المليون . بحيث ان العمران قليل ونسبة السكان من المساحة تكون على حسب التقريب باعتبار ساكن واحد لكل كم . مربع بينما هي بتونس ثلاثون ساكنا لكل كم . مربع . والسبب في ذلك هو ما توالى على القطر الليبي عامة والقطر الطرابلسي خاصة من محن الحروب الطاحنة منذ اربعين سنة .

واذا القينا نظرة تاريخية على هذا القطر الحقيقي وجدنا انه مر بعصرين

عظيمين العصر الجاهلي والعاصر الاسلامي واليك البيان

١ - الجاهلية . ينقسم الدور الجاهلي الى العصور الآتية .

أ - العصر الحجري - يبدأ منذ الحليقة وينتهي في القرن الثلاثين قبل الهجرة تقريباً - كان فيه الانسان الاول يسكن المغاور الطبيعية ويرتدي جلود الحيوانات ويأكل من صيد البر والبحر ومن ثمار الاشجار ويتخذ له - لاحقاً - من حجارة كالمدي والحناجر والسهام والحصا الذي يرمى به في القلاع .

وينقسم العصر الحجري الى عصر حجارة قديمة وعصر حجارة متوسطة وعصر حجارة جديدة ، وبالانتهاء من هذا الدور الاخير يأتي عصر المعادن من برنز وحديد الذي تعلم فيه الانسان الاول الحياكة وتربية الحيوان وزراعة الارض وطحن الحبوب وعصر الزبائن وطبخ الطعام وتعددين المعادن وصناعة الخزف والعصر الحجري الطرابلسي متأثر بمدنيت ثلاث . العصر الحجري التونسي المعروف بالمدينة الكسبية او القفصية نسبت الى قفصة . والعصر الحجري الصحراوي والعصر الحجري المصري .

٢ - العصر البربري الاول - يبدأ منذ هاجر البربر الاولون من اليمن . وهم قبائل لوبو واليه تنسب البلاد فيقال قديماً لوبيا ويقال الآن ليبيا . واشهر هذه القبائل قبيلة هوارت النازلة على طول السواحل الى نهاية الشمال التونسي .

٣ - العصر الفينيقي - منذ القرن الثامن عشر قبل الهجرة لغنوبية حينما جاء تجار فينيقيون من فينيقية التي هي سوريا ولبنان الآن واسسوا مراكز تجارية على طول الساحل الليبي من اشهرها مدينة هويجة وهي عاصمة طرابلس الآن .

٤ - العصر الروماني - منذ سنة ٢٥ ق . م . الى سنة ٤٥٤ ب . م .

حينما استولى الوندال على البلاد بتقديم ملكهم الفاتح جنسريق . ومن اشهر المدن الاثرية الموجودة الآن بطرابلس مدينة صبراتة (صبرة) ومدينة لبتيس ماغنا (لبدّة) .

وكان عصر الاحتلال الروماني عصر حروب طاحنة لا عصر سلم . وذلك ان قبائل الغرامات وهم اجداد اهل قزان كانوا لا يفتاون يهنون الغارة على الرومانيين حتى اذا قوهم الامر ين وقداكتسحهم مرة اولى سنة ١٩ ق . م .

الوالي الروماني سكورنبليوس باليوس الاصغر واخذت عاصمتهم غاراما عاصمة

قازانيا (قزان الآن) . ثم أعادوا الكرة وشقوا عصا الطاعة مرارا واهمها على عهد القيصر وشبابيانوس سنة ٦٩ ب . م . فجرد عليهم القائد والبريوس فسئوس قلم ينل من سبالتهم كبير طائل .

وفي عهد الانطونيين قياصرة رومنة زالت البلاد طعم السلام نوعا ما وازداد خصبها وعمرائها . وعلى عهد الامبراطور نيرفا استت الحادة الكبرى بين قابس ومدينة بلدة البتيس ماغنا وهي المعروفة بطريق الماس (او الثغور الطرابلسية) وازدانت مدينة هريجة (طرابلس) بالمعالم الفاخرة الرائعة وكذلك مدينة صبراطمة ولبتيس ماغنا . فقد كثرت بجمعها المباني العامة العاهقة الفنية والتمثيل القيصري . وانتشر في البلاد حب الاداب والفنون والعلوم على طريقة اليونانيين والرومانيين وباقت طرابلس عصرها الذهبي ابان الرومانيين على عهد القيصر سبتيموس سافاروس الذي هو طرابلسي صميم اذ قد ولد سنة ١٤٦ بمدينة لبتيس ماغنا من عائلة ماجدة .

وفي آخر القرن الرابع ب . م . رجعت الفلافل والاضطرابات وكثرت الثورات والانتفاضات واذن نجم الرومانيين بالافول . وقد انتهى حكمهم فعلا سنة ٤٥٥ ب . م .

هـ - العصر الوندالي - الوندال من الشعوب البربرية الجرمانية التي رحفت على اوروبا من الشرق ولما اراد والي افريقيا الكونت بونيفاس ان ينتقم من الحكومة الامبراطورية الرومانية اذ جردت عليه جيوشا لاخذ الثار منه استنجد بجنسريق ملك الوندال الذي كان يومئذ باسبانيا فاحل البلاد الافريقية ومن ضمنها طرابلس سنة ٤٥٥

٦ - عصر البيزنطيين - ولم يدم حكم الوندال كثيرا لان بالزار البيزنطي استرجع البلاد سنة ٥٣٤ فعادت لحكم الروم وتبعية بزنطة او القسطنطينية الى ان فتحها العرب بعد ذلك بقليل

ب - العهد الاسلامي - فتح عمرو بن العاص مدينة طرابلس سنة ٢٣ هـ . وينقسم العهد الاسلامي الى العصور الآتية :

١ - عصر الولاة - من سنة ٢٣ هـ الى سنة ١٨٤ هـ فقد تعاقب الولاة على

طرابلس من مصر أولا ومن القبروان ثانيا

٢ - العصر الاغلبى - ١٨٤ - ٢٩٦ كانت طرابلس في هذا العصر نزوة الى الاستقلال مائلة الى الحكم الذاتي اذ قد ثقل عليها تنازع الوردجوميين والورستميين من البربر والاغلبة من العرب وفي هذا العصر الاول ظهرت قيمة طرابلس من حيث الثقافة فقد كانت الزعامة الملكية للعالم الطرابلسي الكبير علي بن زياد دفين تونس رضي الله عنه والمتوفى في اواخر القرن الثاني كما كان فقهاء برفعة يمتازون بطبقاتهم الخاصة المعروفة بطبقات البرقيين غير المصريين وغير الافريقيين

٣ - العصر الفاطمى - ٢٩٦ - ٣٦٥ توحد المغرب وتكوت الامبراطورية

الفاطمية من طنجة الى العراق فكانت طرابلس من اهم اجزاء هذه الامبراطورية

٤ - الاستقلال على عهد صنهاجة ٣٦٥ - ٥٥٥ في هذا العصر تولت بعض الاسر المالكية الحكم بطرابلس واستقلت عن الدولة الصنهاجية الزيرية القائمة بالقبروان والمهدية وزحف الاعراب الهلابون على القطر الطرابلسي برا والنرمان بحرا لكن الطرابلسيين الصناديد انتصروا على النرمانيين واطردوهم من بلادهم

٥ - العصر الحفصي - ٥٥٥ - ٨٩٩

هو عصر استقلال قام هاهنا ملوك طرابلس ولكن الحفصيين كانوا يسترجعون البلاد احيانا ويرجع للطرابلسيين الفضل في احياء التعليم بجامع الزيتونة في ذلك العصر الموحدى فان العالم الكبير عبد الحميد بن ابي الدنيا الطرابلسي هو الذي بعث هذا التعليم من مرقد

٦ - العصر التركي - وفي القرن العاشر استولى الاسبانون على طرابلس لكن سرعان ما اطردوهم منها درغوث باشا وصارت طرابلس ولاية مندوحة في الخلافة العثمانية لكن القارمانليين كانوا هناك دولة شبيهة بالمتقلة

٧ - العصر الاخير - قد انتهى بيشرى الاستقلال انما وبدأ بفاجعة الاحتلال الايطالى والامور بخواتمها



اما جيوامع مدينة طرابلس التي هي البيت القصيد من هذه العجالة فسنسرها سردا ثم تفصلها تفصيلا :

يوجد بمدينة طرابلس نحو التسعين جامعا ومسجدا وزاوية واهمها:
 جامع احمد باشا القارامللي بسوق المشير عدد ٥٠٠، قد بني في القرن الثاني عشر
 على نظام الجوامع التركبية، وزخرف بالزليج التونسي وزينت جدرانها بقصائد من
 نظم شاعرنا الورغي، والحقت به - كالعادة التركية - تربة القاراملليين في الصحن .
 جامع القرحي من اجمل جوامع طرابلس وهو بساحة مخزن الرخام قرب زنقة
 الفرنسيين، تركي المعمار تونسي الكساء شبيه جدا بجامع يوسف صاحب الطابع بتونس
 جامع درغوث باشا من اجمل جوامع طرابلس، وهو من اروع جوامع العالم
 الاسلامي، وبه ضريح ذلك الفاتح الكبير .

جامع محمد الباشا شائب العين بسوق الترك يظهر انما بني على انقاض جامع
 حفصي لانه كثير من اجزاء معماره موحدة النمط .

جامع القروقة بزقة الفنادقة

جامع الناقة، ويقال انه الجامع الاول الذي بناه عمرو بن العاص سنة ٢٣ فهو
 قبل جامع القبروان الذي احده عتبة سنة ٥١ هـ .

- جامع سيدي سالم بطريق سيدي سالم

- جامع الدروج بزقة جامع الدروج

- جامع محمود بزقة جامع محمود

-- جامع سيدي حمودة، وهو تحفة من تحف الفن التركي القديم يوجد
 في الحى الاوروبى قرب شارع الشاطيء .

- جامع عثمان باشا وهو من اقدم جوامع طرابلس ويحتوى تحفة من

تحف الفن . واقع بفارم سيدي درغوث .

جامع مولاي محمد بفارم الزاوية .

- جامع خليل باشا بالظهرة الكبرى

- جامع مبرزان بالحى العصري

جامع ابن ناجي

- جامع المنوسية

- جامع بيليمان بفارم سيدي بيليمان

- جامع الصمعة

- جامع سيدي الشهاب بفارم الشاطيء وستحدث عنها بتفصيل ان شاء

الله تعالى

« شحنة تفسير آية اربع الى سبيل ربك المنشور في باب التفسير »

الحسنة ولا يخلو المجتمع الاسلامي عن متعنت او ملبس وكلاهما يلقي في طريق المصلحين شائك الشبه بقصد او بغير قصد فسيل تقويمه هو المجادلة بالتي هي احسن فذلك ادنى لا فناءه . والكشف عن قناعه ففي الموطأ . ان عمر بن الخطاب قال في خطبة خطبها في اخر عمره

ايها الناس قد سنت لكم الدين وفرضت لكم الفرائض وتركتكم على الواضحة الا ان تظلموا بالناس بمينا وشمالا وضرب باحدى يدي على الاخرى رحمه الله ورضي عنه ولما قالت الخوارج اعلي لا حكم الا لله قال لهم كلمة حق اريد بها باطل . وقوله (ن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) قول فصل بين فريقي الحق والباطل وهو تعليل لمضمون الامر بالاستمرار على الدعوة اي لا يؤيسك اعراضهم من اهتدائهم فتقصر في الدعوة ظنا بقلّة جدواها لان الله الذي امرك بالدعوة هو اعلم بمن ضل ومن اهتدى وما يدريك ان يكون بعض من ايست من ايمانه قد شرح الله صدره الايمان بعد ياسك منه وهذا معنى قوله تعالى (ان عليك الا البلاغ) فموقع ان مجرد الاهتمام ليفيد معنى فاء التعليل لان شـ ان اذا جاءت في مثل هذا الموقع ان تفيد معنى التعليل كما حققه الشيخ عبد القاهر لان افادتها التاكيد مستغنى عنها بوجود ضمير الفصل في الجملة المفيد لقصر الصفة على الموصوف فان القصر تاكيد على تاكيد وهو قصر اضافي اي ربك هو اعلم بمن ضل لا انت وفيه تعريض بالوعيد للضالين والثواب للمهتدين ولذلك قدم العلم بمن ضل على العلم بالمهتدين لانه الاهم في مقام التهديد والوعيد ولان التخنية مقدمة على التحلية .

وفي قوله (عن سبيله) اشارة الى ان الله مؤيد دينه وناصره وان باطلهم غير قار كما قال تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فاذا هو زاغ) وقال (فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)

وفيه اشارة الى وجوب غوص النظر في تمييز الحق من الباطل وتجنب الاسراع بالحكم في ذلك دون تأمل عميق . والحذر من غلبة تيارات الاهواء حتى لا تتمكم الحقائق . وتسير الذفوس في بنات الطرائق . فان الحق باق على الزمان . والباطل لا يلبث ان يكذبه البرهان هبني قلت هذا الصبح ليل ايعمى المبصرون عن الضياء اه .

أبو حيان التوحيدي

للدكتور الاستاذ الطاهر الخبزي

أديب من اكابر ادباء القرن الرابع، يعد من طبقة الجاحظ من حيث الأسلوب ويمتاز عن الجاحظ بتنوع مواضيعه وبالتزامه الجد والأتزان في كل ما يكتب .
اهله المؤرخون حتى اختلف في تعيين موطنه ومولده ووفاته، واهله المعاصرون فلم يذكروا اسمه في كتب تاريخ الادب ولم ينتخبوا له في كتب المنتخبات المدرسية.

حياته

هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي ويكنى بابي حيان . ولد في اوائل القرن الرابع وتوفي في او اخره . والمرجح انه فارسي الاصل .
كان ابو حيان حسن الخط فاحترف الوراقه في بغداد ايام شبابه . ثم سئم الوراقه واتصل ببعض الوزراء كابن العبيد وابن عباد وابن سعدان ونسخ والسف لهم مداه . غير انه لم ينل عندهم ما كان يامله من الخطوة . فغضب عليهم وهجاهم بنثرني رائع لا مثيل له عند كتاب العربية . ثم بلغ به الياس الى ان احرق كتبه ضنا بها على من لا يعرف قدرها . ولم يسلم منها الا ما تقل قبل الاحراق .

ثقافته

جاء في معجم الادباء لياقوت ان ابا حيان كان متفننا في جميع العلوم . من النحو واللغة والشعر والادب والفقه والكلام على رأي المعتزلة فهو شيخ الصوفية وفيلسوف الادباء ومحقق الكلام . ومتكلم المحققين . وامام البلغاء . . . وهو فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة . وفصاحة ومهارة ، كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه ، واسع الدراية والرواية (١)

مؤلفاته المطبوعة

(١) الصداقة والصديق . طبع بالاستانة سنة ١٣٠٢ هـ وبالقاهرة سنة ١٣٢٣ هـ
قال ابو حيان في وصف هذا الرسالة :

قد اتت هذه الرسالة على حديث الصداقة والصديق ، وما يتصل بالوفاء
والخلاف ، والهجر والصلة ، والعتب والرضا ، والمذق والاختلاق ، والرباء والنفاق
والحيلة والخداع ، والاستقامة والالتواء »

(٢) المقاسبات - طبع بمصر سنة ١٩٢٩ م مقدما بدراسة لابي حيان بقلم حسن
السندوبي وهو « اقوم مؤلفات ابي حيان ، واحفلها بمسائل الفلسفة والاجتماع
وادقها تعويبرا لما كانت تعج به بغداد آنذاك من بحوث في الفلسفة الآلهية والطبيعة
ومن تناول كل مسألة حتى مسائل اللغة والادب بمعايير فلسفية نفسية ، ويعتبر
الاسلوب الذي سلكه ابو حيان في هذا المؤلف اسلوبا جديدا في عالم التأليف
اذ سجل آراء معاصريه على طريقة الجدل والحوار ، عازيا كل راي الى صاحبه (١)

(٣) الامتاع والمؤانسة . ثلاث مجلدات اشرف على نشرها احمد امين واحمد
الزبن وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر عام ١٩٣٧ - ١٩٤٤ . وهو مجموع
مسامرات في فنون شتى حاضر بها ابو حيان الوزير ابا عبد الله العارض في سبع
وثلاثين ليلة .

(٤) الهوامل والشوامل لابي حيان التوحيدي ومسكويه . نشرها احمد
امين والسيد احمد صقر وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٥١
قال احمد امين في مقدمة هذا الكتاب :

يدل كتاب « الهوامل » على ان ابا حيان شخصية فلسفية طليعة تستخلص
الاسئلة من كل ما يقع امامها ، سواء كانت المسائل خلقية او اجتماعية او لغوية او
اقتصادية او نفسية . . . واسلوبه في اسئلته اسلوب ادبي فني رائع

(١) ابو حيان التوحيدي سيرته وآثاره لعبد الرزاق عحي الدين القاهرة ١٩٤٩ م ٢٣٠

نماذج من : ادب ابي حيان

الشوق الاعظم

ما اشوقني والله الى ان ارى مريداً له من القراءة ورد ، ومن الركوع
والسجود وظيفة ، ومن الصمت والتفكير قسط ، ومن التسبيح والتلهيل ساعة ومن
التفكير في الملكوت سهم ، ومن الرغبة في الميعود حرص . ومن الاشفاق من الوعيد
فرق . هذا والله اضعف شوق واقله ، وأثور حنين واكله ، فاما الشوق الاعظم والحنين
الاعم ، فانما هما الى عارف قد تربع على سرير الرضا ، واطمان الى ركن الثقة بالمولى ،
وشهد الغيب من وراء ستر الضنا ، فان قال فعنه ، وان سكت ففیه . وان تحرك
قلبه ، وان سكن ففیه وان اشتاق فاليه وان تهالك فعليه ، له مع نفسه شان ، ومع
الحق شان ، ومع الناس شان فاما شانه مع نفسه ففهي تصفيه بها من كدر يحجب من
الله ، واما شانه مع الحق فاستملاؤه منه كل ما يسهل الطريق الى الله عز وجل . واما
شانه مع الناس فكل ما عاد بالجدوى عليهم من الرقة والرحمة والرافة واللطافة (١)

العالم الفاضل

ابو حيان . لم اقترن العجب بالعالم ؟ والعلم يوجب خلاف ذلك من التواضع
والرقة وتحقير النفس ، والزراية عليها بالعجز ؟
مسكويه . اما العالم المستحق لهذه السمة فليس ، بلحقه العجب . ولا يبلي بهذا
الآفة . وكيف يبلي بها وهو يعرف سببها . وانها مرض سببه مكاذبة النفس وذلك
ان حقيقة العجب هي ظن الانسان بنفسه من الفضل ما ليس فيه . وظنه هذا كذب
ثم يستشعره حتى يصدق به . . . وهذا من اعجب عافات النفس واكاذيبها لاجل
ان الكذب فيه مركب . فقد يكذب الانسان غيراً ليصدقه الغير فيمولا نفسه عليه ،
فاما ان يمولا نفسه بالكذب ثم يصدق فيه نفسه فهو موضع العجب . ولاجل هذا

التركيب الذي عرض في الكذب صارا شنع واقبح من الكذب البسيط المعروف .
 واذا كان العالم الفاضل تقتزن به عافية الكذب البسيط لمعرفته بقيمته - لا سيما اذا
 استغنى عنه - فهو من الآفة المركبة ابعد . فاذلك قلت : ان العالم لا يعجب . فقد صارت
 هذا المسألة مردودة غير مقبولة . فاما ما يعرض من العجب لمن يظن انه عالم فليس
 من المسألة في شيء . الهوامل والشوامل ص ٤٠

صديقاه

... انه يكتفي مني فيما خالف هواي بالدحة الضئيلة ، واكتفي انا ايضا منه
 في مثل ذلك بالاشارة القليلة . وربما تعاتبنا على حال تعرض على طريق الكناية عن
 غيرنا . كأننا نتحدث عن قوم آخرين ويكون في ذلك لنا مقنع واليه مفرع وقلما
 نجتمع الا ويحدثني عنى باسرار ما سافرت عن ضميري الى شفتي ، ولا شئت عن
 صدرى الى لفظي . وذلك للصفاء الذي نتساهله ، والوفاء الذي نتقاسمه ، والباطن
 الذي نتفق عليه ، والظاهر الذي نرجع اليه ، والاصل الذي رسوخنا فيه ، والفرع
 الذي تشبثنا به ، والله ما يسرني بصدافته حين النعم ، ولا اجديها لحياتي ما اجسد
 تحياتي لي . واذا كنت اعشق الحياة لاني بها احيا ، كذلك اعشق كل ما وصل
 الحياة بالحياة ، وجنى لي ثمراتها ، وجلب لي روحها ، وخالط بي طيها وحلاوتها
 الصداقة والصديق ٣ - ٤ ط الجوائب

مصادر

- (١) ابو حيان التوحيدي : سيرته .. آثارة لعبد الرزاق محي الدين . القاهرة ١٩٤٩
- (٢) الامناع والمؤانسة . لابي حيان التوحيدي القاهرة ١٩٢٧ - ١٩٤٤
- (٣) الهوامل والشوامل لابي حيان التوحيدي ومسكويه القاهرة - ١٩٥١

الطبيعة

لامير الشعراء امير الامراء الشاذلي خزندار

ان عرك السيف واستعصى لك القلم
 ان الطبيعة خرساء وزاطقة
 مدادها البحر والاقلام من شجر
 ما بين معجمها فينا ومهملها
 وفي الليالي دروس والشيوخ لها
 وفي الاثير تحاليل الحياء وما
 عين البصيرة ان تفتح فصاحبها
 صوت المعاني به الاشياء بارزاً
 تسعى بك الروح دون الخطومن قدم
 الجسم ظرف وما المظروف ذو صلة
 توزع الخلق في داراته قددا
 في الحلم اجهزاً من عالم خفيت
 ما اليقظة المستوى فيها الجميع بما
 فالذر ما صغرت والقبلة استويا
 كل تمحض للافراد هيكله
 هي الموازين للاشياء تعورنا
 هي المشاهد لولا العين ما انكشفت
 في كل حين لنا المسرى بانفسنا
 ما بالمشارع اوشكنا فكيف
 كيف ابتدانا استحال الاطلاع على
 الى متى ايها المخلوق وانت الساري في كيانك ولا تدري الى اين منحت
 الحواس الخمس وبها انغرس فيك الشعور وليس لك عليها من سلطان والذي تفضل
 بها عليك قد فطرك هكذا محصوراً في الجهات الست محبوساً فيها مرغماً بحكم القضاء

والقدر . عن ايجادك مكبلا في هذه الصورة من حين بروزك من الاصـلاب
وانفصالك من الارحام لا سادس لحواسك ولا سابع لجهاتك ولا انقطاع لسيلك
تسري ولا تدري الى اين المسير ولا المال
نفنى وتوجد من اطلـــــــوار الحقيقة والحبال
هذا الوجود مع الفناء ام لا وجود ولا زوال
سبوح قدوس رب الملائكة والروح هذا من قبض وحبك هذا مبلغ ارشادك
اعبادك فمن وفقته اهتدى . والا فنعسا نعسا لمن اخذته العزة والويل كل الويل
لمن نفخ الشيطان في عرينه فشمخ بانفه فسقط في الهاوية غير شاعر ولا واع
سبحانك لا علم الا ما علمت سبحانك يا ذا الطول لا قول لنا امام عظمتك
الا حطة حطة حب من حب وكرا من كرا لا اله الا انت في ملكوتك لا اله
الا انت في جبروتك لا تسال عما تفعل ونحن الذين نسال
خزنه دار

القضية التونسية

دخلت القضية التونسية في دور جديد ووضعت على محك البحث والتحصيل ولعبت الديبلوماسية السياسية ادوارا خطيرة وكانت القضية بين المدة والجزر تتلاطمها الامواج مرة وتهدأ عاصفتها اخرى وزج بها اخيرا في مضيق ضيق استعمل للخروج منه السلاح والنار والقمع والاعتقال حتى خرجت من هذا المحيط الضيق الى المحيط العالمي وكسبت انتصارا لم يكن يحسون بتخرج الموقف من قبل وكانت الحوادث التي جرت في الشهرين انماضيي لما اكبر الاثر في اهميتها حتى اصبحت تعد من قضايا الدول الهامة التي تتطلب حلا سريعا لمن يريد المحافظة على السلم العالمي

فمنذ ما يقرب من شهرين وقوات الجيش المسلحة تغزو البلاد التونسية تاركة وراءها فظع ما ارتكبته يد الانسان في عصرنا الحديث من تخريب معايد ومنازل واعتداء على الانفس والاموال والاعراض التي اجبت الشرائع السماوية والقوانين الوضعية على احترامها وقد تواتت الاجتماعات ورفعت الاصوات منكرة هذا الصنيع المعقوت الذي ليس له مبرر وان الحوادث المؤلة التي حلت بهذا الوطن المعذب تهون امام الاعتداء على مقدسات الامة التي تمهت الحكومة الفرنسية باحترامها من اعتداء على بعض المساجد الى تمزيق كتاب الله المقدس الامر الذي كان له اسوء الاثر في نفوس التونسيين واننا نحتج على هذا السلوك السيئ الخيم العواقب وتذكر هذا الصنيع الذي جرح الامة في الصميم ودفاعنا على مقدساتنا هو اعظم من دفاعنا على الانفس والاموال فاذا تحمل الشعب التونسي ما ناله بصبر وتجلد فلا يتحمل الاعتداء على كرامته ومعتقده ومقدساته وكل اعتداء من هذا النوع يجرح المسلمين فردا فردا ويحتجون عليه صارم الاحتجاج وان آثار ذلك ماثلة الآن للعيان

تحيته

الاستاذ الكبير شيخ الادباء العربي الكبادي

هذي المجلة بعد طول حجاب برزت لنشر العلم والآداب
واكي تعيد الى الشباب مناقبا كانت لهم في سالف الاحقاب
ورثوا الخلال الغر عن اباؤهم متجملين بافخر الاثواب
وكذا اتباع السالفين مطية هي لاعمالا من امتن الاسباب
فهم الذين بفضل ما قد خلفوا رفعوا عن الابصار كل حجاب
مرآى الورى نورا بفضل ضيائه يستفتحون مغلق الابواب
فتقدموا للاشتراك لتظفروا منها بخير جواهر الالباب
فهي التي قد خصصت اعمالها فيما ينير قرائح الطلاب
من كل فائدة يعز وجودها في غيرها تهدي لى الاحباب
من كل من عرف الحقائق معرضا عن كل مهزلة وكل سباب
ينجى بها ثمر المعارف يانعا ومن الهدى والرشد صفو لباب
يا ايها الشبان دونكم الذي يجديكم نفعا بغير حساب
فتسكوا بعري الشريعة والزموا سبل الهدى في جيئة وذهاب
تجدون ما ترجون دون معاكس وترون ما تبغون دون اليباب

المجلة الزيتونية

المدير

محمد الشاذلي بن القاوي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونية

رئيس التحرير :

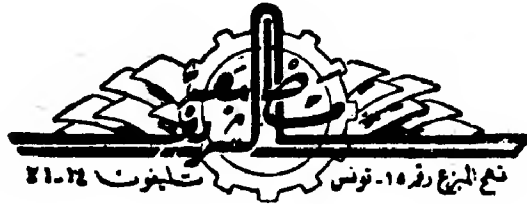
محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

الادارة نهج ابن محمود رقم ٦ بتونس تليفون ٤٦ - ٢٩

قيمة الاشتراك عمه سنة الفا فرنك بخمسة المربع لتغطية المعاهد العلمية

نمن الجزء : مائتا فرنك



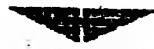
تونس في

١٣٧١ - ١٩٥٢

المجلة العلمية أدبية اخلاقية

مجله علمیه ادبیة اخلاقیه

نصروها هبة من مدرسی الجامعة الزيتونية



المجلد الثامن

الجزء الثاني

تونس

١٠٠

فهرس العدد

الجزء الثاني من المجلد الثامن

- | المقالة | المصنف |
|---|--|
| ٤٩ | الاصلاح الاجتماعي |
| ٥١ | تفسير آية ان الله لا يستحي ان يعزب |
| ٥٥ | الحذر من الغضب |
| ٥٩ | تذمة المقال الافتتاحي |
| ٦١ | حاجة البشر الى الشرايع |
| ٦٦ | تصحيح اخطاء وتحاريف من طبعة |
| ٧١ | الجمهرة الانساب |
| ٧٤ | الشيخ صالح الشريف |
| ٧٦ | كلمة في الشعر |
| ٨٤ | تشطير البرد |
| ٨٦ | ادب الامير شكيب ارسلان |
| ٩٠ | مقومات الراي الصحيح |
| ٩٢ | ابن تيمية |
| محمد الشاذلي ابن القاضي | كاتبه |
| الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن | عاشور شيخ الجامع الاعظم |
| المنعم الشيخ محمد بن القاضي نائب الدولة | لدى النظارة العلمية بجامع الزيتونة كان |
| مدير المجلة | |
| العلامة الشيخ محمد ابن القاضي المدرس | بجامع الزيتونة |
| الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن | عاشور شيخ الجامع الاعظم وفروعه |
| العلامة الشيخ محمد المنستيري المدرس بجامع | الزيتونة |
| العلامة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور | المدرس بجامع الزيتونة |
| العلامة الشيخ محمد الناصر الصدام المدرس | بجامع الزيتونة |
| الاديب الكبير امير الامراء السيد | الشاذلي خزنة دار |
| الاديب الشيخ احمد مختار الوزير مدرس | فن التعليم وعلم النفس بجامع الزيتونة |
| العالم الشيخ التهامي الزهار المدرس بجامع | الزيتونة |
| الشاب حسن المنياوي | |

المجلة الشهرية

مجلة علمية أدبية أخلاقية

رجب ١٣٧١ | جزء ٢ - مجلد ٨ | أبريل ١٩٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الاصراع الاجتماعي

ان الامم كالأفراد يعتريها الضعف بعد القوة ويحل بها السقم بعد الصحة ومنها من يفنى ويضمحل ومنها من يعالج سقمه حتى يشفى منه وتعود اليه قوته . وأمراض المسلمين الاجتماعية تكاد تكون متشابهة ولكن اختلف الحكماء في طرق العلاج فمنهم من يرى ان اقرب طريق في العلاج هو البتر وقطع الصلة بالماضي والاخذ بأسباب يرى انها هي التي كانت السبب في قوة الآخرين ليدافع بها الاخطار التي تنتاب الهيكل الاجتماعي وتخرق قواه فولى هذا الفريق وجهته ليغترف من حياض الامم الحديثة ويقلد ابناءها في اوضاعهم وحر كاتهم وسكناتهم منددا على بني قومه لينفضوا عن نفوسهم ما علق بها من تران قديم يعده الباعث الاصلي الذي ادمى الجلد واضعف الجسم ونخر العظم

ويرى فريق اخر ان الله بعث هذه الامة وخلقها من ضعف ثم جعل من بعد

ضعف قوة واستخلفها في الارض يوم استكملت صلاحها واتخذت لكل امر عذته
فبواها مقام العز والسؤدد وقال في حقها وهو اصدق القائلين:

« كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »

ثم دارت دائرتها ولعبت الشهوات بنفوس ابنائها وغرتهم الاماني فحل الفساد
محل الصلاح ونزل داء السقم ودب فيها من كل جانب ولما استفحل امره ادرك الكل
خطره ولكن بعد ما اخذ الياس يتسرب الى النفوس فارتفعت اصوات المستغيثين
هل من مجير فيرى ان انجع دواء للعلاج تهدي اليه هو استكمال المادة التي نقصت من
الامة فتكمل ما نقصها من مواد الحياة وبذلك تعود اليها قوتها وتنفض من هزال مرضها
وتأخذ مكانها اللائق بها تقول فيسمع قولها وتعمل فتتشر الاخوة والرحمة والسلام
وتكافح الذود عن الحق بكل ما يازمها من قوة يستدعيها العصر الذي تعيش فيه

وان منشا مخالفة الفريق الاول للفريق الثاني ان الفريق الاول حسب ان مجرد انتساب
المسلمين الى الاسلام يكفل لهم وحده حياة العز والكرامة ولا يمكن ان يطمع غيرهم في
النيل منهم واقاعهم تحت سيطرته ولما فتحوا اعينهم وجدوا انفسهم ان الغير طمع فيهم
ونال منهم واقوعهم تحت حكمه ونفوذهم فنفضوا ايديهم واعرضوا وانجهوا الى هذا الغير
يبتغون منه ما يازم لعلاج الاسقام والاستشفاء من الامراض المنهكة

اما علموا ان الانتساب الى الدين وحده لا يكفل النصرة ولا يبدل الضعف قوة
والمرض صحة والفساد صلاحا ولا يغني الانتساب الى رسول والاعتماد على ولي عن
الواقع الذي سنه الله لخلقهم لعمارة هذا الكون وفي واقعتي احد وحنين ما تقوم به
الحجة على كل من ترك العمل المجدي والسعي الموصل وظن ان ما حل بالامة
الاسلامية لباعث على فصل العقيدة عن العمل والاتجاة بها الى وجهة اخرى .
ان هذا هو الضلال المبين

فان الله تعالى الذي بعث في الاميين رسولا قد اخرجهم من عمى الجهالة والاعتماد
على ما كان يزعم الضالون المصلون وشرع لهم السبل وهداهم لمناهج الصواب وقسم لهم
السعادة الى قسمين واوضح لهم الطرق التي توصل الى كل واحدة منهما والاعمال التي

تفسير القرآن الكريم

(بقلم فضيلة الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع الاعظم وفروعه)

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)

قد يبدو في اول النظر عدم التناسب بين مساق الآيات السالفة ومساق هذه الآية اذ بينما كان الكلام على ذكر هذا الكتاب المبين ووصف حـ الي المهتدين بهديه والناكبين عن صراطه وبيان اعجازة والتحدي به مع ما تخلل وتعقب ذلك من المواعظ والزواجر الدافعة والبيانات البالغة والتمثيلات الرائعة . اذا بالكلام قد انتقل الى بيان ان الله تعالى لا يعبا ان يضرب مثلاً بشيء حقير او غير حقيره ولكن عند التأمل تظهر المناسبة لهذا الانتقال : ذلك ان الآيات السابقة اشتملت على تحدي البلغاء بان ياتوا بسورة مثل القرآن فلما عجزوا عن ذلك سلكوا في المعارضة طريقة الطعن في المعاني فلبسوا على الناس بان في القرآن من سخيف المعنى ما ينزله عنه كلام الله ليصلوا بذلك الى ابطال ان يكون القرآن من عند الله القاء للشك في نفوس المؤمنين وزيادة في تنفير المشركين والمنافقين

روى الواحدى عن الحسن وابن عباس وقادة ان الله تعالى لما انزل قوله وان يسلبهم الذباب شيئا وقوله كمثل العنكبوت اتخذت بيتا قال المشركون ارايتم اي شيء يصنع بهذا او قال اليهود ما يشبه هذا الكلام فنزلت هذه الآية للرد عليهم . اي رد ابا المثل انها بحسن بحسن مطابقتها لحال المثل ولعل للعنكبوت في

ذلك الموضع - الا لا يغني فيه ذكر غثرلا . فان كان ذلك قد قاله علماء اليهود الذين لاحظ
 لهم في البلاغة او قالوا مع علمهم بفنون ضرب الامثال مكابرة وتجاهلا وكون القائلين هم
 اليهود هو الموافق لكون السوراة نزلت بالمدينة وكان اشد المعاندين هم اليهود
 ولانه الاوفق بقوله تعالى وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله . ولان
 اليهود قد شاع بينهم التشاؤم والغلو في الحذر من مداولات الالفاظ حتى اشتهروا
 باستعمال الكلام الموجه بالشتم والذم كقولهم راعنا كما قال تعالى فبدل الذين ظلموا
 منهم قولاً غير الذي قيل لهم . ولم يكن ذلك من خلق العرب
 واما ان يكون قائله المشركين من اهل مكة مع علمهم بوقوع مثله في
 كلام بلغائهم فقد قالوا اجراً من ذباب واسمع من قراد واطيش من فراشة واضعف
 من بعوضة ، فيكون قولهم ذلك على وجه المكابرة والمعادلة فانهم لما
 غلبوا بالتحدي وعجزوا عن الانبان بسورة من مثله تعلقوا في معاذيرهم بهاته
 السفساف والمكابر يقول ما لا يعتقد والمججوج المبهوت يستعوج المستقيم ويخفي
 الواضح والى هذا الثاني ينزع كلام صاحب الكشف وهو اوفق بالسباق واور
 كانت السورة مدنية فان المشركين لم يزالوا يلغون الشبه في صحة الرسالة ويشيعون
 ذلك بعد الهجرة بواسطة المنافقين وقد دل على هذا المعنى قوله تعالى بعدا فاما
 الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم الى قوله وما يضل به الا الفاسقين للذين
 ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه .

فان قيل لم لم يكن الرد عقب نزول الآيات الواقع فيها التمثيل الذي
 انكره فالجواب ان الوجه في تاخير نزولها ان يقع الرد بعد الانبان
 بامثال معجبة اقتضاها مقام تشبيه الهيئات كما يمنع الحكيم عدولا من عطاء
 فيلزم بانه بخيل او يتاخر الكمي عن ساحة القتال مكيداً فيقول الناس هذا جبن فيسرها كلاهما
 في نفسه حتى ياتي احدها القاصد فيعطيه عطاء جزالا او حتى يكرالا خكرة تكون القاضية
 على قرنه فيعلم ان لا يخل ولا جبن فكذلك لما اتى القرءان باعظم الامثال واروعها وهي قوله
 مثلهم كمثل الذي استوفد . او كصيب الآيات وقوله تعالى صم بكم عمي . جاء اذ

ذلك لا بالرد عليهم ، وهذا الذكوة في موقع آية ان الله لا يستحي ان يضرب مثلاً بعقب الآيات السالفة لان ما ذكره المفسرون مقتصر على بيان وجه نزولها لا لبيان وضعها هنا

والمراد بالمثل الشبه مطلقاً لا خصوص المركب من الهيئة لان ما وقع الطعن بقوله ان يخلقوا اباؤهم كمثل العنكبوت ومواقع ان هنا لا يحتاج للتقرير واما الاتيان بالمسند اليه علماً دون غيره فلان هذا الاسم العلم جامع لجميع صفات الكمال فذكره اوقع في الاقتناع بان كلامه هو اعلى كلام في مراعاة ما هو حقيق بها . وليس الاسم العلم مفهوماً لانه من قبيل اللقب فليس من معنى الآية ان غير الله ينبغي له ان يستحي ان يضرب مثلاً ببعوضة بل المقصود ان ذلك لما كان يليق بكلام الله فهو يليق ايضا بكلام غيره لان الله مرصوف باعظم الكمال والبشر مأمورون بالتخلق بما يصدر منه تعالى مما هو في مقدورهم كقوله تعالى والله لا يستحي من الحق (١) . وهذا ايضا اختيار ان يكون المسند خصوص فعل الاستحياء زيادة في الرد عليهم لانهم انكروا التمثيل بهاته الاشياء لمراعاة كراهة الناس ومثل هذا ضرب من الاستحياء كما سنبينه فبه على ان الخالق لا يستحي من ذلك اذ ليس ما يستحي منه وقد يكون ذكر الاستحياء هنا محاكاة لقولهم اما يستحي رب محمد ان يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت ولا احسب ذلك وقع في كلامهم حتى يقابل بنظيره وانما فرضه صاحب الكشف تجويزاً

فان قلت اذا كان استعمال هذه الالفاظ الدالة على معان حقيرة غير مغل بالبلاغة والفصاحة فما بالنا نرى كثيراً من اهل النقد قد تقدوا من كلام البلغاء ما اشغل على مثل هذا كقول ابي الطيب « ومن الناس من يحور عليه شعراء كانوا الخاز باز فانكروا عليه لفظ الخاز باز اي الذباب وكذلك انكروا قول الاخر « خلق كانه لديه القمل » فالجواب ان انكار مثل ذلك ليس لانه غير جار على الفصاحة والبلاغة فان البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال فيرجع انكار ما اتكر من ذلك الى اختلاف

(١) واما قوله ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم فانما استحيى النبي لان

الحق المذكور حق له فله ان يسقطه واما الله فهو حاكم بانه الحق

المقامات التي قضت عوائد بعض القوم او طباع بعض اهل المجالس النفرة منها اذ لا ينبغي للشاعر ان يدخل بشعرا اقلنا سامعيه فالقصد من ذكر ذلك الانكار في كتب الادب الاشارة الى ضبط احوال اختلاف المقامات وتفاوتها كما قالوا في الفرق بين خطاب الذكي وخطاب الغبي .

والاستحياء وهو مصدر استحيى مثل الحياء الذي هو مصدر حبي والسين والتاء فيه للمبالغة مثل استقدم واستأخر واستجاب . والحياء ايضا اسم للحاصل من الاستحياء وهو انقباض النفس من صدور فعل او تلقيه لاستشعار انه لا يليق او لا يحسن في متعارف امثاله . والاستحياء هنا منفى عن ان يكون وصفا لله تعالى فلا يحتاج الى تاويل استادلا الى الله والتعلل لذلك بان نفى الوصف يستلزم صحة الانصاف لتعلل غير مسلم . وتكثير مثلا للتنويع بدلالة القرينة وهي بيانه بقوله بعوضة فما فوقها وما ابهامية تتصل بالنكرة فتؤكد معناها من تنويع او تفخيم او تحقير نحو لا مرما واطلا شيئا ما والظاهر انها مزبذبة لتكون دلالتها على التاكيد أشد . وقيل اسم بمعنى النكرة المبهمة

وبعوضة بدل او بيان من قوله مثلا والبعوضة واحدة البعوض وهي حشرة صغيرة طائفة ذات خرطوم دقيق تحوم على الانسان لتمتص بخرطومها من دمه غذاءها وتعرف في لغة هذيل بالخموش واهل الحضرتونس يسمونها الناموسة وقد جعلت هنا مثلا للغاية في الضعف

وقوله فما فوقها عطف على بعوضة والمراد بالفوق الزائد في العظم . وهذا الفاء عاطفة لا تدل الا على التسلسل والاتصال دون التعقيب لان التعقيب هو كون تعلق العامل بالمعطوف معاقبا لتعلقه بالمعطوف عليه وليس ذلك مرادا هنا ان الله يضرب بالبعوضة ثم بما فوقها بل المراد بيان المثل بانه البعوضة وما يندرج في مراتب القوة زائدا عليه درجة تلي درجة فالفاء في مثل هذا مجاز بعلاقة الاطلاق وهو ان موضوع التعقيب الذي هو اتصال خاص فاستعملت في مطلق الاتصال ونظيرة رحم الله المحققين والمقصرين

اختتام الحديث الشريف

الحذر من الغضب (٢)

بقلم الشيخ محمد ابن القاضي نائب الدولة لدى النظارة العلمية كان

قال الفخر الرازي : ان مجرد اجتناب الكبائر لا يوجب دخول الجنة بل لا بد معه من الطاعات . فالتقدير : ان اتيمم بجميع الواجبات واجتنبتم جميع الكبائر كفرنا عنكم بقية السيئات وادخلناكم الجنة : قلت ويظهر انه لا حاجة لهذا التقدير لانه ان لم يات بجميع الواجبات لم يكن محتسبا لجميع الكبائر فاجتناب جميع الكبائر مستلزم للاتيان بجميع الواجبات فلا حاجة للتقدير كما لا يخفى .

واما الآية الثانية فقول الله تبارك وتعالى : (الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) اصل الكظم شدد راس القربة عند امتلائها يقال فلان كظيم اي متليء حزنا . والغيظ هيجان الطبع عند رؤية ما ينكر والفرق بينه وبين الغضب على ما قيل ان الغضب يتبعه ارادة الانتقام البتة ولا كذلك الغيظ وقبل الغضب ما يظهر على الجوارح والبشرة من غير اختيار والغيظ ليس كذلك . وقبلهما متلازمان الا ان الغضب يصح اسنادا الى الله تعالى والغيظ لا يصح فيه ذلك . والمراد والمتجرعين للغيظ المسكين عليه عند امتلاء نفوسهم منه فلا يتقون ممن يدخل الضرر عليهم ولا يبذلون له ما يكره بل

يصبرون على ذلك مع قدرتهم على الانفاذ والانتقام . قال الفخر الرازي : وهذا الوصف من اقسام الصبر والحلم وهو كقوله . وذا ما غضبوا هم يغفرون . قال بعض اهل التفسير انما خص الغضب بلفظ الغفران لان الغضب على طبع النار واستيلاؤه شديد ومقاومته صعبة الا على من وفقه الله . عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا من كظم غيضا وهو بقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا رايمانا واخرج احمد عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله تعالى على رؤوس الخلائق حتى يخيره الله تعالى من اي الحور شاء . وفي الحديث الاول جزاء من جنس العمل وفي الحديث الثاني ما هو من ثوابه .

والمراد من العاقين عن الناس فيما قيل المتجاوزون عن المملوكين اذا أساءوا . وقال القفال يحتمل ان يكون هذا بسبب غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مثلوا بحمزة وقال لا مثلن بهم فندب الى كظم هذا الغيظ والصبر عليه والكف عما ذكر انه يفعله من المثلة فكان تركه فعل ذلك عفو قال تعالى في هذه القصة (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به واثن صبرتم له وخير للصابرين) قال صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه . واختار العلامة الأوسى ان يكون المراد من العاقين عن الناس المتجاوزين عن عقوبة من استحقوا المؤاخذا اذا لم يمكن في ذلك اخلال بالدين ~~ا~~كون الصوم اولى . فقد اخرج ابن جرير عن الحسن ان الله تعالى يقول يوم القيامة : ليقم من كان له على الله اجر . فلا يقوم الا انسان عفا . واخرج الطبراني عن ابي ابن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من سراً ان يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ويعط من حرمه وبصل من قطعه .

وقوله (والله يحب المحسنين) تذييل لما قبله - وال : اما للجنس والمذكورون داخلون فيه دخولاً اولياً واما للعهد وعبر عنهم بالمحسنين ايذاناً بان النعوت المعدودة من باب الاحسان لان الاحسان الى الغير اما ان يكون بايصال النفع اليه او بدفع الضرر عنه اما بايصال النفع اليه فهو المراد بقوله (الذين يتفقون في السراء والضراء) ويدخل فيه اتفاق العلم وذلك بان يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين ويدخل فيه اتفاق المال في وجوه الخيرات والعبادات قال عليه الصلاة والسلام السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار . والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار . واما دفع الضرر عن الغير فهو اما في الدنيا وهو ان لا يشتغل بمقابلة تلك الاساءات باساءة اخرى وهو المراد بكظم الغيظ روي عن عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا افضل الصلاة وازكى التسليم انه قال ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك ذلك مكافاة انما الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك . واما في الآخرة فهو ان يرى دمه من التبعات والمطالبات في الآخرة وهو المراد بقوله والعافين عن الناس وما يؤيد ان الاحسان هنا بمعنى الانعام ما اخرج به البيهقي ان جارية لعلي ابن الحسين رضي الله عنهما جعلت تسكب عليه الماء لينتهي للصلاة فمقط الابريق من يدها فشجه فرفع راسه اليها فقالت ان الله تعالى يقول (والكاظمين الغيظ) فقال لها لقد كظمت غيظي قالت (والعافين عن الناس) قال قد غفرت الله تعالى عنك قالت (والله يحب المحسنين) قال اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى

قال في الفتح انه ليس في الآيتين دليل للحذر من الغضب ولكنه لما ضم كظم الغيظ الى اجتناب الكبائر كان في ذلك اشارة اليه وتعقبه في عمدة القاري بان في كل منهما دلالة عليه لان الارى تمدح الذين يجتنبون كبائر الانم والفواحش واذا كان مدحاً يكون ضداً ذمياً ومن المذموم عدم التجاوز عند الغضب فدل على التحذير من الغضب المذموم واما الآية الثانية ففي مدح المتقين الموصوفين بتلك الاوصاف فدل على ان ضدها مذموم فعدم كظم الغيظ وعدم العفو عين الغضب فدل على التحذير منه

قال في الباب هذا الآية من اقوى الدلائل على ان الله تعالى يعفو عن العصاة
لانه مدح الفاعلين لهذا الخصال ودوا اكرم الاكرمين والعفو الغفور الحليم الامر
بالاحسان فكيف يمدح بهذا الخصال ويندب اليها ولا يفعلها ان ذلك لممتنع في
العقول ولقد خالف المعتزلة في ذلك واجمعوا على القطع بوعيد اصحاب الكبائر
واحتج ابو القاسم الكعبي بآية (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم)
فقال قد كشف الله بهذا الآية الشبهة في الوعيد لانه تعالى بعد ان قدم ذكر الكبائر
بين أن من اجتنبها يكفر عنه سيئاته وهذا يدل على أنهم ان لم يجتنبوها فلا تكفر
ولو جاز ان يغفر لهم تعالى الكبائر والصغائر من غير توبة لم يصح هذا الكلام. واجاب
على ذلك اهل السنة من وجوه كثيرة منها أنهم اما ان يستدلوا بهذا الآية
من حيث انه تعالى لما ذكر ان اجتتاب الكبائر يكفر السيئات وجب انه عند عدم
اجتتاب الكبائر لا يكفرها لان تخصيص الشيء بالذكر يدل على نفي الحكم عما عدا
وهذا باطل لان عند المعتزلة هذا الاصل باطل وعندنا انه دلالة ظنية ضعيفة
واما ان يستدلوا به من حيث ان المعلق بكلمة ان على الشيء عدم عند عدم ذلك
الشيء وهذا ايضا ضعيف . فقد ثبت ان المعلق بكلمة ان على الشيء لا يلزم ان
يكون عدما عند عدم ذلك الشيء ويؤيد ذلك من الآيات ما لا يحصى فمن ذلك
قوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصن) والاكرالا على البغاء
محرم سواء اردن التحصن او لم يردن وقوله تعالى (وإن خفتن ان لا تقسطوا في
اليتامى فانكحوا ما طاب لکم من النساء) والنكاح جائز سواء حصل ذلك الخوف
او لم يحصل وقوله تعالى (فان امن بضعكم بعضا فليؤد الذي اوتمن امانته) واداء
الامانة واجب سواء ائتمنه او لا . ولو اعطينا للمعتزلة جميع مرادانهم لم يكن في الآية
زياداً على ان نقول ان من لم يجتنب الكبائر لم تكفر سيئاته وحينئذ تصير هذه الآية
عامّة في الوعيد وعمومات الوعيد ليست قليلة والاجوبة عنها كثيرة فما كان جوابا
عن سائر العمومات هو صالح لان يكون جوابا عن تمسكهم بهذا الآية فلم يبق
لقول الكعبي قد كشف الله الشبهة بهذا الآية وجه . (ينفع)

(بقية) المقال الافتتاحي

لتحقق بها . فلم ينتصر الرسول على قريش وهو في المدينة بين اصحابه بل اعد العدة وغزاهم ودارت الحرب بينه وبينهم وحدث ما حدث يوم احد لما نزل الرماة من جبل احد وتركوا ظهر القيادة مكشوفاً فلحقهم ما لحقهم لانهم خالفوا السنن التي جعلها الله كفيلاً بالنصر وقد حصل ذلك ليعلم المسلمون ان وراء العقيدة اعمالاً هم مكلفون بالقيام بها فاذا هم راعوها حق رعايتها سلموا من الهلاك وان هم اخلوا بها دب اليهم الفساد وحل بهم ما حل بغيرهم من الامم من اصناف الفساد والهلاك . وتلك سنة الله في الذين خلوا من قبل وان تجد لسنة الله تبديلاً .

فشفاء المسلمين من امراضهم الاجتماعية ليس بالامر العسير ولا ان امراضهم الاجتماعية متعذرة العلاج الذي يضمن لهم السلامة مع المحافظة على مقوماتهم وهو ان يسلكوا ما تقتضيه سنن تكون واصول الاجتماع ويكفي في صحة ذلك ما بلغ اليه المسلمون بدينهم لما مارسوا الحياة على مقتضى السنن السكونية وارتقوا الى ما ارتقوا اليه لما اتبعوا سنن الارتقاء واهتدوا بهدي الاسلام الى صفات بها السمو والاعتلاء ومعنى ذلك ان نبحت مواطن الضعف كما قلنا فنعالجها بمصل القوة ونبحث عناصر الجهل فنزيل عن النفوس الغشاوة ونعلم العلم الصحيح ونبحث عن المزالق والمخاطر فنحصد منها ونقود الافكار فنزيل عنها جمودها وجوحها بنزع قيود الرق وهدايتها الى الصراط المستقيم وتلقين الشباب يكون بما فيه صلاحه وتوجيه جدته الى الخير وتحريك مميز الواجب الشخصي والكفاءة الشخصية وبمقتضى الهمم في الافراد والجماعات على اقتحام المصاعب والاقدام على المشروعات النافعة والجرأة على منافسة الامم وممارسة مشاق الامور ونزع الصفات التي فعدت بالشرق عن الالتحاق بمراكب الغرب في مضمار الحياة فان انرى الناس في تلقين شبابهم يلقنونهم ما يقوم حاجزاً حصيناً يتركمهم الى الوراء وهم يظنون انهم يحسنون تربيتهم فيشون فيهم التآثر بالغير بدل المروءة . والحشية من كلام الناس بدل ان يعلموهم كيف يكون الانسان مستقلاً بنفسه . فيترى الطفل منذ نعومة اظفاره على مجارات الدهماء في اقوالهم وافعالهم ولا يستقل بشخصيته في حال من الاحوال . ويرغبونهم في التقليد بدل بحث الهممة على

الابتكار واستخدام المواهب التي اودعها الله في الصنائع والاعمال التي يفومون بها وببدل الجد والاجتهاد يبتغون فيهم الاستسلام والحمول فينشا الشباب ميالا الى السكون والكسل والراحة ، وبدل اقتحام المخاطر يحسنون اليهم الرضا بما حصل والاكتفاء بما نالوه ابعد هذه التربية التي ينشا عليها الشباب يقال ان شباب الاسلام لا يصلح لان يكون له شان في الحياة باعتبار ان نشاته الاجتماعية الاسلامية قضت عليه فلا يقدر على مجازات شباب هذا العصر . كبرت كلمة تخرج من هذه الافواه ان الاسلام لم يفرض تلك التربية ولا امر بالتخلق بها بل ان الاسلام فرض فروضا اذا روعيت ضمنت للامة حياة العز والكرامة واخرجت للعالم شبابا متحصنا بالعلم الصحيح والحلق الكامل والضمير الطاهر قوي الجانب طموحا كريم النفس يخوض معارك الحياة ويخرج منها منتصرا والمضار التي لحقت بهم ناتجة من سوء تربيتهم وتصورهم للاشياء على غير صورتها الصحيحة وهذا من اعظم المخاطر التي تقع فيها الامم وتبقى عليها ما دامت لم تنبه الى انها تضر بنفسها في الوقت الذي تحسب انها احسنت في صنعها ذلك ولا مخرج لها مما وقعت فيه اذا لم تعلم انها اخطأت الطريق فمن العقل الراجح ان تسليح بسلاح التربية الفاضلة والمبادي الصحيحة في تهذيب مجتمعاتنا ونعتاض من الركوب على متن عمياء بملوك طريق جديدة ومنهج مستقيم وان النهضة الحديثة التي انبثق فجرها لا يصح ان نصفها بحق انها نهضة سليمة من النقائص والعيوب تضمن للامة ما تصبو اليه الا اذا سارت اشواط نحو الكمال الحلقى الذي يحفظها من المزالق ويضمن لها السير على اقوم مثال ويبعث النفوس على الطموح الى الرقي ، ونحن اذا بحثنا عن امراض المجتمع وبحثنا عن الادوية فاننا بحثنا مسألة هي من اعقد المسائل واعظها وما زال الناس يبحثون عن ادواء المجتمعات وهي شغلهم الشاغل وما ذلك الا لعظم اهميتها وخطورة اثرها عند الامم وان العناية بالمجتمع هي في الحقيقة العناية بالجواهر وفي سلامته سلامة

الامة افرادا وجماعات وليس من حل المسألة الاجتماعية الا اذا علم كل فرد واجبه في الحياة الحلقى والعملى وذلك ما نرجو ان نعالجه في نوالي البحث فيه بعون الله وتوفيقه

مجتبى الزليطني

التشريع الاسلامي

حاجة البشر الى الشرايع

بقلم العلامة الشيخ محمد الهادي ابن القاضي

ذكرنا في مقالنا السابق ان ادوار التشريع التي ستمر بنا خمسة واول هذه الادوار هو دور التكوين والاكتمال ومن المهم ان نقدم قبل الكلام على هذا الدور تهيئاً معهما في بيان حاجة البشر الى الشرايع ولانبائه مسلكان نستمدهما من رسالة التوحيد للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده المصري

التفسير

المسلك الاول مستمد من عقيدة ان للنفس الانسانية حياة اخرى بعد هذه الحياة التي نحياها وانها تتمتع فيها بنعيم او تشقى فيها بعذاب اليم وان السعادة والشقاء في تلك الحياة الباقية منوطان باعمال المرء في حياته الفانية سواء اكانت تلك الاعمال قلبية كالاقتادات او بدنية ك انواع العبادات والمعاملات فقد اتفقت كلمة البشر لا فرق بين موحدين وغيرهم الا شذوذا لا يقام لهم وزن على ان لنفس الانسان بقاء تحيا بعد مفارقة هذا البدن الفاني وانها لا تموت موت فناء وان اختلفت منازلهم في تصوير ذلك البقاء وتباينت مشاربهم في طريق الاستدلال عليه هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبت في جميع الانفس قديمها وحديثها

لا يمكن ان يعد نزغة وهمية او ضله عقلية وانما هو من الالهامات التي اختص بها هذا النوع فقد ألهمت العقول ان هذا العمر القصير ليس هو منتهى ما للانسان في الوجود ذلك الهام يكاد يزاحم البديهة في الجلاء . وقد اخذ هذا الشعور بهيج بالارواح التي تتحسس هذا البقاء الابدني وما عسى ان تكون عليه متى وصلت اليه وكيف الاهتداء واين السبيل . كما صاحب ذلك شعورنا بالحاجة الى استعمال عقولنا في تقويم هذه المعيشة القصيرة الامد التي كانت جسرا نمر عليه للوصول الى تلك المعيشة السرمدية وهل فيما بين ايدينا من الشاهد معالم نهتدي بها الى الغائب وهل في طرق الفكر ما يوصل كل احد الى معرفة ما قدر له في حياة يشعر بها وبان لا مندوحة له عن القدوم عليها ولكن لم يوهب من القوة ما ينفذ الى تفصيل ما اعد له فيها فان النظر الى المعلومات الحاضرة لا يوصل الى اليقين بحقائق تلك العوالم المستقبلية . افليس من حكمة الحكيم الذي اقام الانسان على قاعدة الارشاد التعليم ان يجعل من مراتب الانفس البشرية مرتبة يهدا بمحض فضله من يصطفيه من خلقه (الله اعلم حيث يجعل رسالاته) يميزهم بالفطر السليمة ويبلغ بارواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بانوار علمه والامانة على مكنون سره ثم يتلقون من امره ان يحدثوا عن جلاله وعما خفي على العقول من شؤون حضراته بما يشاء ان يعتقدوا العباد فيه وما قدر ان يكون له مدخل في سعادتهم الاخرية وان يبينوا للناس من احوال الآخرة ما لا بد لهم من علمه وان يبلغوا عنه شرائع تحدد لهم سيرتهم في تقويم نفوسهم وكبح شهواتهم وتعلمهم من الاعمال ما هو مناط سعادتهم وشقاوتهم ويدخل في ذلك جميع الاحكام المتعلقة بكليات الاعمال الظاهرة والباطنة

المسلك الثاني: يؤخذ من طبيعة الانسان نفسه فان الانسان نوع من
الانواع التي غرز في طابعها ان تعيش مجتمعة مؤلفة متعاونة وان تعددت فيها

الجماعات وادع في كل شخص من اشخاصها شعور ما يحتاجه الى سائر افراد الجماعات التي يشملها اسم واحد وتاريخ الانسان شاهد بذلك فلا حاجة الى الاطالة في بيانه. وكلما كثرت مطالب الفرد في معيشتة ازدادت به الحاجة الى الايدي العاملة فتمتد الحاجة الى الاهل ثم الى العشيرة ثم الى الامة ثم الى النوع بأسره وعصرنا هذا اكبر شاهد على ان الصلة التابعة للحاجة قد تعم النوع كله كما لا يخفى

ولو جرى الانسان على اصل الحلقة والقطرة لكانت هذا الحاجة من افضل عوامل المحبة بين افرادها والمحبة عماد السلام ورسول السكينة الى القلوب وهي الدافع لكل من المتحابين على العمل لمصلحة الآخر فكان من شان المحبة ان تكون حفاظا لنظام الامم وروحا لبقائه ولكن الانسان وما ادراك ما هو ليس مما يلهم ولا يتعلم ولا مما يشعر ولا يتفكر بل كان كماله النوعي في اطلاق مداركه عن القيد ومطالبه عن النهايات وقد اودع من قوى الادراك والعمل ما يعينه على المغالبة وبمكسنته من المطالبة بسعيه ورايه ويتبع ذلك ان يكون له في كل كائن مما يصل اليه لذّة ويجوار كل لذّة اله ومخاوفه فلا تنتهي رغائبه الى غاية ولا تقف مخاوفه عند نهاية وقد تفاوتت افرادا في مواهب الفهم وفي قوى العمل وفي الهمة والعزم فمنهم المقصر ضعفا او كملا المتطاول في الرغبة شهوة وطمعا يرى في اخيه انه العون له على ما يريد لكنه يذهب الى تنخيل اللذّة في الاستئثار بجميع ما في يده ولا يقنع بعاوضته في ثمرة من ثمار عمله

وقد يجد اللذّة في ان يتمتع ولا يعمل ويرى الخير في ان يقيم مقام العمل اعمال الفكر في استنباط ضروب الحيل ليمتع وان لم ينفع ويذهب في ذلك الى ابعد غاية فكلما حثه الخيال الى دفع مخافة او الوصول الى لذّة فتح له الفكر بابا من الحيلة أو هيا له وسيلة لاستعمال القوة فقام التناهب مقام التواهب وحل الشقاق محل

الوفاق وهل وقف الهوى بالانسان عند جد التناقس في اللذائذ الجسدانية وتجالد
افرادا طمعا في وصول كل الى ما يظنه غاية مطلبه كسلا ولكن قدر له ان تكون
له لذائذ روحية وكان من اعظم همهم ان يشهر بالكرامة له في نفس غيره ممن
تجمعه معهم جامعة ما

وقد بلغت هذا الشهوة حدا من الانفس كادت تغلب على جميع الشهوات
وهي لا تملك من افضل العوامل على احراز الفضائل وتمكين الصلات بين الافراد
والامم لو صرفت فيما سبقت له ولكن انحرف بها السبيل كما انحرف بغيرها لنفس
الاسباب التي اشرنا اليها من التفاوت في مراتب الادراك والفهم والهمة والعزيمة حتى
خيل لكثير من العقلاء ان يسعى لاعلاء منزلته في القلوب باخافة الامن وازعاج
الساكين واشعار القلوب رهبة المخافة لا تهيب الحزمة

فهل يمكن مع هذا ان يستقيم امر جماعة بني نظامهم وعلق بقاؤهم في الحياة
على تعاونهم او لا تكون هذا الافاعيل السابق ذكرها سببا في فنائهم . لا ريب ان
البقاء على تلك الاحوال من ضروب المحال فلا بد للنوع الانساني لحفظ بقائه من
المحبة او ما ينوب منابها وقد جرت كلمة حكيمة على لسان بعض العارفين (ان
العدل نائب المحبة) ولكن من يقيم قسطاس العدل او بعبارة ادق من الذي يضع قواعد
العدل ويحمل الكافة على رعايتها . وهل يكفي العقل وحده لاقامة ذلك ؟
انا وان كنا نسلم ان من الناس من رزق من قولا العقل واصالة الحكم ما
يعلموا بهم فوق ما تحيله المخاوف فيعرفون لكل حق حرمة ويميزون بين لذا ما
يقنى ومنفعة ما يبتى وقد جاء منهم افراد في عصور مختلفة وضعوا اصول الفضيلة
وكشفوا وجولا الرذيلة ومنهم من انفق في الدعوة الى رايه نفسه وماله ومضى
شهيد اخلاصه في دعواه قومه الى ما يحفظ نظامهم

لكن هل سمع في سيرة الانسان وهل ينطبق على فطرته ان يخضع كافة افرادا او الغالب منهم لراي العاقل لمجرد انه الصواب؟

وهل كفى في اقتناع شعب منهم او امة قول عاقلهم أنهم مخطئون وان الصواب فيما يدعوه اليه وان اقام على ذلك من الادلة ما هو اوضح من الضياء واجل من ضرورة المحبة الى البقاء؟

كلا لم يعرف ذلك في تاريخ الانسان وههنا ان يكون ذلك بعد ما عرفنا من تفاوت الناس في الادراك

واذا اضفت الى ذلك ما هو لازم للانسان من نزعات الفكر ونزعات الالهواء محملا ففكره وقوت فطنته علمنا علما لا يعتد به الشك ان العقل وحده

غير صالح لاقرار قواعد العدل وحمل الناس على الاعتراف بها واتباعها
واذا علمنا ان هناك شعورا هو الصق بالانسان وبغريزته البشرية بان هناك قوة هو مغلوب لها وانها ارفع من قوته ومن قوة كل ما انس منه الغلبة عليه مما حوله وانه محكوم بارادة تصرفه وتصرف ما هو فيه من العوالم في وجوه لا يعرفها وتشعر كل نفس انها مسوقة لمعرفة تلك القوة العظمى ولكن الخلاف اشد بينهم في هذه القوة وفي ادراك كنهها بما كان اشد اثرا في التقاطع بينهم واثارة اعاصير الخلاف والشقاق من اختلافهم في معرفة النافع والضار لغلبة الشهوة عليهم كان من الحكمة لا محالة ان يجود الواهب الجواد سبحانه على هذا النوع بما هو امس بالحاجة الى البقاء وآثر في الوقاية من غوائل الشقاء واحفظ لنظام الاجتماع وهو النائب الحقيقي عن المحبة

ولا تخالف سنته فيه من بنائه على قاعدة التعليم والارشاد فاقام له من بين افراده مرشدين هادين وميزهم بخصائص في انفسهم لا يشاركهم فيها سواهم يعلمون الناس ما شاء الله ان يصلح به معاشهم ومعادهم وما اراد ان يملؤوا من شؤون ذاته وصفاته واولئك هم الانبياء والمرسلون

فبعثة الانبياء حاجة من حاجات الانسان في بقاءه ومنزلتها من النوع منزلة العقل من الشخص نعمة انهما الله لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل

لفريات

تصحيح اخطاء وتحاريف في اللغة العربية

من طبعة جهرة الانساب لابن حزم

بقلم العلامة المحقق الاستاذ الاكبر الشيخ

محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع وفروعه

كتاب جهرة الانساب لابي محمد علي بن احمد بن حزم القرطبي الاندلسي المتوفي سنة ٤٥٦ هـ كتاب جليل عزيز النظر نادر الوجود لا تتجاوز النسخ الموجودة منه عد الاصابع منها نسخة بجامع الزيتونية الاعظم بتونس وكنت قديما معنيا بمطالعتها على كثرة التحريف فيها وقد اهتم بنشره وطبعه بمطبعة المعارف بالقاهرة المستشرق الضليع الاستاذ ليفي بروفنسال بعنايته وتحقيقه وضبطه وتعليقه ووقعت الي نسخة من هذا المطبوع فابتهجيت بذلك وقدرت قدر ما صرف من الجهد في الضبط والتعليق، وانه بثناؤه على ذلك لخليق . بيد اني وجدت فيما نشره كلمات منيت بالتحريف او بخطا في الضبط او وجوها مرجوحة او مشكلة في الاسماء او نقصا نشا عن اهمال او غفلة وذلك لكثرة التحريف في نسخ الجمهرة بحيث لاغنى للمحقق عن المصير في عمله الى الاصول اللغوية والتاريخية وكتب الحديث والسيرة والمعاجم في اسماء الرجال والقبائل والبلدان

من اجل ذلك رايت ان اصلح ما امكن لي اصلاحه واحققه او ازيد شيئا وقع اغفاله مع التنبيه على مرجع التصحيح ان لم يكن وجه التصحيح واضحا مقتصر

على الاسماء العربية دون البربرية والعبرية والفارسية اذ كان للعرب في النطق بالاسماء العجمية سعة معروفة في قولهم «اعجمي فالعب به ماشئت» وقد ائبه على اصلاح في العربية اذا كان خلله مما يختل به المعنى او كان قد اشتهر الخطأ فيه على السنة بعض الكتاب ثم رايت ان انشر ذلك ليلحق بتلك النسخة مشيراً الى الصفحة والسطر من النسخة مع ذكر الخطأ او المرجوح الواقع فيها وما هو الصواب او الراجح فيه او ما تعين ان ازيد به وربما اشرت الى ما خالفت فيه النسخة التونسية من الجمهرة التي هي من جملة الاصول التي اعتمدها الناشر وفيها تصحيحات بخط احد الفاسيين ولا ادعي اني احطت بما في هذه الطبعة من الاخطاء، فمن عثر على شيء فليبق على ما قدمته من الخطأ

ص ٤ س ٨ كُتب «الرجال» بالراء والصواب الدجال بالدال وتشديد الجيم كما في حديث البخاري (ص ٦٦ جزء ٨ فتح الباري)

ص ٦ س ١٤ ضبط تعق بفتح التاء والصواب ضم التاء الاولى وكسر التاء الثانية ص ٦ س ٢٠ كُتب واما عاد (بلا تنوين) والصواب عاد بالتنون

ص ٧ س ٢١ كُتب قصورا بقاء وصاد مهملة والفاء في آخره وفي النسخة التونسية قطورا بطاء وكلاهما خطأ والصواب انه حضور بحاء مهملة مفتوحة في اوله وضاد ساقطة معجمة وبدون الفاء في آخره كما في تاج العروس قال وشذ من رواء بالالف المدودة قلت ووقع لابن خلدون بالفاء مقصورة في آخره (ص ٣٠ ج ٢ بولاق سنة ١٢٨٤)

ص ٩ س ٩ كُتب حزين بضاد ساقطة معجمة وصوابه كما في النسخة التونسية حزين بالصاد المهملة .

ص ٩ س ١٧ ضبط الهون بفتح الهاء والصواب الهون بضم الهاء كما في

القاموس

ص ١٠ س ٣ وملسان ضبط بفتح الميم والصواب كسرهما كما في القاموس

ص ١١ س ١٠ « من ولد لوي ، وعوف » قد سقطت هنا كلمات فالصواب
هكذا « من ولد لوي بن غالب . وسامة بن لوي . وقد قيل وخزيمة بن لوي . وسعدان
لوي وعوف » هكذا في النسخة التونسية مع تصحيح من صحيحها
ص ١٢ س ٤ - ٦ كتيب (اسامة) مرتين والصواب سامة بدون همزة كما في
النسخة التونسية

ص ١٢ س ٥ كتيب الاخرم بهمزيين وخامعة وراء والصواب احزم بهمزة
واحدة وحاء مهملة وزاي كما في القاموس

ص ١٣ س ١ « والمقوم » ضبط بفتح الواو ويجوز في الواو الكسر
ص ٦٥ س ٥ - ٦ - ٨ - ٩ - ١٢ - ١٥ - ضبط ابو لهب بسكون الهاء
والسكون مرجوح والاولى فتح الهاء كما جاء في القرءان ولذلك صدر به القاموس
ص ٧١ س ١٠ كتيب « وابوعمر » وصوابه « وابوعمر » كما في القاموس وغيره
ص ٧٦ س ٢١ كتيب وقطر براء في اخرة والصواب قطن بنون كما في
النسخة التونسية وهو المعروف في الاسماء

ص ٧٧ س ١٣ (وابن آخر) جعل بين علامتين كأنه اشارة الى انه مما زاده
الناشر وهو زيادة لا وجه لها والصواب زيادة واو وحذف ابن آخر
ص ١٠٥ - ١٠٦ س ٢٠ - ١ - كتيب كميم مرتين ولا يعرف هذا الاسم
والذي في النسخة التونسية كضم بضاد وعليه اثر اصلاح فليحقق

ص ١١٧ س ٣ « ابو السنايل » الصواب ابو السنايل بدون تحتية كما في صحيح
البخاري والاصابة

ص ١٢١ س ٢٠ كتيب « فولد عبد : عوف مولد عوف بن عبد بن الحارث »
هكذا وقع ايضا في النسخة التونسية وهو غير منتظم والصواب « فولد عبد : عوف .
وعبد عوف . فولد عوف بن عبد بن الحارث الخ » كما يوخذ من النسخة التونسية فيما يلي
ص ١٢٢ س ١ كتيب « وولد عوف بن عبد » والصواب « وولد عبد عوف بن

عبد الخ « كما في النسخة التونسية

ص ١٤٠ س ٢٠ ضبط « وعويج » بضم العين وفتح الواو والصواب انه بفتح العين وكسر الواو كما في الاصابة في ذكر خارجة بن حذافة بن عويج هذا
ص ١٤٢ س ٧ كتب عائد بدال مهملة والصواب انه بدال معجمة كما في
النسخة التونسية وهو لقب عبد الله بن الزبير

ص ١٤٦ س ٩ ضبط « المجبر » بكسر الباء والصواب فتحها كما في القاموس
ص ١٤٨ س ١٠ ضبط « بن مال » بثنوين اللام والصواب بكسرة واحدة في
اللام ترخيم مالك في غير النداء لضرورة الشعر

ص ٤٨ س ٤٩ و ١٢ ضبط عويج بضم ففتح وقد تقدم صوابه في تصحيح
صفحة ١٤٠ ص ١٥١ س ١ كتب « الدهرانيون » بدال في اوله والصواب
الوهرانيون بواو في اوله كما في النسخة التونسية

ص ١٥٦ س ٤ قوله « فابو حذافة » كذا كتب في النسخة التونسية وهو مشكل
من جهة ربط الكلام ومن جهة الاعراب فاما من جهة الربط فلا وجه للقاء في قوله
« فابو » لان ابا حذافة يتعين ان يكون عطف بيان من « ولد » في قوله الا ولد ابي
سلمة الخ واما من جهة الاعراب فحيث انه استثناء من كلام مثبت يتعين نصب « ولد
ابي سلمة » ونصب « وءاخر من حدث » عطفا على ولد ابي سلمة ونصب ابا حذافة
لانه بيان من لفظ « آخر »

ص ١٥٧ س ٦ و ١٦١ س ٩ - ١٣ - ٢٢ - « مبيض » ضبط بضم الميم
وفتح العين والصواب انه بوزن امير كما في القاموس
ص ١٦١ س ١١ « بشر بن اوطاة » ضبط بكسر الباء وكتب بشين معجمة
والصواب انه بسين مهملة وبضم الباء كما هو معروف

ص ١٦٤ س ١١ « وفي همدان احرم بحاء منقوطة » صوابه بحاء غير منقوطة
كما في النسخة التونسية

ص ١٦٦ س ٤ « ابن خطل » ضبط بكسر فسكون والصواب ابن خطل

بفتحيتين كما في القاموس وكتب السيرة والحديث

ص ١٦٦ س ٩ «الخطلان» ضبط بكسر فسكون والصواب الخطلان بفتحيتين وهو ثنية خطل المذكور قبله على وجه التعليق

ص ١٦٦ س ١٢ كتب «وضبة وضباب» وضبط ضباب بتشديد الباء وصواب العبارة «وضبة والظرب وضباب» كما في النسخة التونسية والظرب بوزن كتف وضباب بوزن كتاب

ص ١٦٧ س ١٥ - ١٧ ضبط «الحلج» بفتحة فسكون والصواب انه بضميتين كما تقدم مانفا

ص ١٧٠ س ١ كتب «المعترف» مبرتين بعين مهملة والصواب انه بالغين المعجمة كما في الاستيعاب وغيره ووقع تحريف في مطبوع الاصابة

ص ١٧٠ س ٢ كتب «اهيب» بهمزة وضبط بفتح فسكون ففتح والصواب «وهيب» بالواو كما في النسخة التونسية والاستيعاب ووقع تحريف في الاصابة المطبوعة والصواب ضبطه بضم الواو وفتح الهاء وسكون اليا

ص ١٧٠ س ١٢ كتب «مالك» بالفاء والصواب انه بدون الف وبسكون اللام كما نبه عليه المؤلف في ذكر بني كنانة انظر ص ١٠

ص ١٧٠ س ١٢ ضبط «ملكان» بفتح الميم والصواب انه بكسر الميم كما تقدم في صفحة ١٠

ص ١٧٠ س ١٢ لم يضبط «حدال» وهو يضم الحاء المهملة وتخفيف الدال بوزن غراب كما في القاموس . (له بقية)



في اللغة (٢)

بقلم العلامة الذحرير الشيخ محمد المستبري المدرس بجامعة الزيتونة

لقد اتينا في بحثنا السابق المنشور بالعدد الفارط من مجلتنا هذا على طائفة من الالفاظ التي يقع فيها الخطأ بكثرة متداولة واشرنا الى مواطن تلك الاخطاء والى وجه الصواب فيها وذلك اقل واجب يتقاضانا للذود عن حياض لغتنا من لوثة العجمة والعامية وحتى ندفع عن انفسنا - معاشر التونسيين - وصمة التسواني والغفلة في الدفاع عن لغة القرآن بتقويم ما اروج من اقلام اخواننا الكرام الكاتبين وليظهر جلال الوحدة العربية لكل ذي عينين ويرتد طرف الناقمين عليها وهو حسير لذلك نعود اليوم الى مواصلة البحث في اخطاء اخرى فمن ذلك قولهم :
 ها نحن قد اجتمعنا. الخ وها انا قد اتيت اليك. الخ والصواب ان يقال في الاول
 ها نحن اولاء قد اجتمعنا وان يقال في الثاني وها انا ذا قد اتيت اليك لما تقرر في
 النحو من ان جواز دخول ها التنبيه على ضمير رفع منفصل مشروط بان يقع الاخبار
 عنه باسم الاشارة وتخلف هذا الشرط شاذ كما نقل ذلك البدر الدماميني عن ابن
 هشام في حواشيه على التسهيل ومن باب التوسع العلمي نذكر هذا اللطيفة وهي
 ان الامام ابن هشام نفسه الملقب عنه هذا الشرط قد وقع في هذا الشذوذ في خطبة
 كتابه الفريد « مغني اللبيب » حيث قال وها انا بائع بما اسررت الخ فرحم الله
 الامام مالكا القائل : كلكم راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم
 ومن ذلك قولهم في بحران هذه المدلة او هذا الشهر وهو خطأ والصواب
 ان يقال في غصون او اثناء هذه المدلة حيث انهم ذكروا لهذه اللفظة معنى لا
 يتفق وما يقصدون قال في تاج العروس صفحة ٣٠ جزء ٣ :

« وبحران المريض » بالضم « مولد » وهو عند الأطباء التغير الذي يحدث للمريض دفعة في الامراض الحادة « و » يقولون « هذا يوم بهران مضافا » كذا في الصحاح وفي نزهة الشيخ داود الانطاكي البهران بالضم لفظة يونانية وهو عبارة عن الانتقال من حالة الى اخرى الى ان قال : ثم الانتقال المذكور اما الى الصحة او الى المرض والاول البهران الجيد والثاني الرديء اه وبهذا المعنى ورد في مقامات الحريري في المقامة الاربعين التبريزية « هذا يوم الاعتزام هذا يوم البهران » .

ومن الاخطاء التي شاعت وزاعت وانساق اليها كثير من الكتاب انسياقا قولهم أهل كان كذا فيدخلون حرف الاستفهام الذي هو الهمزة على هل الاستفهامية ومنوع عربية الاستفهام بحرفين كما نقل ذلك صاحب لسان العرب صفحة ٢٣٥ ج ١٤ عن الليث حيث قال : قال الليث هل حقيقة استفهام تقول هل كان كذا وكذا وهل لك في كذا وكذا قال وقول زهير * اهل انت واصله * اضطرار لان هل حرف استفهام وكذلك الالف ولا يستفهم بحرفي استفهام اه وعليه فالعرب ان يقال اكان كذا او هل كان كذا

ومن الاخطاء الشائعة ايضا قولهم مثلا حسبا تضمنته الافعال اعلا لا فيجمعون فصلا على افعال وهو خطأ لان افعالا لا تكون جمعا لفعل بفتح الفاء الصحيح العين الساكنة كفصل الاسنودا فيقتصر فيه على ما سمع كاحمال وازناد وافراخ واحبار جمع حمل بفتح الحاء وزند بفتح الزاي وفرخ بفتح الفاء وحبر بفتح الحاء هذا مذهب الجمهور خلافا للقراء الذاهب الى ان افعالا ينقاس في فعل اذا كانت فاؤلا همزة كالف او واوا كوهم

وعلى كلا المذهبين لا يجوز لنا ان نجمع كلمة فصل على افعال وانما الوجه ان نجمعها في القلة على افعال لقول ابن مالك * لفعل اسما صح عينا افعال *

وفي الكثرة على فعول بضم الفاء لقوله ايضا
وبفعول فعل نحو كبدا يخص غالبا كذلك يطرد

في فعل اسما مطلق الفا الخ

ويقولون هذا حديث فذلكمة ويقصدون بلفظ الفذلكمة معنى الدعابة والفكاهة
وهو خطأ لان الفذلكمة في العربية معناها خلاصة الحساب حيث يقال فذلك حسابه
فذلكمة بمعنى انها لا وفرغ منه وهي منحوتة من قول الحاسب اذا اجمل حسابه فذلك كذا
وكذا اشارة الى حاصل الحساب ونتيجته كما تطلق بمعنى مجهل الكلام وخلاصته
وقد اهملها صاحب لسان العرب كما اهملها الجوهري وانفرد بذكرها
صاحب القاموس وقال مرتضى فذلك الحساب كفهرس الابواب فهرسة الا ان
فذلك ضارب بعرق في العربية وفهرس معرب اه مرتضى صفحة ١٦٦ ج ٧
ويقولون الحضور في الساعة الحادية عشر او الساعة الحادي عشرة ففريق يجرد الجزء
الاول من التاء وفريق يجرد القسم الثاني منها اعتمادا منهم على ان قاعدة العدد
توجب المخالفة بين المعدود واسم العدد في التذكير والتانيث فاضطربوا في تطبيق
تلك المخالفة فمرة يراعونها في الجزء الاول وطورا في الجزء الثاني وكلاهما خطأ
والصواب ان يقال الساعة الحادية عشرة بالمطابقة فيهما تانيثا كما يجب ان يجرد
الجزءان من التاء اذا كان المعدود مذكرا قال الامام ابن هشام في التوضيح ما نصه
« والرابع ان يستعمله (اي اسم الفاعل المشتق من اسم العدد) مع العشرة
ليفيد الانصاف به معنالا مقيدا بمصاحبة العشرة فتقول حادي عشر بتذكيرها وحادية
عشرة بتانيثها وكذا تصنع في البواقي تذكر اللفظين مع المذكر وتؤنثها مع المؤنث
فتقول الجزء الخامس عشر والمقامة السادسة عشرة اه (للكلام بقية

محمد المستيري

تراجم الاعلام

الشيخ صالح الشريف

بقلم العلامة النحرير الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور المدرس بجامع الزيتونة

في الشخصيات الاسلامية اعلام كلما رن ذكرها في وسط من الاوساط المحدودة الضيقة انبعث طينته عاليا داويا في الاجواء حتى تعود اصداؤا المتجاوبة الى الوسط الذي انبعثت عنه باصوات مجموعة مما تفور به الآفاق شرقا وغربا فاذا هي الاجواء البعيدة الممتعة حاضرة مجلولة تشرق ببريقها وتشف بوقعها واذا الوسط الذي كان ضيقا حرجا قد اصبحت بما حملت اليه تلك الذكرى في انشراح وسعة ينطوي على عالم من الاسرار والانوار قد تضخم به وجود لا يعظم واشرفت به حقيقته فاستضاءت واستعلنت

لذلك ترى العواصم الشريفة جد حريصة على ان تتخذ وسائل الاحياء والتعريف لاعلام الرجال الذين خلدوا في تاريخها لتجعل من اصدااء اسمائهم حقائق حية لمعان ما كانت تعاق بها لولا اولئك الاعلام

وما العلم الذي هو موضوع الترجمة الا واحد من ابرز هؤلاء فهو الاسم الذي كلما ذكرته البلاد التونسية علفت بذكره على واجهة المدينة معاني مرتبطة بذلك الاسم الشريف من تاريخ القطر الجزائري الشقيق ومقام النسب النبوي الشريف في جبال القبائل منه وما لقيت به توت تونس الذين اوا اليها في مهاجرينهم ثم نشرت صحيفة من حياة العام والبيان المطوية في تاريخ جامع الزيتونة الاعظم وبعثت تيارا عن روح الجامعة الاسلامية كان يجري في حياة الجيل الماضي متدفقا بتونس وبالاستانة العلية وطرابلس الغرب والواجهة البلقانية وبالحرمين الشريفين ومصر والشام حتى بلغ اروبا الوسطى واختلط بمنايع نهر الرن فكان بذلك كله

لمدينته الخضراء عنوانا يشرفها عند نفسها ويعرفها عنه الناس

فقد انحدر الشيخ صالح الشريف من ارومة كريمة صريحة النسب الادريسي الحسني استقرت في شمالي المملكة الجزائرية بمنطقة بجاية على المقام الاسمي الذي يحتله السادة الاشراف الادارسة من نفوس القبائل الكبرى ببجبال جرجرة وانتقلت هذه العائلة الكريمة الى تونس اثناء النصف الاول من القرن الماضي

على منهج الفضل والطهر والصلاح والعلو الذي سلكته في تاريخها الجزائري ففي سنة ١٢٥٦ كان جد مترجمنا الشيخ محمد العربي الشريف احد الخمسة عشر عالما من المالكية الذين نظمهم المشير الاول المقدس احمد باشا في سلك التدريس الرسمي بجامع الزيتونة الاعظم بمقتضى النظام الذي احده بالعلقة ثم كان ولد الشيخ محمد المختار والد مترجمنا من افاضل الفقهاء العدول المرموقين في الحاضرة وبخاصة في ربضها الجنوبي بعين اجلال وتكريم

وولد مترجمنا في حدود سنة ١٢٨٥ على مهد المروعة والطهارة تحرطه مثل الفضيلة وذكربات العزلة فارتضع افويق البيان العلوي والحكمة الحسنية وفطم على حلاوة الايمان وحنك بكلمة القرمان العليا ثم دب الى كسبة الدين والعام جامع الزيتونة الاعظم او اخر القرن الماضي فانقطع الى الجلمة الاعلام النحول الذين تخرج بهم من امثال العلامة الكبير عمر بن الشيخ وشيخ الاسلام سالم بوحاجب والعلامة الكبير حسين بن حسين والعلامة الكبير محمد النجار وشيخ الاسلام محمد بن يوسف فكانت عنايتهم تحرطه لما لمع من بوارق ذكائه ودوى من رعود جده واقباله وكان والد لا يتولاه بهناية وحرص خارجيين عن الحد المعهود واتصل من بين شيوخه اتصالا محكما وثيقا بالعلامتين عمر بن الشيخ وحسين بن حسين فلامعهما دروسا ومجالس واستفاد منهما علما ومناهج وتوجيهات

فاحرز على شهادة التطويع سنة ١٣٠٤ وانتصب للتدريس بإشارة شيخه العلامة عمر ابن الشيخ ورعايته وإشرافه

حدثني سيدي الوالد امد الله نورا انه لما دخل لطلب العلم بجامع الزيتونة سنة ١٣١٠ كان العلامة المقدس سيدي عمر ابن الشيخ هو الذي انتدب لترتيب دروسه وتعيين مشائخه الاولين فكان اول اسم ذكره له من اسماء الشيوخ الذين انتخبهم له اسم مترجما قدس الله ذكره

ولقد بدت على هذا المترجم العظيم منذ انصابه للتدريس معان من المقدرة والجاهلية او قوت محبته والتعلق به في نفوس الطلبة والتفت حوله منهم نخبة من اعيان الازكيا احاطوا به احاطة الهالة واختصوا به اختصاص البنوة والصحبة فكان ذلك زائدا في شحذ همته العلمية وصقل موهبته النقية والبيانية حتى اصبحت له شغل الا للدرس والمذاكرة فكانت دروسه فياضة غزيرة كثيرة في جامع الزيتونة وغيرها من المساجد والزوايا بالحاضرة حتى اربى عدد دروسه التي يلقيها يوميا على السبعة ملا فيها حصص الليل والنهار وانقطع اليها عن كل شيء بما كان يشجع من طرف والداه على ذلك ويعينه من كفاية والداه اياها كل منهم من مهمات الحياة

فاصبحت حياة الدراسة حياته كلها وطلبتة عائلته ومعاهد الدروس بيتهم ومرتعهم وبدا زكاه اخلاقه يجنح به الى تحقيق المثل العليا في الحياتين الفردية والاجتماعية بما كان يأخذ به تلاميذ من طرق التربية والايقاع وسلك الى نفوسهم بما وهبه الله من فصاحة نادرة لمسالك التوجيه الى الواجبات العليا على ما تقتضيه اصول الدين وعزائم الاخلاق

فكان خطيبا مفوها قراع المواعظ بليغ الاثر في النفوس ومدرسا مسدرا

ضرب مثلا نادرا في قولا العارضة العلمية . وفي سنة ١٣١٠ تقدم الى مفاظرة التدريس من الطبقة الثانية فكان مجاها ووليها ثم انتقل بعد ذلك الى التدريس من الطبقة الاولى سنة ١٣١١ فاشتهر وعم نفعه واصبحت دروسه محط الرحال فاقرا أعلى الدروس وارفع الكتب كتفسير الكشاف وشرح السعد على العقائد النسفية

وفي سنة ١٣١٦ شارك في لجنة اصلاح التعليم بجامع الزيتونة الاعظم المنقعدة برئاسة الصدر العلامة المقدس الشيخ محمد العزيز بوعتور فكان سيفاً مسلطاً على محاولي الاخلال باستقلال كيان الجامعة الزيتونية بما جعل مدار تلك اللجنة عليه ونجاحها في فصل الحياة الجامعية عن كل تبعية ادارية راجعاً اليه

وبما كان له من اليقظة الشعورية كان تعلقه شديداً بحياة الجامعة الاسلامية واحكام الارتباط بالخلافة العثمانية فابتدأت فكرة الرحلة الشرقية تحوم حول فكره حتى استقرت ورسخت

فبدأ في تهيد طرق الارتباط التونسي العثماني متعاوناً مع زعيم الناشئة الوطنية يومئذ محمد البشير صفر ومع الاحرار من الانراك المهاجرين الذين كانوا يمثلون شق انصار الجامعة الاسلامية من حزب الاتحاد والترقي الذي كان يتزعمه الشهيد انور باشا وابتدأ زاول اللغة التركية في دروس كان عمل على اعدادها لذلك بمدرسة الجمعية

الخلدونية واحكم صلاته في الشرق بواسطة المتعاونين معه من عمد النهضة السياسية بتركيا وفي سنة ١٣٢٤ خرج من البلاد التونسية قاصداً الشرق بنية الحج مع فكرة راسخة في الاستقرار النهائي بالشرق فقصده دار الخلافة العثمانية ووجد سمعة الطيبة

وشهرة اخلاصه وعلمه قد سبقته اليها فنال من عناية رجال الاتحاد والترقي اكمل منال وكانت نار الانقسام بين العرب والانراك قد بدا وميضها خلل الرماد

فانتصب لاطفائها . وحج في موسم سنة ١٣٢٥ فكان فيضا منصبا بالدعوة الى الانفاف حول الخلافة ثم استقر بمدينة دمشق فعلا مقامه وطار صيته واشتهرت دعوته الاسلامية فادخلته في خصومات مع انصار فكرة الخلافة العربية وكانت شدة خلافاته في ذلك مع الاستاذ الكبير المقدس السيد محمد رشيد رضا قطب مجلة المنار

وعاد الى الاستانة سنة ١٢٣٧ فعين ملحقاً بدائرة مشيخة الاسلام وكانت له في ذلك آثار محمودّة في العمل لجلب عناصر العالم الاسلامي الى دائرة الخلافة بطريق الرباط الديني المحض ولما نشبت الحرب التركية الايطالية بسبب عدوان ايطاليا على طرابلس الغرب سنة ١٢٢٩ سافر مترجمنا الى الواجهة الطرابلسية فكان مجاهدا واعظا عمل بيده في رد الغارة الايطالية وبعلمه وبيانه في جمع الكلمة وقتل عقارب الفتنة حتى اخترق خطوط النار مرات في سبيل الاصلاح بين العناصر الاسلامية المشتركة في تلك الواجهة

وقويت صلاته باثر هذا الاعمال الجليلة بالوزير الزعيم الكبير انور باشا فابلى واياهُ البلاء الحسن في الحرب البلقانية وتزعم رحمه الله المظاهرات التي قامت عند الباب العالي ضد حكومة كامل باشا لما عازمت على تسليم ادرنه ثم لما قامت الوزارة الانحادية برئاسة طلعت بك وكان انور باشا وزير حرب فيها سمي المترجم له مستشارا بوزارة الحربية

ونشبت الحرب العظمى وهو على ماموريته تلك فكان في اثنتائها سفيرا مفضلا على راس بعثة مدنية عسكرية لاصلاح ذات البين في الخلاف الذي نشب سنة ١٢٣٣ بين سلطنة السعوديين بنجد وامارة آل الرشيد في حائل وقد هبلا لذلك مقامالا النسبي والعلمي ولكنه لم يستطع الاتصال بالملك عبد العزيز آل سعود وان كان يحمل اليه كتاب تفويض في المذاكرات من الحكومة العثمانية عندي صورة منه (١) وعند حدوث الاضطراب بنهاية الحرب العظمى خرج المترجم من تركيا الى سويسرا واقام بمدينة لوزان في رفقة من اللاجئين السياسيين اخصها به زعيم الاسلام وامير البيان شكيب ارسلان الى ان توفي في جمادى الاولى سنة ١٢٣٨ ووصل نفيه الى تونس بواسطة برقية الى عائلته من سفير تركيا ببرن ثم نقل جثمانه الطاهر الى البلاد التونسية في ذي القعدة سنة ١٢٣٨ فقبر بمقبرة الزلاج لقالا الله اجر العلماء العاملين والمجاهدين الصادقين ورفع قدره في علمين كما طهر ذكره في العالمين

(١) سيقع نشرها مع حوادث سفارته تلك في العدد المقبل ان شاء الله

الادب

كلمة في الشعر

بقلم الشيخ الناصر الصدام المدرس من الطبقة الاولى بالجامع الاعظم

قد تواطأ الادباء قديما وحديثا على تعريف الشعر وحده بما سיתי عليك واللفظ شهاب خفاجة رحمه الله تعالى ونصه « الشعر كلام مقفى موزون بالقصد » فخرج بقيد القصد ما كان موزونا من القرآن والحديث . وقال السكاكي لا يسمى شعرا لتغليب النثر عليه قال الزوزني والاول منظور فيه لامتناع ان يقال كان ذلك منه تعلل من غير قصد وارادة بل الوجه ما قاله السكاكي من حديث التغليب وقال بعض المتأخرين المراد بقصد الوزن ان يقصد ابتداء ثم يتكلم مراعيًا جانبه لا ان يقصد المتكلم المعنى وتاديت بكلمات من حيث الفصاحة في تركيب تلك الكلمات توجبه البلاغة فيستتبع ذلك كون الكلام موزونا او ان يقصد المعنى ويتكلم بحكم العادة على مجرى كلام الاواسط فينتفح ان ياتي موزونا اه . ثم ان الشهاب قد تعقب كلام هذا البعض من المتأخرين فقال وهذا لا محصل له لما يلزمه من ان القصائد المقصود بها بعض المعاني العلمية كالشاطبية غير شعر لان المقصود فيها بالذات واولا افادة تلك المعاني وجعلت منظومة ليسهل حفظها فالصواب ان يقال ان القصد والعزم والنية بمعنى واحد وحقيقتها توطين النفس وعقد القلب على ما يرى قوله وهذا لا يجوز اطلاقه عليه تعالى كما قاله الامام الزوزني ونقل في حواشي الكشاف فخرج به موزون القرآن والحديث اما الاول فلمدم اطلاق القصد على الله حقيقة والحدود تصان عن المجاز واما الثاني فلمدم فيه هذا هو الصواب اللائق بالقصد انتهى محل الحاجة من كلام الشهاب قلت وانت اذا تأملت كلامه رأيته مرتضيا لتعريف الشعر بالتعريف السابق الا انه غير موافق على اخراج ما اخرج فقيد القصد كما تقدم قائلا

ان هذا الحد لا يتناول المتن من القرآن والحديث لما اوضحه ورايته وهو صريح في جعل الاتزان من مسمى الشعر القاضي باخراج غير المتن من ذلك وفي نقل هذا نموذجا من كلام الاقدمين في الموضوع بلاغ للناقد البصير، اما ما عثرت عليه من كلام الخلفاء في ذلك فهو مما لا طائل تحته وكثيرا ما يلجأ اكثرهم الى ما قاله بعض المتأخرين الذي نقل الشهاب كلامه وعلمت ما له فيه من نقد وتمحيص وعندي ان اعتبار الوزن في مسمى الشعر مما لا يقام له وزن وما الشعر الا ما رن ودق من الكلام وفعل بالالباب فعل المدام وهذا ما تشهد له عبارة اولي الذوق من نبغاء صناعة الادب فمنها واطنه للجاحظ انما للشعر مباحة وضرب من التمثيل وكذلك قول بعض العرب (الشعر كلام واجوده اشعره) فانظر الى جانب هذا الطور لعلك تجد قبسا على انك ربما تجد بدائع ذلك الصدى كامن في معادن منشوره اكثر مما يترامى بسراب منظومه واذا قد ترامت لالميتك بارمة القصد وارتد سلوك محاج الهداية والرشد فدونك ما تزداد به بصيرة وتأييدا بعدما تبينت ما قدمته لك توطئة وتمهيدا فمن الادلة التي لا يحوم الشك حول حماها ما قاله اهل الحكمة في تعريفه من انه قياس مؤلف من مقدمات تبسط منها النفس بسبب رغبته فيها وان لم تكن مما يرغب فيها نحو الخمر يا قوته سيالة او تنقبض وتنفر منها وان كانت في نفس الامر مما يرغب فيه كقولهم اعسل مرة مهوعة ويزيد في ذلك اي في بسط النفس وقبضها ان يكون الشعر على وزن او يشد بصوت طيب اه من شرح شيخ الاسلام بتصرف وايضاح قال الشيخ الحفني في حواشيه على الشرح المذكور ما نصه والقصد ما كانوا لا يعتبرون في الشعر ان المراد هنا الوزن بل يقتضون على التخييل والمحدثون اعتبروه ايضا وقواه ان يشد بصوت حسن اي فان ذلك يزيد النفس انفعالا والسر في ذلك كما قاله بعض المحققين ان الارواح سمعت خطابه بالست يريكم وخطابه الذالاشياء فاذا رجمت صوتا حسنا حنت الى ما عاهدته اه

(٢) ومن ذلك حديث الزيرقاب فان المشهور وهو ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير فان بدر وعمر بن الاَتم

فقال الزبرقان يا رسول الله انا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقهم وامنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعني عمرو فقال عمرو اجل يا رسول الله اما انه مانع لحوزته مطاع في عشيرته شديد المعارضة فيهم فقال الزبرقان اما انه والله قد علم اكثر مما قال ولكنه حسدني شرفي فقال عمرو اما لئن قال ما قال فوالله ما علمته الا ضيق العطن زمن المروعة حديث الغني احمق الاب ائيم الحال فرأى الكراهية في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال يا رسول الله غضبت فقلت اقبح ما علمت ورضيت فقلت احسن ما علمت وما كذبت في الاولى واقصد صدفت في الاخرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان من البياض لسجرا وان من الشعر لحكمة)
وجه الدلالة ان قول النبي صلى الله عليه وسلم هذا قد وقع مدحا وتقريضا لمقالة عمرو المتقدمة وما هي ببحر ولا نهر من بحر الوزن وقوافيه ثم هذا الحديث الشريف هو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ولنا فيها ما رب اخرى نلها في آخر هاته العجالة ان شاء الله تعالى .

(٣) ومنها ايضا ما شاع في الجاهلية من تسميتهم للقرآن الحكيم شعرا مع انهم على اتم بصيرة مخلوه من لاتزان واياك ان تقول ان مرادهم بذلك ما جاء متزنا من الآي القرآني فانه لا يعول عليه في مقام الكفاح والمجادلة لندرته والنادر لا حكم له فكما انهم لا يعنون بعضه في قولهم انه اساطير الاولين وكلام الجن وسحر يؤثر وسحر مستمر كذلك لا يعنون البعض منه بقولهم انه شعر وادل دليل على انهم لا يقيمون للوزن والمتزن في مسمى الشعر وزنا اشتباه امر القرآن الحكيم عليهم وارتابكهم في شأنه وفزعهم الى عراف يمامتهم في تبين حال ما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكلام المعجز فقد اخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء الوليد بن المغيرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانما رق له فبلغ ذلك ابا جهل فاتاه فقال يا عم ان قومك يريدون ان يجمعوا مالا ليعطوكه فانك اتيت محمدا تنعرض لما قبله قال قد علمت قريش اني من اكسرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك انك كاره له قال وماذا اقول فوالله ما فيكم رجل اعلم بالشعر مني ولا يرحزه ولا

بفصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا والله ان لقوله حلالة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر اعلاه مغدق اسفله وانه ليعلمو وما يعلم وجه الدلالة ان قول الوليد ابن المغيرة المتقدم وقع جوابا لانكارهم وردا عليهم ولا يتم ذلك الا اذا كانت تلك دعواهم كما لا يخفى

(٤) ومنها ايضا ان الشعر ليس خاصا بلسان العرب وكلها او جلها لا وزن فيه فلو اخذنا الوزن جزءا من مفهومه للزم انعدام الشعر في غير العربية واللازم باطل فكذا الملزوم

(٥) ومنها انهم قالوا في تعريف الشعر انه الكلام الموزون قصدا بوزن عربي مقفى ولما اورد على هذا التعريف شموله لما جاء موزونا من آي الكتاب الحكيم كقوله سبحانه ان تمالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله وجفان كالجوابي وقدر راسيات اجابوا عن ذلك بان مجرد الوزن لا يكون به الكلام شعرا بل لابد من قصد الشعرية فقد اعترفوا بانفراده كوزن مجرد عن الشعر الامر الذي يشهد بان الوزن ليس من الشعر في قليل ولا كثير وهو ما نقول واليك نموذجا من ذلك لتكون من الموقنين وهو طرف من الكلام الغير الموزون وذلك قول الامام محمد بن الحسن الشيباني صاحب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنهما مجيبا لابي العلاء المعري سألته الله لما ساله بقوله

يد نخمس مئين عسجد وديت * ما بالها قطعت في ربع دينار
فقال له رضي الله عنه (لما كانت امينة كانت ثمينة فلما خانت هانت) فاي شعر وراء هذا وحاصل ما في المقام اذا ابت الى الحسنى وتركت الاعتساف أن الموزون والمتزن نوع من انواع الشعر العربي على معنى ان الوزن شارة من شاراته ومظهر من مظاهره وليس هو هو حسبها يستفاد ذلك من قول الوليد بن المغيرة ومن قول شيخ الاسلام ايضا (وينبذ في بسط النفس وقبضها ان يكون الشعر على وزن او ينشد بصوت طيب) لكن ليس ذلك مراد قریش من دعواهم ان القرآن وان الرسول صلى الله عليه وسلم شاعر لما مربك تحريره . ثم اعلم اعزك الله ان الشعر نوع من انواع

الكلام منه الطيب ومنه الخبيث وعليه فن الحور تجنبه ونبذ به ظهريا بدعوى انه مذموم فلا يجفوه بعد هذا الا منحرف المزاج الذي لا يفيد فيه علاج والدليل على انقسامه الى ذينك القسمين قول الله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون) الآية وقوله عليه الصلاة والسلام (لأن يمتلىء جوف احدكم) الحديث ونحوه بضمه الى قوله سبحانه (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا واتصروا من بعد ما ظلموا) والى قوله عليه الصلاة والسلام (ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة) فان قيل اذا كان الشعر كما قلت فما هو سبب عدم قوله عليه الصلاة والسلام للشعر قلت ان الحكمة الالاهية قضت بذلك سدا للذريعة وقطعا لاحتمال ان يكون ما جاء به من القرآن الحكيم من عند نفسه صورة خيالية ونسجته يداه . وبهذا تتبين ان قوله جل شاناه (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) ليس فيه ما يحط من شرف الشعر كما هو بين بل فيه اشارة الى مدحة يعقلها العالمون وهي اسناد تعليم الشعر له سبحانه وتعالى وانه من العلوم الدنية اخذا من نفي تعليمه في هاته الآية فانه لا ينفي شيء عن شيء تعليمي عن تعليم الخبيث الرحمن الذي خلق الانسان علمه البيان ومثل الشعر في ذلك الكتابة لانها مما يتطرقه غمز الغامزين ولز اللامزين فعدم علمه بها صلى الله عليه وسلم لا ينقصها من كرامتها واقرأوا ان شئتم قوله سبحانه (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا لارتاب المبطلون) بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون



ان قصيدة البردة متاما ممتازا في القديم والحديث وما لم تكن عناية
الادباء بها متواصلة من تشطير وتخمين ومعارضة وشرح وتمايق وقد عدت
من كنوز الادب العربي الفائقة زيادة عن موضوعها السامي العظيم .
وقد شملت نفحة الآهية شاعرنا الكبير امير الامراء السيد الشاذلي
لخرنه دار فشطر هذه القصيدة الفاخرة فاتى بالسحر الحلال وبز من سبقه في
هذا الميدان ولا عجب فتمثله المجلى اذا تسابق الادباء وسواء المصلى اذا
تراهن الشعراء وكتب على التشطير شرحا سماه نفع الورد على تشطير البردة وهو
عازم على تقديمه للطبع وانا تقدم التشطير المبدع متتابعا وفيما يلي القطعة الاولى منه

تشطير البردة

من تذكر جبر ان بذني سلم	خضت السهاد باجفان فلم تنم
ام من مزاجك مذ جاريت رفته	مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم
ام هبت الريح من تلقاء كاظمة (١)	تطوي الفيافي وتعلو هامة الاطم (٢)
ام سحت السحب فانها لت غوادقها	واومض البرق في الظلماء من اضم (٣)
فما لعينيك ان قلت اكيففا همنا	جريا مع السيل او صبا مع الديم
وما للبك لا يلوي على رسن	وما لقلبك ان قلت استبق بهم
ايحسب الصب ان الحب منكتم	ما الحب فيه سوى نار على علم
كيف انصواء الهوى والحال واضحة	ما بين منسجم منه ومضطرم
لولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل	ولم تقف عند حديه ولم تقم
ولا استرقك من وادي النقاارج	ولا ارقى لذكر البان والعلم
ولا اعارتك لوني عبرة وضوى	سجعات ورقاء بين الايك والاك
ولا انتفضت انتفاض الطير حين جرت	ذكرى الخيام وذكرى ساكني الخيم

(١) كاظمة موضع في الحجاز (٢) الاطم لمرتفعات (٣) اضم

وادي دون المدينة

فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت
سبيلك سيما المعنى حيثما انضحت
واثبت الوجد حظني ببرقا وضنى
خطان خطا ولا تثر يب وارتما
نعم سرى طيف من اهوى فارقنى
يهفو الخيال فيعرو لذتي كدر
بالاثمي في الهوى العذري معذرة
اني ابن عذرة في وجدتي فخذلا هدي
عندتك حالي لاسرى بهستتر
لا للشفاء انكماش في اذعته
محضتني النصيح لكن لست اسمعه
ان المحب غريق في صبابته
اني اتهمت نصيح الشيب في عذل
وليس يحسن ان القالا متهما
فان امارتي بالسوء ما اتعظت
ولا استفاقت الى ان زعزت خلاها
ولا اعدت من الفعل الجليل قسرى
من لي بايقاظها للانتبال الى
لو كنت اعلم اني ما اوقرلا
لكنني لم أشأ صنع الخليع ولا

سُمارك الشهب في اجوائها النسم
به عليك ردود الدمع والسقم
مما استقر بغير اللفظ والكلم
مثل البهار على يدك والعنم
حتى أرت عليه دمعي ودمي
والحب يعترض اللذات بالالم
للجانين فلسا من ذوي رحم
منى اليك ولو انصفت لم تلم
في الحي ما دمت في الاحياء وفي الرمم
عن الوشاة ولا دائمي بمنحسم
اذ لبس غير الهوى عندي بمنفهم
ان المحب عن العذل في صمم
والحال فاضحتني في بيضه الهجم
والشيب ابعث في نصيح عن الهم
كلا بمنفسخ منها ومنخرم
من جهلها بنذير الشيب والهرم
شرطي حكم من الاكدار منبرم
ضيف الم براسي غير محتشم
ما كنت عن شارب اعفو وعن لم
كنت سرا بدا لي منه بالكنم

ادب الامير شكيب ارسلان

دراسة - تحليل - نقد

(١) بقلم الاديب الاستاذ احمد مختار الوزير مدرس
فن التعليم وعلم النفس بجامعة الزيتونة

في عالم الادب العربي الحديث تشع اسماء ذوي المواهب العقلية اشعاعاً خاطفاً وفي ما يكون من هالات هذا النور تبدو شخصيات تلك الاسماء اخاذلاً باهرة وفي انعكاس فيض الاشعاع النوراني على اعين الناظرين الى تلك الشخصيات آيات التحدي الغالب القهار ناطقة بالقدرّة مرددة
« فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير »

كذلك ينشا الاذعان لفتنة الاعجاب وشعور الاجلال وكذلك يكون
الاكبار والتعظيم لتلك الشخصيات المتجلية في محاريب التقديس . فاذا نفوذها يطغى ساططانه ويستبد تائبراً وانها لكذلك ما تزال ترتفع وتسامى وما ارتفعت او تسامت الا ازدادت منعة وازداد نفوذها استقواء واستبدادها تائبراً عميقاً ولا ترى مع هذا كله الا ما هو حادث ولا بد من تواضع ملكة النقد مهابة واثقاء لهؤلاء الاعلام البارزين الذين اصبحوا ولا مبرر لابتعاد النقدان يتناول انتاجهم بالتصحيح والترجيح الا هذا النفوذ العتيد الذي مكن لهم من ان يعيشوا في عصمة الاعجاب، فلا تطاول في الميادين بنودهم ولا تنسور عليهم من الحذر حدودهم وان امير البيان الامير شكيب ارسلان لمن اخص هؤلاء الاعلام الذين شغلنا الاعجاب بهم عن التصدي لنقدهم . ولولا ان الموت قد اسلم اثاره ليد التاريخ وهو اصدق حكم وممكن من انتاجه للزمن وهو اذق منتحن فما كسنا نجد الي نقداً هذا السبيل .

ونحن لا نحتاج الى تلمس ما نتقدم به بين يدي الحديث عن ادب الامير شكيب ارسلان فقد كشفنا ذلك انبثق اسمه ساطعا . وتجلي شخصيته صاعداً وذبوع بيانه ذبوعا بعيد المدى في المشرق والمغرب ففى كل افاق البلاد العربية لا بد انك واجد ما يستوجب منك التعرف والمخالطة الى عقل امير البيان وعواطفه بل لا بد انك واجد نفسك مملوءة استحبابا مملوءة اجلالا لشخصية الامير ولو انك لم تقرا له الا القليل ففى هذا القابل ما يجيز لعدوى التأثير ان تاخذك اخذا لمعرفة شخصية شكيب ارسلان والاذعان لها والانقياد لسلطان نفوذها وان شخصية هذا شأنها وسعت التاريخ شهرتها ما يستغرق اجيال ما قبل الحرب الكونية وما بعدها الى هذا الحرب الذرية الاخيرة لهى شخصية جديرة ان يتنها العقل لمواجهة صعوبة التفكير بشأن اسباب عظمها اكثر من ان يتنها الامر واخر يعنى به بين يدي الحديث عنها وعن ترائها الفكري والعاطفي الذي يتألف من اضافته الى غيرها برهان الدلالة على ان نسق الحياة كان ينتظم الامة العربية لما يديه اعلامها من انتاج وابداع .

فبأي الاسباب الوثيقة ترتبط شهرة هذا الشخصية ؟

قد يكون في الذي افاض فيه القول الاستاذ الفاضل من المعاني الماجدة ما ينكشف به سبب هذه الشهرة من منذ نشأة الامير شكيب الاولى فان في ارومة النسب الكريمة التي ينحدر منها هذا الامير العربي وفي السلسلة المحفوظة من الاجداد التي تصل بينه وبين النعمان ابن المنذر مظهرا عظيما من اتصال العزلة العربية حاضرها بغابرها وارتباط السؤدد سابقه بلاحقه واسترسال الكفاح العربي في سبيل التحرير قديما وحديثا . . .

فقد اتصل محمد آل النعمان بن المنذر بعظمة الفتوح الاسلامية واستمروا في طليعة الغزاة المسلمين كامل العهد الاموي ثم كانوا من اعيان اعضاء الدولة العباسية وولاة المقاطعات الشامية في نواحي بيروت واشتهر منهم الامير ارسلان بن مالك في عهد ابي جعفر المنصور وظهرت بطولتهم على اشرف احوالها في دفاعهم ضد

الفرنج في الحروب الصليبية ثم في تعزيز الخلافة العثمانية وتسلسلت امارتهم وامتدّرت سيادتهم في قصبة الشويقات من جبل لبنان التي ولد بها فقيدنا العظيم الامير شكيب .»

فقى هذا البيت المعمور الذي عرف رجاله بحسن البلاء في اهل المشاهد وعرف رجاله بالاخلاص وجميل الرعاية لحرمان السيادة لهم وعليهم نشأ الامير شكيب نشأة اشاعت في اعماق نفسه الغضة سرا رفيقا ولكنه عظيم في ايقاظ كوامن هذا النفس الناشئة ومضمراتها واثارها اخص كفاءاتها والتمكين لهذا وتلك ان تستمد ابدان من اصفى الروادف ما يكون به الاحياء والايحاء فكانت لهذا مقومات السيادة مهيئا لها في شخصية شكيب الطفل وشخصية شكيب الشاب من بعد ذلك السر الورائي الرفيق ما تحفرت به للظهور العاجل فاذا الشعور بالعظمة هو ما كان يملأ قلب هذا الشاب تفاؤلا واذا الشعور بالعظمة هو ما كان يوطد لهذا الشاب ان يضع قدميه في مبتدا طريق مخوف بالمخاطر ولكنه طريق المجد والفخر على كل حال .

وخطا الامير شكيب الخطوات الاولى بهذا السبيل قوي الثقة بحكمة عقله قوي الثقة بسيادة شخصيته قوي الثقة بصدق تفاؤله بما ينتظره في مستقبله . قوي الثقة بشجاعته وشدة صبره وتجلد لا قوي الثقة ابدا بفننه واقتداره فيه ومهما كان شأن هذه الخطوات الاولى في ثباتها ونسق اطرافها فان الاعتقاد يكاد يشبث في النفس بانها كانت خطوات ناجحة اذ لا ادعى للنجاح من النجاح ..

وانه لموضوع طريف جدا ان نتعرف كيف استخدم هذا الاديب العظيم مواهبه في بداءة سيره بسبيل العظمة ولكنه برغم طرافة الموضوع بحد ذاته فاننا نرتد عنه في احيان كثيرة لمنظرين استدراك ما فاتنا من علم المفصلات التي نتناول بوصفها الصادق تلك الازمنة والامكنة . وما يتخللها من الحوادث التي كانت موطن الملابس المتصلة اتصالا وثيقا بقريحة الامير وفنه الفكري والعاطفي فانه ما من حادثة عابرة في زمانها ومكانها الا ولها باعتبار اتصالها بقوة شعوره المرهف تاثير في

كوته البطن في نفسه المهيأة الحس لقبول ذلك الاثر والامتزاج به فمن صفاء تلك الآثار جميعها ومن قوّة الامتزاج بها جميعها يكون ينبوع الفيض المتدفق بالمعاني والخواطر والافكار والعقائد هنالك يكون للأديب العظيم من نفسه جانب يسمو به عن الاحياء ولكنه يشرف من منافذ العالوية على مضمرات اسرار الاحياء كما يبلغ به ان يتخذ من صميم الحياة العابرة سلوته الدائمة كما يبلغ به ان يتخذ من صميم الحياة العابرة مواضيع فنه وهكذا تنبثق انوار رسالته تعلن للاحياء الحق ما كان منهم التشفوف الى الاذعان وتعلن للاحياء الخير ما كان منهم النزوع الى الاقنداء وتعلن للاحياء الجمال ما كان منهم الاقبال على بدائع الجمال . تلك حياة الاديب في اعتبار لا بالوجود واعتبار الوجود بفنه فيما ينبغي ان يكون عليه في العقيدة والمنهج والعمل

وائن كنا نهمل نوع تلك المفصلات المعبرة عن تجارب ملاساته للحياة فان الحوادث التي شهدا وجاز غمارها والتي كان تاثيرها عليه قويا جدا ليست من الحوادث الضيقة الحدود او الخفية المعالم في سفر التاريخ فهي حوادث امة لها في وجودها القائم في شطر عظيم من هذه الدنيا حضارة روحية ومادية لها دينها واخلاقيها وتقاليدها وعاداتها ولغتها وبيانها وفنها فيه ولها سياسة حكمها ونظام مشروعاتها وصناعات عمرانها وطرز مراقق معاشها تلك هي الامة العربية الشرقية في حادث اتصالها بالامم الاروية الغربية

ان حادث هذا الاتصال القديم الجديد المنصرم المؤتلف لهو الحادث الذي مس بفواعل مواجته في طور الاخير خلال القرن التاسع عشر كيان الامة العربية فتجمعت كل اصداء هذا المس العنيف في الصميم المهيا من قلب ادينا الامير وعقله فاقبل بكلية في استجاباته لهذا الاصداء الهاتفة التي ملأت نفسه بجلجلة رجوعها الدائم اقبالا خالص به الي ان يكون في بدئه ومنتهاه مقيد المصادر والموارد بكل ما يتعلق بقضية اتصال الشرق بالغرب فما من جانب من جوانب قضية هذا الاتصال الا وله من الامير اقبال وفيما يعنيه ويخصه من بيان الامير مقال وسوف نعرض لطائفة من هذه الجوانب في مباحث نقدنا للمقالات الامير من حيث البيان وفن التحرير . (يتبع)

مقومات الرأي الصحيح

بقلم العالم الشيخ التهامي الزهار المدرس بالجامعة الزيتونية

أشد ما يحرص عليه الانسان في هاته الحياة ان يكون ذا رأي صائب وفكر
 ناقب ولذا يجتهد ما امكنه لجمع شتات المعرفة ليكون حكمه على الاشياء صحيحا
 وبعده عن الخطا والزلل ثابتا ولكن الاخطاء لا تنفك تتعاور الافراد والجماعات
 فالامتحان صعب . والنتائج المترتبة عن الاصابة بمحودة العاقبة والاختطاء تختلف آثارها
 قوة وضعفا فكم من غلطة اوقعت الفرد في الهوان المستمر واودت بحياة اجيال ودكت
 معالم . ولذا وجب على المستنيرين ان يكون رأيهم مشهودا له بالصحة وبعد النظر
 لتحقيق المصلحة العليا لمصلحة الجميع ولكن ما هي الوسيلة او الوسائل التي يمكن بها
 بقريب الخطى حتى يقع تلافى اكثر ما يمكن من الزلل لان تلافى الجميع كانه عادي
 حين الامكان البعيد . الجواب ان السبيل الى ذلك المعرفة الصحيحة . والتربية الصالحة
 فالمعرفة تكون بتوسيع الدائرة بمختلف العلوم التي تعين على جعل الانسان يفكر
 تفكيراً واقعياً بحسب لكل عمل يريد الاقدام عليه حسابه فينظر في كل عمل قبل
 الاقدام عليه الى النتائج المترتبة عنه وبهيء لتحقيقه ما يناسبه من الاعدادات . على ان
 تكون عاقبته هي مبعث المقدمات فلا يكون سطحي التفكير كثير الاحلام
 تاخذه بهرجة المظاهر ويففل عن امر البواطن فيضيع جهده ويخف وزنه ولا يفيد مجتمعا
 يتسبب اليه . واذا ما عجز وساءت حاله يتقلب شره عليه فلا يلبث ان يمس القوم
 طائف من اخفاقه لان المجموع يسعد بقيام افراده بما ينفع ويفيد لا بما يضر ويشين .
 وثاني الاسباب التربية الصحيحة وههنا المعضلة الكبرى والمشكل الكبير لان التربية
 عندنا اختلفت طرقها وتشعبت مسالكها فالتربية القويمة تقوم على ايجاد اناس
 مستقيمي الاخلاق تنزع منهم الانانية وتعجب اليهم ابناء الخير وتجعلهم ينظرون في
 اعمالهم الى المصلحة العليا فتغنى المصلحة الذاتية عندهم في المصلحة العامة التي هي في

حقيقة الامر آيلة الى مصلحة الافراد .

ولا اعني بالمصلحة الفردية المصلحة المادية فحسب بل تلك الاماني التي تزين للنفس حب السلطة والحياة واحتلال المناصب .

فاذا ما لقن النشء محبة العظمة الحقيقية المتمثلة في المثل السكاملة التي مردها الى استعذاب القيام بالواجب يتكون في الامة نشء متمحل باهم الاخلاق الصحيحة من حب للعمل المثمر متمحل بسعة الصدر فينبذ كل ما من شأنه عرقلة اعمال غيره ويسعى في التعاون مع بعضه لخير الوطن والامة لا فرق بين ان تكون الاعمال اديبة او مادية اذا ما كان عندنا نشء متمحل بمثل هاته الصفات يكون حقاً عظيماً وان لم يكن في منصب الرئاسة او في منصب الادارة لان الكفاءة والاخلاق الكريمة تجملائه في صف المرشحين ليشغل مناصب الرعاية بحسن سلوكه ومقدرته اللذين يعثان الاعجاب والتقدير واذا بعظمة المظهر اعنى عظمة السلطة والجاه تمد اليه اعناقها وفي متناوله الامساك بناصيتها .

واذا ما اختلفت طرق التثقيف وسبل التربية من حيث التوجيه والشعور توجدت عقول مختلفة التقدير وتولدت عنها بحكم الضرورة آراء متضادة فيكون الاصطدام ولاجل الانتصار تكثر المجادلات ومنها ينتقل الى الاصطدامات ويتغلب - وهو امر طبيعي - من كان اكثر تأثيرا واغوى عصبية . والواجب على من يشعر انه على الحق ان يعتز بقوة حججه ويسعى في تكثير افراده ويتخذ الافناع بالحجة والمجادلة والتي هي احسن وسيلة لان التغلب بالقوة لا يزرع الا الشجاء وما يسكت المخالف الا الى حين لان الظروف هي التي تعلي على الانسان المهادنة الوقتية واما امتلاك القلوب فليس سبيله الا القوة في الحجة وإثبات المصلحة العامة على الخاصة فينتشر بين الناس الامن وتعذب الحياة وتسكن النفوس



ابن تيمية

نسبه ومولده

في حرّان بالوطن العراقي وفي يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الاول سنة ٦٦١ هـ ، ولد ابو العباس احمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن خضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية تقي الدين

فكان موضوع فرح لابويه واخوته في ذلك الوقت الهائج اذ العهد بالمغول يكتسحون بغداد عاصمة العراق والمدائن التي تقع على الطريق المؤدية الى الشام قريبة الاكتساح ومن اجل ذلك كان الناس كلهم في فزع وخوف لا حديث لهم غير حديث الحرب والمغول فاذا ما فاجأ عائلة من تلك العائلات المروعة مثل مولود او رجوع غائب ميثوس منه ففى ذلك عزاء عما يتتابع من احوال وقد يكون المولود في ذلك الزمن وقرأ تنوء به كواهل الاولياء ولكنه وقر تشفع له الآمال التي يبعثها في الانفس والحياة الغضة الباكرا التي ينفع بها الافئدة

ولفظه « ابن تيمية » كنية جدلا محمد بن الخضر ووجهه تكفيتها بها ما روى من انه كان له ام واعظة تسمى تيمية فدعى باسمها وقيل غير هذا وهو انه حج عاما فمر على تيماء فصادف ان رأى هناك طفلة صغيرة خرجت من خباء وكان قد خلف زوجته حاملا فلما رجع الى حران وجدها ولدت بنتا فنظر اليها وقال مدغدا : يا تيمية . فلقب بذلك وسرت لقبا لكل من تلاه من البنين والاحفاد

وتوارث الالقاب والكنى في ذلك العصر بالخصوص غير بدع من الامر والظن انهم يرعون ذلك لامور منها :

ان في الكنى والالقب ملاحظة كانت هي السبب في التكنية والنسب
وهذا الملاحظة قد يزعج على من ينتسبون الى اصحابها ان تزول وتضمحل
فيعمدون الى اضافة رموزها للفروع حفظا لها وتفاوتا ان يكون للفروع نصيب منها
ومنها انهم كانوا ينتسبون والالقب والكنى مما يساعد على الاحتفاظ
بشجرات الاحساب، والانساب

ومنها حرص الكثير على تخليد الاصول بابرز الرموز التي كانوا بشهرون
بها . وتدل على معنى بارز من المعاني التي كانوا يقومون بها
ومهما يكن من امر فشان « ابن تيمية » من اسرّة الشيخ ابي العباس تقى
الدين غير مستهات به

فقد كانت اسرته اسرّة علم وورع وفضل فليس من الغريب ان كان آباؤا
يتفادون بها ان تحفظ الالباء ايضا سلسلتهم في علم وورع وفضل .

انتقال اهل الى الشام :

الغالب في الاشاعة متى فشت وعظم امرها انها لا تليث ان تتحقق
كذلك حديث الحرب في البقاع التي تبعد عن بغداد المفتوحة في ذلك
الزمن بدا يحدث الشيء الكثير منه رويدا رويدا وما هو الاعام او بعضه حتى
روع الملا فلم يفيقوا الا وقد شقت قوافلهم الى بلاد الشام امبالا وامبالا ومن
تلك القوافل قافلة ابن تيمية الصبي

وفي حدود سنة ٦٦٧ هـ وصلت اسرّة ابن تيمية الى دمشق بعد سفر شاق
مبهد ولم يكن لتقي الدين غير ست سنوات

تعليم

فكان من الطبيعي لوالد عالم حريص على ان ينجب خلفا صالحا يخلده
وقد احس بكبر وضعف ولمس في ابنه مواهب واستعدادا طيبا ان يسلمه

الى مدرسة من المدارس تحقق له منيته فاودعه الى جلة من مشايخ دمشق بسمع عنهم مبادئه وما ان احس الطفل في نفسه رغبة في العلوم الدينية وكان حنبلياً حتى التحق بالمدرسة السكرية التي تقتفي المذهب الحنبلي والتي يقوم بالتدريس فيها نخبة من مشايخ هذا المذهب منهم الشيخ ابن دقيق العيد والشيخ كمال الدين الزملكاني فاقبل على التفسير اقبالا واحكم الحديث واصول الفقه فكان من امراة ان علاصيته وحسب له العلماء من مشايخه وغيرهم حسابه لما كان يبهروهم به من ذكاه وحافظة وسرعة ادر العكل ذاك ولم يكن له من العمر غير خمسة عشرة سنة اودون ثم غادر المدرسة وقد صلب عوده وتمكن من المراد التي درسها في الدين تمكننا اهله الى ان يكون مفتي دمشق وله اذ ذاك من العمر سبعة عشر عاما ومن ثم شرع في امداد الطلاب والعلماء بابحاثه التي تضم فتاوا ومسائله التي يرى من الخير نشرها في هذا الزمن الذي ~~كثرت~~ فيه الادعاء حتى التوت مسارب الحق واليقين ثم توفي والداه وهو ابن نحو من عشرين سنة فكان خلفا صالحا من اكابر الحنابلة . وما ان بلغ الثلاثين من عمرا حتى انتهت اليه الامامة في العلم

الطوار هيانه

ومن هنا تبدأ حياته العملية في اعنف ما يبدو فيه صراع بين انسان سلفي صادق العقيدة الدينية حريص على توطيد معالمها وبين طرائق غلاتا يقبلون في النصوص تغلب من يحاول ان يوجد مبررات لما تنليه عليه آهواؤا او منبهات المناسبات الموقوتة وفي اقصى ما يظهر فيه صدام بين شيخ الاسلام شاعر بتبعة الدين والمسلمين عليه محب بكل قوا لا ان تكون كلمة الله هي العليا وبين قوم مهاجرين لا دين لهم ولا قيم .

الطور الاول من سنة ٦٩٨ الى سنة ٧٠٥

فهو في هذا الحين مقابل لعدوين احدهما خارجي والآخر داخلي اما عدولا الخارجي فهو التتار الذين في حملة تطهيرهم التي سبقت الاشارة اليها والتي بدأت طرايرهم تمس الارض الشامية مما يلي العراق فمن المعلوم ان ابن تيمية من اولئك اللاجئين المروعين في املاصهم وفرارهم ونفسية اللاجئين على نصيب واقر من الحرارة التي تدفعه الى الثار من مروعه وخصوصا متى كان اللاجئي رجل دين يرى نفسه مسؤولة عن كل ما يصيب الاسلام من خطر كابن تيمية

ومن اجل ذلك قام الشيخ في ذلك الوقت قيام بطل مدرب على الحيل والسيوف وقائد معرن على قيادة الجيوش وقيام واعظ يعرف باعظ الناس به ومحرض خبايا أساليب التحريض . فكان منه ان توجه الى مصر مركز القوة الاسلامية ليستصرخ اركان الدولة ويحثهم على الجهاد في سبيل الله مستعملا في ذلك ادلة الدين التي يحكم استعمالها ثم عاد بعد ان اتم نميهدا الى دمشق قائما بمثل ما قام به في الديار المصرية من اهاية وتحريض ولم يكتف الشيخ بهذا ولو اكتفى لكان قد ادى كل ما عليه كشيخ للاسلام ولكنه ابي الا ان يعجز هذا الحد الى الساحة حيث يقدم مثلا لما قام به في جولات استنهاضه فيتغلد السيف ويستطى الجواد ويقابل التتار وجها لوجه ويساجلهم سهما بسهم فكان منه ان حظروا شقبة المشهور سنة ٧٠٢ هـ التي كتب فيها النصر للمسلمين . وهذا الظاهرة ما يدعونا الى الالتفات اليها الغفات اكبار من رجل دين في عصر كعصر المماليك .

فرجل الدين في ذلك الوقت كان الرجل المخوف عنه المدافع عن حوضه البعيد عن مبادي القتال وقصارا في عمله ان يكتب أو يفتي او يدرس في جامع

او مدرسة اما ان يصطف من بين العساكر يواجه الاسنة والرماح فهذا تكليف لا مبرر له حري به صاحب الفاس والمطرقة والبضاعة . ومع هذا فاننا نجد ابن تيمية في هذا الصدد من الداعين لا المدعويين والمدافعين لا المدافع عنهم . وهذا راجع فيما اعتقد الى نشأة اللاجئي المكروب والى هضمه للدين الاسلامي وفرط كلفه بتحقيق تعاليمه واقدماته بالرسول صلى الله عليه وسلم ثم فرط اهجابيه بالخلفاء الراشدين . فقد كان ابن تيمية الرجل السني الصرف المذهب في سنيته المحافظ على شعائرها . واما عدولا الداخلي فؤلئك الفرق المتشعبة من نصريه وباطنية ورافضة التي تتنكر بلبوس الدين وتسمى لنفسها على حساب المبادئ والعقائد ومن السهل جدا ان تنجح هذه الفرق في مساعيها في زمن مهين لكل ناعق كزمن المماليك ولا حاجة بنا ان نطيل بالتكلم عن حالة العصر ف فيما تقدم لنا غنى عن الاطالة

ولكننا ونحن نساير رجل علم في مناهضاته المختلفة لهذا الطوائف المبتدعة نشير الى شيء ذلك ان التتار وان ضعفوا في موقعة عين جالوت ووقعة شمشجب التي شهدها ابن تيمية الا ان انصارهم وانصار المسيحية المنتشرين في البلاد الاسلامية في سعي دائب الى تقويض السلطنة الاسلامية وتمكين المغول ومن هؤلاء الانصار الطوائف التي ذكرت كما يعتقد ابن تيمية . ومن هنا ثبت ان الشيخ لم يحارب اصحاب هذا الطوائف لانهم اعداء ما يسببه عقيدة اسلامية فقط وانما لانه يعتبرهم الموالين للاعداء الاجانب والاصل لما يقاسيه العالم الاسلامي من تحد وهجوم كما يقول في رسالة بعث بها الى الملك الناصر في شأن الرافضة : « وذلك ان هؤلاء (يعني الرافضة) جنسهم من المفسدين في امر الدنيا والدين . فان المسلمين عندهم كفار مرتدون ولهذا السبب يقدمون الفرنجة والتمر على اهل القرمان والايمان . لما قدم التتار الى البلاد وفعلوا بمسكر المسلمين ما لا يحصى من الفساد فرحوا المجيء التتارهم وسائر اهل هذا المذهب الملعون وهذه الطائفة كانت من اعظم الاسباب في دخول جنكيز خان الى بلاد الاسلام وفي استيلا هولاء على بغداد . » (يقع) حسين النياوي

المجلة الزيتونية

المدير

بجمل الشاذلي بن القا صني

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونية

رئيس التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

الادارة نهج ابن محمود رقم ٦ بتونس تليفون ٤٦ - ٢٩

قائمة الاشتراك عمه سنة الف فرنك بنقصم الربع لتتمتذ المعاهد العلمية

تمن الجزء :مائة فرنك



نونس في

١٣٧١ - ١٩٥٢

المجلة العلمية أوبية اخلاقيه

مجله علميه اوبيه اخلاقيه

تصدرها هيئة من مدرسي الجامعة الزيتونية



المجلد الثامن

الجزء الثالث

تونس

فهرس القد

الجزء الثالث من المجلد الثامن

المقالة	المصنف
٩٧ تفسير آية من سورة البقرة	الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع وفروعه
٩٩ الحذر من الغضب والفواحش	المرحوم الشيخ محمد بن القاضي
١٠٣ حجة البشر الى الشرائع	العلامة الشيخ محمد بن القاضي المفتي الحنفى
١٠٦ شهادة علماء اروبا في الاسلام	المرحوم السيد علي عبد الوهاب
١٠٨ نسخة فريدة من كتاب مجهول	الاستاذ الفاضل ابن عاشور
١١٣ تصحيح اخطاء وتحاريف في طبعة	الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع وفروعه
١١٨ وثيقة تاريخية	العلامة الاستاذ الفاضل ابن عاشور
١٢٦ مخازن الخواص	الدكتور الطاهر الحفيري
١٢٩ الحروب الصليبية اسباب ونتائج	الشيخ التهامي الزهار المدرس بجامع الزيتونة
١٣٥ مدينة صبرة المتصورة	الاستاذ مصطفى زيس متفقد الآثار
١٤١ جوامع القطر اللبي	الاستاذ عثمان الككاك

المجلد الثامن من رسالة

محنة عليّة أديبة اخلاقيّة

أفريل ١٩٥٣

جزء ٣ - مجلد ٨

رجب ١٣٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن الكريم

بقلم فضيلة الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع الاعظم و فروءه

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ. وَأَمَّا الَّذِينَ
كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا

عطف الكلام المفصل على الكلام المجمع المقدّر في قوله لا يستحي لان تقديره
لا يستحيي من الناس كما تقدم ولما كان في الناس مومنون وكافرون وكلا الفريقين تلقى
ذلك المثل واختلفت حالهم في الاتّفاع به حصل اجمال في الكلام اقتضى تفصيل حالهم .
وانما عطف بالفاء لان التفصيل حاصل عقب الاجال . واما حرف موضوع

لتفصيل بحال ملفوظ او مقدر ولما كان الاجمال يقتضي استشراف السامع لتفصيله كان التصدي لتفصيله بمنزلة فرض سؤال من المتكلم كانه يقول ان شئت تفصيله فتفصيله كيت وكيت فلذلك كانت اما متضمنة معنى الشرط كما ابانه الزخشري وقد تخلدو عن معنى التفصيل في خصوص قول العرب اما بعد فتمحض للشرط وذلك في التحقيق لحناء معنى التفصيل لانه مبني على ترقب السامع كلاما بعد كلامه الاول وقدرها سبوية بمعنى مهما يكن من شيء وتلقه اهل العربية بعد ، وهو عندي تقرير معنى لتصحيح دخول الفاء في جوابها وفي النفس منه شيء لان دعوى قصد عموم الشرط غير بيّنة

وجعل تفصيل الناس في هذه الآية قسمين لان الناس بالنسبة الى التشريع والتنزيل قسمان ابتداء مؤمن وكافر والمقصود من ذكر المؤمنين هذا التناء عليهم بثبات ايمانهم وتأييس الذين ارادوا القاء الشك عليهم فيعلمون ان قلوبهم لا مدخل فيها اذ الشك والمراد بالذين كفروا هنا اما خصوص المشركين كما هو مصطلح القرآن غالبا واما ما يشملهم ويشمل اليهود بناء على ما سلف في سبب نزول الآية . وانما عبر في جانب المؤمنين ليعلمون تعريض بان الكافرين انما قالوا ما قالوا عنادا او مكابرة وانهم يعلمون ان ذلك تمثيل اصاب المحن كيف وهم اهل اللسان وفرسان البيان ولكن شان المعاند المكابر ان يقول ما لا يعتقد حسداً وعنادة

وضمير انه عائد الى المثل (الحق) ترجع معانيه الى موافقة الشيء لما يحق ان يقع وهو هنا الموافق لاصابة الكلام وبلاغته فهو هنا ضد الخطأ

(من ربهم) حال من الحق ومن ابتدائه اي وارد من الله لا كما زعم الذين كفروا انه مخالف للصواب وهو مؤذن بانه من كلام من يقع منه الخطأ.

واصل ماذا كلمة مركبة من ما الاستفهامية وذا اسم الاشارة ولذلك كان اصلها ان يسأل بها عن شيء مشار اليه كقول انايل ماذا مشيرا الى شيء حاضر بمنزلة قوله ما هذا . غير ان العرب توسعوا فيه فاستعملوه اسم استفهام مركبا من كلمتين وذلك حيث يكون المشار اليه معبراً عنه بلفظ آخر غير الاشارة حتى تصير الاشارة اليه مع التعبير عنه بلفظ آخر لمجرد التاكيد نحو ماذا التواني او حيث لا يكون الاشارة وقع نحو وماذا عليهم لو آمنوا بالله ولذلك يقول النحاة ان ذا ملغاة في مثل هذا

اختتام الحديث الشريف

(٣) الحذر من الغضب والفواحش

بقلم المنعم الشيخ محمد ابن القاضي نائب للدولة لدى النظارة العلمية كان

مطابقة الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب للترجمة وهى قول البخاري باب الحذر من الغضب من حيث ان فيه الاغراء على الحذر من الغضب .

قال في الارشاد الصرعة بضم المهملة وفتح الراء من ابنية المبالغة وكل ما جاء بهذا الوزن بالضم والفتح كهمزة وازة وضحكة وحفظة والمراد بالصرعة من يصرع الناس كثيرا بقوته فنقل للذي يملك نفسه عند الغضب فانه اذا ملكها كان قد قهر أقوى اعدائه وشر خصومه ولذا قيل اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك

وفي حديث ابن مسعود عند مسلم مرفوعا ما تمدون الصرعة فيكم قالوا الذي لا يصرعه الرجال - قال ليس بذلك ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب وعند البزار

التركيب وقد يتوسعون فيها توسعا أقوى فيجعلون ذا اسم موصول وذلك حين يكون المسؤول عنه معروفًا للمخاطب بشيء من احواله فلذلك يحجرون عليه جملة او نحوها هي صلة ويجعلون ذا موصولا نحو قوله تعالى ماذا ازل ربكم وتلى هذين الاحتمائين الاخيرين يصح اعرابه مبتدا ويصح اعرابه مفعولا مقدما اذا وقع بعده فعل

والاستفهام هذا انكارى . والاشارة بقوله « بهذا » مفيدة للتحقير بقرينة المقام كقوله تعالى (اهذا الذي يذكر آلهتكم)

واتصّب قوله « مثلا » على التمييز من هذا لانه مبهم كما اتصّب من التمييز الضمير

في قولهم ربه رجلا

بسند حسن عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم مر يقوم يصرعون فقال ما هذا قالوا فلان ما يصارع احدا الاصرعه قال افلا ادلكم على من هو اشد منه رجلا كهم غيظه فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه

قال حجة الاسلام الغزالي قال يحيى لعيسى عليهما السلام اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى الكبر والفخر والحمية . ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب . فلا بد من ازالتهما باضدادها حتى تحصل السلامة منه ومن اثاره القبيحة التي تسمثر منها كل النفوس الدريمة فمن اثاره في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمّر الاحداق وتقلب المناخر وتستحيل الحلقة ولورأى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لكن غضبه حياء . ومن اثاره في اللسان انطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل ويستحي منه قائله عند فتور الغضب ومن اثاره على الاعضاء الضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصة على الارض ويكسر المائدة اذا غضب عايمها ويشتم البهيمة ويخاطبها كانه يخاطب عاقلا . ومن اثاره في القلب الحسد والحقد والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر وهذه بعض ثمرات الغضب الذي حذرت الشريعة منه وحثت على اجتنابه

وفي اعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ان من لطف الله سبحانه وتعالى انه لم يؤاخذنا بما يقع عنده ومن هذا قوله تعالى (ولو يعجل الله للناس الشر استعجلهم بالخير لقضى اليهم اجلهم) قال السلف هو دعاء الانسان على نفسه وولده واهله في حال الغضب ولو استجاب الله تعالى لاهلكه واهلك من يدعو عليه ولمكنه لا يستجيبه لعله بان الداعي لم يقصد . ومن هذا رفعه صلى الله عليه وسلم حكم الطلاق عن طلق في اغلاق . قال الامام احمد هو الغضب وبذلك فسر ابو داود وهو قول القاضي اسماعيل بن اسحاق من ايمة المالكية . وكذا فسر مسروق والشافعي لاطلاق في اغلاق بالغضب قال الحافظ ابن القيم فهذا مسروق والشافعي واحمد وابو داود والقاضي

اسماعيل كلهم فسروا الاغلاق بالغضب وهو من احسن التفسير لان الغضبان قد اغلق عليه باب القصد بشدة غضبه وقد الف رسالة في طلاق الغضبان قال فيها انه ثلاثة أقسام احدها ان يحصل له مبادي الغضب بحيث لا يتغير عقله ويعلم ما يقول ويقصده وهذا لا اشكال فيه . الثاني ان يبلغ النهاية فلا يعلم ما يقول ولا يريد فهدا لا ريب انه لا ينفذ شيء من اقواله . الثالث من توسط بين المرتبتين بحيث لم يصر كالمجنون فهذا محل النظر والادلة على عدم نفوذ اقواله .

قلت نمنع ان الادلة تدل على عدم نفوذ اقواله اذا لم يصر كالمجنون بحيث قد اغلق عليه باب القصد بشدة غضبه وهو المعبر عنه في مذهبنا بالمدهوش .

قال فقهاؤنا لا يعتبر طلاق الغضبان اذا غلب عليه الهذيان واختلط جده بهزله وغلب الخلل في اقواله وافعاله الخارجة عن عادته اما مجرد تحقق الغضب فلا يمنع وقوع الطلاق بل قلما يفارق الغضب الطلاق . نعم وقع الخلاف في انه هل يشترط ان يكون غير عالم بما يقول والصحيح انه لا يشترط ذلك فان بعض المجانين يعلم ما يقول ويدكر ما يشهد الجاهل به بانه عاقل ثم يظهر منه في مجلسه ما يتنافيه .

فان قيل قد ثبت في الاصول ان شرط التكليف او سببه القدرة على المكلف به فما لا قدرة المكلف عليه لا يصح التكليف به شرعا وان جاز عقلا والغضب امر طبيعي لا يزول من الجبلة فكيف ينهى عنه ويحذر منه . فالجواب عن ذلك من وجهين الوجه الاول نمنع ان الغضب امر طبيعي لا يزول من الجبلة بل يمكن ان يتخلق الانسان بالحلم ويتكلف له حتى يصير له سجية وملكة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا شج عبد القيس ان فيك لخلعةين يحبهما الله الحلم والاناة فقال اخلفين تخلقت بهما ام جبلي الله عليهما فقال بل جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جبلي على خلقين يحبهما الله ورسوله فدل على ان من الخلق ما هو طبيعة وجملة وما هو مكتسب .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اهديني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عن سيئها الا انت فذكر الكسب والتقدير .

الوجه الثاني نعلم ان الغضب طبيعي ودفعه ليس داخلا تحت الكسب ~~لم~~كن التحقيق ان النهي في مثل ذلك راجع الى سوابقه ولواحقه لا لذاته .

قال ابواسحاق الشاطبي في الموافقات الذي يتعلق به الطلب ظاهرا من الانسان على ثلاثة اقسام احدها ما لم يكن داخلا تحت كسبه قطعا وهذا قابل كقوله تعالى (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) وحكمه ان الطلب به مصروف الى ما يتعلق به وهو الاسلام والثاني ما كان داخلا تحت كسبه قطعا وذلك جمهور الافعال المكلف بها التي هي داخلة تحت كسبه والطلب المتعلق بها على حقيقة، في صحة التكليف بها سواء علينا أكانت مطلوبة لنفسها ام لغيرها .

الثالث ما قد يشتهه امره كالحب والبغض وما في منهاها فحق الناظر فيها ان ينظر في حقائقها فحيث ثبت له من القسمين حكم عليه بحكمه .

والذي يظهر من امر الحب والبغض والشجاعة والغضب والخوف ونحوها انها داخلة على الانسان اضطرارا اما لانها من اصل الحلقة فلا يطلب الا بتواضعها فان ما في فطرة الانسان من الاوصاف يتبعها فلا بدا افعال اكتسابية وحيث فالتطلب وارد على تلك الافعال لا على ما نشئت عنه لا تدخل القدرة ولا المجز تحت الطلب . واما لان لها باعثا من غيره فتشور فيه فيقتضي لذلك افمالا اخر فان كان المثير لها هو السابق وكان مما يدخل تحت كسبه فالتطلب يرد عليه كقوله عليه السلام تهادوا تحابوا فيكون قوله احبوا الله لما ايسدى اليكم من نعمة مراد به التوجه الى النظر في نعم الله تعالى على العبد وكثرة احسانه اليه وكنهيه عن النظر المثير ل الشهوة الداعية الى ما لا يحل وعين الشهوة لم يته عنه وان لم يكن المثير لها داخلا تحت كسبه فالتطلب يرد على الواحق كالغضب المثير ل الشهوة الانتقام كما يثير النظر شهوة الوقاع .

التشريع الاسلامي

حاجة البشر الى الشرائع (٢)

بقلم العلامة الشيخ محمد الهادي ابن القاضي المفتي الحنفي بالديار التونسية

واذ قد تبينت حاجة الخلق الى الشرائع بوجه عام فلا جرم كانت الشريعة الاسلامية وهي خاتمة تلك الشرائع أكمل تلك الشرائع وأعمها نفعا وأشملها نظرا وامسها بالحياة الفردية والاجتماعية من جميع نواحيها ولذلك نجد أنها دخلت في جميع مرافق الحياة العامة ووضعت القوانين والاسس لكل ما يصلح به البشر في شؤونهم الخاصة وشؤونهم الخاصة والعامة فهي دين وقضاء ومعاملات واخلاق

فاما من ناحية العقائد والعبادات فاحكامهما دينية لا تقبل التأويل ولا التبديل والتغيير ولا تتبع في ذلك عرفا ولا عادة ولا اي مؤثر آخر
واما من ناحية الاخلاق فانها تقرر من ذلك ما يتفق مع السنن الفطرية والاصول المرتكزة في الحلقة

واما من ناحية القضاء والمعاملات فهي تتبع في ذلك قساعة التيسير على الخلق وإزالة التعسير عنهم ودفع الضرر وارتكاب اهون الشرين وتحكيم العادات الحسنة ومراعاة الاصلح . وبعبارة اشمل وأعم جلب المنافع ودرء المفاسد ومن ثم اتسعت انظار الفقهاء في التشريع وتقرير الاحكام خصوصا فيما لانص فيه عن الشارع
وجاز لنا في هذا المقام ان نوجه سؤالا مهما وعو :

هل تآثر الفقهاء في تقرير انظارهم الاجتهادية واحكامهم الفقهية بالتشريع الموجود عند بقية الامم وبخاصة بتشريع القانون الروماني ؟

ونقول اما بالنسبة للاصول والاحكام المنصوصة وهي الاحكام الواردة عن الشارع باعيانها فلا مجال لورود هذا السؤال في حقها لان الشارع وهو الله تعالى قد اعطى لها احكاما وجعلها اصولا وهو غير محتاج في تقرير احكامها الى اخذ ذلك من قانون امة من امم اللهم الا ان يحصل امر اتفاقي غير مقصود وهذا مما لا مجال للبحث فيه بعد تسليم ان اصول الشريعة الاسلامية من كتاب ومنه امور سماوية الالهية

وببقى النظر في بقية الاحكام الاجتهادية وهي التي استنبط الفقهاء احكامها بطريق الاجتهاد والنظر في الادلة . فهل لهاته الاحكام علاقة بالقانون الروماني اولا بمعنى ان الفقهاء هل تأثروا بذلك القانون في تحرير ما استنبطوه من الاحكام او انهم لم ينظروا فيه اصلا وان اجتهادهم ونظرهم كان مقصورا على تلك الاصول المذلة وما فهموه منها بحيث ان عامة احكامهم مستخرج من تلك الاصول حسب فهموه من مقاصدها ووضعوه ميزانا وقسطاسا يزنون به كل ما يعرض لهم من مختلف الصور والجزئيات

ان هذا الموضوع دقيق شائك حصل فيه خلاف كبير بين الباحثين المتأخرين من غربيين وشرقيين فمنهم من ذهب الى ان الفقه الاسلامي وهو اسم لجميع الاحكام الفقهية اجتهادية ومنصوصة تأثر بالقانون الروماني وهو مذهب كثير من الغربيين المستشرقين وهؤلاء لم يدرسوا الفقه الاسلامي درسا عميقا بل اقتنعوا بدراسات سطحية لا تعد كافية من الناحية العلمية .

ومن العلماء من ذهب الى ان الفقه الاسلامي لم يتأثر بالقانون الروماني اصلا ونفى اصل العلاقة وهو الحق الذي يثبت به البحث العلمي والتجرد عن التعصب الممقوت . وانه يجب لدحض جميع الحجج التي تذرع بها من يقول بتأثر الفقه الاسلامي بالقانون الروماني ان ننظر في هاته الحجج وهي تنحصر في الامرين الآتين .

اولا : الشبه الموجود او المدعى وجوده بين التشريعين في بعض الاحكام .

ثانيا : تأثير الامادات في البلاد المفتوحة على توجيه الفقه الاسلامي

وان البحث في قيمة هذه الحجج يثير التدقيق في المسائل التالية

١ - هل ان الشبه المدعى يستحق الاهتمام او انه طفيف لا يذكر بالنسبة للفروق

٢ - هل ان مجرد الشبه يكفي للدلالة على الاقتباس

٣ - ماذا كان موقف الفقهاء المسلمين من القانون الروماني ؟

٤ - ما هي علاقة عادات الرومان في البلاد المفتوحة بهذا الموضوع ؟

مقرار الشبه بين التشريعين

قال احد المستشرقين وهو فون كريمن ان مواضع الشبه بين الشرع الاسلامي والقانون الروماني عديدة واهمها قاعدة البينة على المدعي . وسن البلوغ والرشد . وبعض احكام المعاملات التجارية كالاجارة والبيع

اما قاعدة البينة على المدعي اي قاعدة وضع عبء الانبات على المدعي لدى القضاء فانها تستند في الشريعة الاسلامية الى حديث البينة على المدعي واليمين على من انكر ومعلوم ان الحديث اقدم تاريخيا من الفتوحات الاسلامية في البلاد التي كانت خاضعة للحكم الروماني ومن هنا لا يمكن ان يكون مقتبسا من ذلك التشريع

واما سن البلوغ والرشد . فليس في التشريعين شبه جلي فيه فعند الرومان كان البلوغ محددًا بتمام السنة الثانية عشرة للفتاة وتمام الرابعة عشرة للفتى وفي الفقه الاسلامي نجد الرأي السائد اعتبر منتهى سن البلوغ هو خمس عشرة سنة

واما التشابه في عقدي البيع والاجارة فانه تشابه غير تام (يتبع)

الحق يعلمو - ٢ -

شهادة علماء أوروبا في الإسلام

بقلم المنعم أمير الامراء علي عبد الوهاب

قال الحكيم الفرنسي قوسطاف لوفون وهو العالم الاقتصادي الطائر الصيت في جواب له طويل الذيل عن سؤال كانت القننة عليه مجلة « الاجتهاد » التركية للاستعلام عن اسباب سقوط المسلمين والوسائل التي يجب اتخاذها لاسترجاع مجدهم الاثيل وفي خاتمة جوابه المومى اليه قال :

« والذي يظهر لي اني لو كنت امير المؤمنين لعيرت الاسلام اول دين بالكرة الارضية « فابتدى اولا بجمع العلماء واين لهم ان الاديان الاخرى غير مقبولة للعقل السليم « وان الاساس للدين الاسلامي بسيط جدا وهو هذا :

« لا إله الا الله وان محمدا - صلى الله عليه وسلم - هو الذي اثنا بهذه الحقيقة »

« ولا يوجد في هذه العريضة ما يصادم او يخالف علوم العصر الحالي . » اهـ

« وهذا العالم بوشة سميت الاستاذ بكلية اكسفورد الانكليزية يقول في كتابه محمد والدين المحمدي :

« بفرصة لا مثيل لها في التاريخ تمكن محمد - صلى الله عليه وسلم - من اقامة دين « واحداث امة وتأسيس سلطنة ورغما على اميته فقد اتى بكتاب هو في آن واحد

« دستور شريعة ومجموع صلوات وادعية وديوان حكمة كتاب يقده الى يومنا هذا

« السدس من سكان المعمورة لكونه آية اعجاز في البلاغة والحكمة وهو المعجزة

« الوحيدة التي قام بها محمد - صلى الله عليه وسلم - بمعجزته المستمرة فلما كان يسميها

« وهي لعمرى معجزة باهرة دافعة ولكن اذا اعتبرت ظروف واحوال ذلك العهد

« والاحترام الغير محدود الذي كان لاصحابه نحوه وان جعلت المقايسة بينه وبين

« الحواريين او صلحاء القرون الوسطى فاني ارى ان اغرب شيء في حياة محمد -

« صلى الله عليه وسلم - هو انه لم يقم ابدا بدعوى مقدرة على الاتيان بخوارق

« العادات والحال انه لو ادعى شيئا من ذلك لصدقه حالا متبعوه وهؤلاء لم يتمالكوا

« ان نسبوا اليه حركات غريبة لم تصدر منه وامتنع هو من الاتيان بها ولاخر حياته

« لم يطلب لنفسه - صلى الله عليه وسلم - لقباً آخر سوى الذي اتصف به من بدء امره اي رسول الله هذا واني مصمم الاعتقاد انه سيأتي يوم تنفق فيه عليه الفلاسفة وزعماء النصرانية الحقة على ان محمداً - صلى الله عليه وسلم - نبي. وان الله بعثه حقاً. » اهـ

ومن كتاب محمد والقرءان * الذي افه العالم السويسري م. جان سبيرو استاذ العربية بكلية لوزان قال في آخر التأليف المذكور :

« وقبل ان نختم الكلام على حياة هذا الرجل العظيم الذي بلغت سيرته غاية الشرف ومنتهى النزاهة من الاغراض فلنقل اننا لا نقدر ان نكرر مثلما نود ان محمداً صلى الله عليه وسلم - كان نبياً وان هنالك قوة خفية كانت تحميه على ان ينشر حواه ما كان ملا قلبه من الايمان .

« ولو لم يكن مخاصاً في دعواه ومعتقداً تمام الاعتقاد بالحقيقة التي كان يبدئها لما امكنه الاقدام على توعده الكاذبين والمنافقين بعذاب من الله شديد لو لم يكن مخلصاً لما تجرأ على التصريح بغاية الشدة بانه يكون مقصراً بل مجرماً اذا لم يبلغ ما اوحى اليه (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) (قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم)

« لو كان كاذباً لما تعلق به رجال ذووا همم واخلاق عالية مثل ابي بكر وعلي وعمر والحال انهم كانوا من اشرف بيوتات مكة المكرمة كلا ولكن لشدة محبتهم له ولاستئاقهم اياه تركوا عائلاتهم ونبتلوا بمعتقداتهم وعوائدهم القديمة وصاروا احرص انصار لدين لم يكن انخرط فيه اذ ذاك الا الضعفاء والفقراء والعبيد والموالي .

« وها انا بكل ما لدي من التحقق واليقين اقدم على التصريح بهذا القول الجازم القاطع - انه مهما زاد الانسان اطلاعا على سيرة محمد - صلى الله عليه وسلم - لا يكتب اعدائه وشاقي بل بتأليف معاصريه وبالكتاب والسنة الا وادرك اسباب اعجاب الملايين من البشر في الماضي وحتى الان بهذا الرجل - صلى الله عليه وسلم - وفهم علة تقائهم في صحبته وتعظيمه » اهـ

قال جوننس اوركس الاقلنزي في كتابه المسمى « البحث عن الشعر الذهبي » :

لم نعلم ان محمداً - صلى الله عليه وسلم - « تسربل بآية رذيلة مدة حياته » اهـ

* نسخة فريدة من كتاب مجهول - ٢ - *

بقلم الاستاذ الفاضل بن عاشور

وابن حزم يكنى ابا محمد كما يكنى مؤلف الكتاب وكذلك يكنى نفسه في اوائل المباحث في كتاب المحلى .

فهذه ثلاثة ادلة (الظاهرية والكنية وانكار القياس مطلقا) على ان مؤلف الكتاب هو ابن حزم .

والدليل الرابع انه ذكر في الكتاب مرتين كتاب كبير لنفس المؤلف يحيل عليه في المباحث المبسوطة وقد سماه كتاب الملايصال وهذا الكتاب منسوب لابن حزم في جميع مصادر ترجمتنا (١) وموضوعه متلاق مع المباحث التي احيل في بسطها عليه .
والدليل الخامس وهو اوضحها ان المؤلف قد ذكر اسانيده في رواية احاديث وردت في اثناء الجهادلات فكانت جملة اسماء الشيوخ الذين ذكرهم ستة وجميعهم قد اثبت لنا البحث انهم شيوخ ابن حزم :

روي اكثر من عشرين مرة عن محمد بن سعيد بن نبات وقد ذكر مرتضى في تاج العروس ج ١ ص ٥٩٠ انه من شيوخ ابن حزم وروي عنه ابن حزم في المحلى بكثرة .
وروي مرتين عن يونس بن عبد الله وهو القاضي المشهور بابن معيث الصفار توفي سنة ٤٤٢ ذكره ابن بشكوال (٢) في ترجمة ابن حزم واثبت انه من شيوخه وترجمه .
وروي مرتين كذلك عن عبد الله بن ربيع وهو القاضي ابو محمد ابن بدوش توفي سنة ٤١٥ ذكر ابن بشكوال في ترجمة ابن حزم انه يروي عنه وقد روى عنه في المحلى (ترجمته ص ٢٥٦ صلة ابن بشكوال)

وروي مرتين عن يوسف بن عبد الله النخعي وهو القاضي الحافظ ابو عمر بن عبد البر توفي سنة ٤٦٣ (ترجمته ص ٦١٦ صلة) فذكر عباس في ترجمته في المدارك (٣) ان ابن حزم تلميذه

(١) انظر معجم الادباء لياقوت ص ٢٥٢ ج ١٢ ط دار المأمون ص ٢ (٢) الصلة ط قديرة بمجربط ص ٤٠٨ وص ٦٢٤ (٣) الجزء الرابع مخطوط المكتبة العاشورية

* تمتة البحث المنشور في الجزء الاول من هذا المجلد (ص ٢٣)

وروي مرتين ايضا عن احمد بن محمد الطلمنكي وهو الحافظ ابو عمر توفي سنة ٤٢٩
 (ترجمته ص ٤٧ صلة) وقد روى عن ابن حزم في كتاب المحلى (١)
 وروى مرة واحدة عن احمد بن عمر بن انس المذري وهو ابن الدلائلي توفي
 سنة ٤٧٨ ترجمه ابن بشكوال (ص ٤٧ صلة) وذكر ان ابن حزم روى عنه
 والدليل السادس ان طريقة ابن حزم الجدلية العنيفة التي عرفناها في كتبه مثل
 المحلى والفصل هي عين طريقة الكتاب فقد ملئ جراءة وبذاءة يحققان ما اشتهر في
 الكلمة الشائعة « لسان ابن حزم وسيف الحجاج قرينان » حتى ان الافعال التي يعبر
 بها في الكتاب هي عين الافعال التي يعبر بها في المحلى عما يتمسك به خصومه من
 الادلة مثل عبارتي « التشغيب » و « التمويه » الذين يروجان على قلمه كثيرا
 والدليل السابع هو ان في الكتاب من الجهة العلمية نقط ضعف تتناسب مع ما
 اشتهر عن ابن حزم من قلة التحري في النقل والعمد الى ابراز مذهب الخصم وحجته
 في صورة محرفة عن اصلها تقريبا للنقضاء وانسادهما فقد ذكر ابوبكر ابن العربي في
 كتاب العواصم (٢) ان ابن حزم « يقول على العلماء ما لم يقولوا تنفيرا للقلوب عنهم
 وتشغيما عليهم » وذلك يدل على ان الذين كانوا يحيطون به ويتلقون عنه اماليه وكتبه
 ابتداء كانوا من ذوي المنازل العلمية الضئيلة الذين لا يعرفون حجج المذاهب عن تحقيق
 وذلك ما شهد به ابن العربي ايضا على ابن حزم حين قال : « وجد بين جماعة يعرفون
 المسائل ويجهلون الاداة فكان يغرب عليهم بجهالته » ويؤيده قول ياقوت في ثنائه (٣)
 « يبت علمه فيمن ينتابه من بادية بلده من عامة المقتبسين منهم من اصاغر الطلبة الذين
 لا يحشون فيه الملاحة »

وما في القطعة التي بين ايدينا من ذلك شواهد ناطقة بهذا اللقص فالمؤلف ينقل
 عن المذهب الحنفي فروعا كذلك هي فيه ويورد في حكاية ادلة الحنفية جزء الدليل او
 توجيه الدليل على انه كله او عينه وطالما يهمل في سوق الدليل ما اقترن به من تخصيص
 او تقييد او بيان وحين يناقش مسائلنا عن قياس لم يعملوه او حديث لم يخذوا به يكاد
 (١) ص ٢ ج ٢ مصر ١٣٤٧ نشر الشيخ شاكر (٢) الفصل في الملل والاهواء

والنحل ط مصر ١٣١٧ (٣) ارشاد الاربيب ص ٢٥٢ ج ١٢ طبع دار المأمون

يوهم ان لا دليل يتمسكون به غيره مع ان دليلهم على ذلك مع بيان وجه عدولهم عن الدليل المناقش به مبسوط في كتب المذهب الحنفي وخاصة كتب الطحاوي التي يهتم المؤلف بتتبعها وربما ناقشهم باصول ليست مسهلة عندهم وقواعد لا يقولون بها كما وقع له في ختام الفصل الحادي عشر اذ اراد ان يقدح في قياس تخلف العلة مع ان الحنفية لا يرون تخلف العلة قادحا في القياس كما هو مقرر في اصول الفقه

وبهذا كله يثبت ان الكتاب من تاليف ابن حزم وانه على ما في موضوعه من ضعف - اثر نفيس من آثار القرن الخامس يصور لنا موقفا من مواقف الظاهرية وهم يحامون دون شبح التقهقر الذي هدد مذهبهم في ذلك القرن وتمكن منه في الايام الاخيرة من حياة ابن حزم فازداد بذلك حدة على حديثه لما حدثته نفسه بان مذهب الظاهرية قد مات شمس الى رؤوس النخيل وذلك ما لم تلبث الايام ان صدقته

ويمتاز هذا الكتاب عن غيره من كتب ابن حزم المعروفة مثل كتاب المحلى بانه مبني على الجدل والمناقضة لا على الاثبات والاحتجاج كما بني المحلى وان تلاقى معه في كثير من مسائله

كما يمتاز عن اغلب كتب الجدل المذهبي بان ترتيبه مبني على ابواب الاصول لا على ابواب الفقه الفرعي

ولا نعرف من هذا الكتاب غير القطعة التي تحدثنا عنها كما انا لا نعرف له في كتب ابن حزم ذكرا فكتب ابن حزم كثيرة جدا حتى عدا اكثر المؤلفين في الاسلام (١) والمجهول منها اكثر من المعروف بسبب ما اصابه واصابها من الخن فلم يثبت جريدة اسماء كتبه كاملة اي واحد من مترجميه الذين بين ايدينا. وهو غير الكتاب الموجود في مكتبة غوطا الذي لخصه جولد زيهر (٢) الا ان تكون تلك الرسالة جزءا من المباحث الاولى لهذا الكتاب وهي التي تموزنا

فالنسخة الوحيدة من هذا الكتاب في ما عرفنا هي التي بين ايدينا هذه القطعة منها وهي الآن من محتويات مكتبتنا العائلية تم نسخها بمصر سنة ١٧٨١ هـ وثمانين وسبعمائة وقد كتب في آخر النسخة اسم كاتبها بالعبارة الآتية : « علق هذا الجزء لنفسه

(١) ياقوت ص ٢٣٩ ج ١٣ (٢) كتاب بالالمانية في تاريخ الظاهرية ط ليبسك ١٨٨٤

العبد الفقير الى رحمة الله تعالى محمد بن ابراهيم بن محمد الدمشقي الاصل الشهير بالبدر البشتكي لطف الله تعالى به وعفى عنه في شهر رجب ٧٨١ وحسبنا الله ونعم الوكيل وهذا الكاتب عر احد مشاهير العلماء والادباء والشعراء بمصر توفي سنة ٨٣٠ (١) وهو الذي اختصر كتاب الاحاطة لابن الخطيب في الكتاب الذي سماه مركز الاحاطة (المطبوع بمصر باسم الاحاطة ومنسوب لابن الخطيب) وكان الى جنب علمه وادبه من مشاهير الخطاطين الذين نسخوا كتباً كثيرة وكانت الرغبة متوفرة على الكتب المنسوخة بخطه وقد وصف السخاوي خطه وصفا ينطبق على كتابة هذه النسخة وفي مكتبنا ايضا نسخة بخطه من الديوان الكبير لابن نباتة تتطابق مع النسخة التي هي موضوعنا خطأ ومسطرة وقالبا وتجليدا .

ولكن يظهر ان نسخ البشتكي الكتاب ابن حزم لم يكن بوصفه خطاطا ولكنه كان لعناية خاصة بالكتاب ورغبة شخصية فيه كما يدل على ذلك بقوله « علقه لنفسه » ولهذه العناية اسباب يكمل بها ما تمثل في تأليف هذا الكتاب مما يرجع الى حياة مذهب الظاهرية

فان هذا المذهب بعد انقطاعه في القرن الخامس قد كانت له رجعات في فترات متقطعة عطفت عليه كثيرا من اهل العلم - ولا سيما بعد ظهور ابن تيمية في القرن السابع - وجعلتهم يميلون الى احياء اقوال ابن حزم البائدة ويتعلقون بما يجدون من كتبه النادرة تعلقهم بالاثار العزيزة المباركة

ولقد كان الناسخ من هؤلاء حتى اشتهر بلقب الظاهري (٢) كما اشتهر به ابن حزم وكان ميالا للمذهب ابن حزم غالبا عليه حبه حتى امتحن بسبب ذلك (٣) فكان نسخه لهذا الكتاب آية من آيات الاعتناء والاقبال الذي كان له على ابن حزم وكتبه كما كانت مطالعة المطالعين في هذه النسخة متائرة بهذا الليل وآية اعتناء خاص بابن حزم وكتبه وافكاره فقد كتب في آخر هذا الجزء بخط تعليق ما نصه : « طالع هذا

(١) انظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي ص ٢٧٧ ج ٦ ط مصر ١٣٥٤ وفي

تاج العروس للزبيدي ص ١١٠ ج ٧ (٢) الضوء اللامع (٣) تاج العروس

الجزء جميعه ابو الفضل احمد بن علي المسقلاني لطف الله به ٧٩١ هـ وهذا هو شيخ الاسلام ابن حجر كبير رجال الحديث في القرن التاسع وهو وان كان شافعيًا فإنه ميال الى الاثر والى تتبع الاقوال الفقهية المستنبطة من الحديث نزاعا الى الوقوف على مدارك الخلاف المذهبي حريصا على الانصاف في التفقه بعيدا عن التعصب المذهبي كما يتضح ذلك في شرحه العظيم الواسع على صحيح البخاري . وقد كان اتصال ابن حجر بالبشتكي ناسخ الكتاب اتصالا عظيما جدا فكانت مطالعته في الكتاب وكتابته عليه مظهرا لهذه الصلة وعلامة على ما كان يجمع بينهما من الابقهاج بالتحصيل على هذه النسخة وان اختلفت الغايات من ذلك .

وتحت خط ابن حجر هذه العبارة : « هو شيخنا شيخ الاسلام ابن حجر » مكتوبة بخط نسخي وبالخط نفسه في الطرف الآخر من الصفحة : « الحمد لله على التوفيق سنة ٨٢٦ هـ ولا يبعد ان يكون كاتب ذلك هو مؤرخ القرن التاسع السخاوي الذي كان يلتزم التعبير عن ابن حجر بكلمة شيخنا . فتلك هي قصة مذهب الظاهرية قد تمثلت كلها في هذه النسخة من ظروف الازدهار والانطفاء التي اتصلت باسباب التأليف الى ظروف الانبعاث التي تمثلت في دواعي التخطيط والمطالعة .



لغويات

تصحيح اخطاء وتعاريف في

طبعة جمهرة الانساب لابن حزم (٢)

بفلم الممثلة المحقق الاستاذ الاكبر الشيخ

محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع وفروعه

ص ١٦٦ س ١٣ « الخلع » ضبط بفتح فسكون وهو خطأ والصواب بضمين كما

في القاموس

ص ١٦٦ س ١٣ « ادعوا الى الضرب بن عبد الله بن الحارث بن فهر »

والصواب « ادعوا الى الحارث بن فهر » كما في تاج العروس عن الصحاح والروض الانف
وكما في صفحة ١٦٧ من الجمهرة

ص ١٧١ س ٣٠٢ المملوح ضبط بكسر الواو والصواب انه بفتح على

الواو كما في القاموس والتاج

ص ١٧٥ س ١٥-١٦ وتعلية رسم بمثلته فمين فوحيدة وكذلك رسم في النسخة

التونسية وهو خطأ والصواب انه نَعْنِيْلَة بنون فمين فتحتية فلام بوزن جهينة كما في
القاموس وكذلك رسم في نسختين مخطوطتين من الاستيعاب ووقع خطأ في هذا الاسم
في المطبوعة من الاستيعاب وخطأ آخر فيه في الاصابة

ص ١٧٩ س ٤ - ٥ مملكان ضبط بفتح الميم انظر ما تقدم في تصحيح صفحة ١٥

ص ١٧٩ س ٢٠ « وحلة » وقع في النسخة التونسية وحله بتقديم السلام على

الميم وليحذر

ص ١٨٠ س ٧٠٤ « مرض » في موضعين ضبط بفتح على الميم وسكون العين

وفتح الراء والصواب « مُعْرِض » بضم الميم وسكون العين وكسر الراء المخففة كذا ضبطه البغدادي في خزانة الادب في ترجمة الاقيشر (انظر صفحة ٢٨٠. جزء ٢ طبع بولاق)
ص ١٨٢ س ١٤ - ١٦ « بنو الزنية » ثلاث مرات ضبطه بفتح الزاي وكسر النون وتشديد التحتية وهو خطأ والصواب كسر الزاي وسكون النون وتخفيف التحتية كما في كتب السيرة .

ص ١٨٢ س ١٦ « فمن بني الزنية : مالك الحضرمي » الصواب وضع النقطتين بعد كلمة مالك . ويكون مالك مجرورا بيانا من الزنية . والحضرمي مرفوعا على الابتداء وخبره من بني الزنية

ص ١٨٢ س ١٧ « مواله » كتب بالالف بعد الواو والصواب « موله » بفتحات ثلاث كما ضبطه في الاصابة .

ص ١٨٣ س ٩ كتب « الاختم » بثناة فوقية ولا يعرف هذا في الاسماء والصواب انه بثنته فان ذلك معروف في الاسماء كما في القاموس وقد رايت ضبط هذا في بعض كتب التاريخ .

ص ١٨٣ س ٩ « حَمَلٌ » خطأ والصواب حمال بتشديد الميم وائف بعدها كما ضبطه ابن الاثير في الكامل (انظر ص ٥ . جزء ٢)

ص ١٨٤ س ٢ « ودؤاب » كتب بدال مهملة والصواب بالذال المعجمة كما في معاهد التنصيص في مبحث محسن الاطراد

ص ١٨٤ س ١٩ « ابن الزبير » ضبط بضم الزاي وفتح الموحدة والصواب انه بفتح الزاي وكسر الموحدة

ص ١٨٤ س ٢ « الزيري » ضبط بضم الزاي وفتح الموحدة والصواب فتح فكسر كما تقدم

ص ١٨٩ س ٧ « بن لجاء » والصواب بن لجا يهزمة بعد الجيم

ص ١٨٩ س ٧ بن « جدير » بجيم في التاج بجاء مهملة

ص ١٨٩ س ٧ « بن معاذ » صوابه بن مصاد بيم مفتوحة فصاد مهملة باخره

دال مهملة

ص ١٩٠ س ١٩ « هدمة بن الاصم » كذا كتب والصواب هذمة (بالمعجمة)
 ابن لاطم بلام والف وطاء مهملة وتخفيف الميم كما في القاموس
 ص ١٩١ س ٣ - ٩ - ١٠ هدمة (ثلاث مرات) والصواب كما تقدم
 ص ١٩١ س ٣ « المضرب » ضبط بكسر الراء والصواب بفتحها
 ص ١٩١ س ٨ قوله « لم يبلغني اسمه » اقول اسمه سنان كما في الاستيعاب
 ص ١٩٣ س ١ « بجاد » كتب بدل بعد الالف والصواب انسه بحالة
 بلام وهاء تاليت بعد الالف كما في القاموس والتاج وكما هو على الصواب في السطر ١٧
 ص ١٩٧ س ٣ « الحطاط » ضبط بكسر الباء والصواب بفتحها
 ص ٢٠٣ س ١٧ « قريظ » كتب بطاء معجمة والصواب بطاء مهملة كما في
 النسخة التونسية وهو المعروف في الاسماء

ص ٢٠٤ س ٧ - ١١ « عواقة » ضبط بضمة على العين والمعروف انه بفتحة على
 العين وهو مقتضى سكوت القاموس عن حركة اوله لان اصطلاحه ان عدم
 التعرض لذكر الحركة يقتضي ان الحركة فتحة ولم ينه صاحب التاج على
 حركته . ولكن من العجب انه وقع في نسخ اربع مخطوطة من القاموس
 موضوعة ضمة على عينه . وكذلك في نسخة اللسان المطبعة ببولاق

ص ٢٠٦ س ٤ - ٥ - ٦ « الوقاء » كتب بالمد وضبط بسكون على القاف
 والصواب انه مقصور والقاف مفتوحة

ص ٢١٥ س ١٠ « ابن جويرة » كتب بحج فواو فتحية فراء فتحية
 فهاء تاليت . والصواب انه بحاء مهملة مفتوحة فواو مكسورة فتحية مشددة كما
 في الاصابة .

ص ٢١٥ س ١٦ « الاحوص بن عمر » كتب بحاء مهملة والصواب انه بحاء
 معجمة ابن عمرو بفتح العين كما في القاموس وهو غير الاحوص الذي بالمهملة
 ص ٢١٦ س ١٦ « الحشاب » كتب بحاء مهملة غير مضبوط والصواب انه
 بحاء معجمة وبوزن كتاب كما في القاموس

ص ٢٢٣ س ١٩ « افصى » جعل شدة على الباء والصواب عدم الشدة

ص ٢٢٨ س ١١ - ١٧ « اقصى » كتب بالقاف والصواب بالفاء كما تقدم
ص ٢٣٣ س ١٦ « الطقاوة » هو بضم الطاء وتخفيف الواو
ص ٢٣٤ س ٩ - ١٢ « عفان » (ثلاث مرات) كتب بنون في آخره وضبط
بفتح العين وتشديد الفاء والصواب انه بقاف في آخره وانه بكسر العين وتخفيف
الفاء كما في القاموس

ص ٢٣٩ س ٤ « من بنين » صوابه « من بني عبس » كما في النسخة التونسية
ص ٢٤٠ - ٢٤١ س ٩ - ١٠ - ١١ - ١٧ « غيط » كتب بطاء مهملة في مواضع
اربعة والصواب انه بطاء معجمة

ص ٢٤١ س ١٤ « هجناك » كذا كتب وهو خطأ والصواب « هجانك » كما
في النسخة التونسية والمعنى عليه

ص ٢٤١ س ١٥ « ابها الملك » في النسخة التونسية « ايا الامير »

ص ٢٤٢ س ٦ ضبط « وجئامة » بضمة على الجيم ولم اقف على هذا في الاعلام
وانما هو في الاوصاف والظاهر انه بفتح الجيم وفي النسخة التونسية وضع علامة
الشد على الثاء

ص ٢٤٢ س ١٠ - ١٢ كتب « الرقاج » بقاف والصواب الرماح بيم كما في
النسخة التونسية وعو المعروف

ص ٢٤٢ س ١٠ - ١٤ - ١٥ كتب « غيط » بالطاء المهملة وتقدم تصحيحه
آنفا في تصحيح صفحة ٢٤٠

ص ٢٤٢ س ١١ - ١٢ كتب « شَرَيان » بشين وراء والصواب ثوبان بمثلثة
وواو وموحدة كما رسم في الاغاني المخطوطة والمطبوعة ووقع في النسخة التونسية
ريان بمثلثة وراء وتحتية كما في تعليق الاغاني طبع دار المكتب

ص ٢٤٢ س ١١ « شراقة » كتب بشين معجمة والصواب انه بالسين المهملة

ص ٢٤٢ س ١٦ كتب « مسرق » بقاف والصواب بفاء كما في التواريخ

ص ٢٤٣ س ١٦ كتب « وسمخ » بسين مهملة والصواب انه بشين معجمة كما
في النسخة التونسية وغيرها

ص ٢٤٣ س ١٦ كتب « بنوخولة » بخاء ثم واو والصواب « بنو منولة » بهم
فنون فواو كما في القاموس والتاج
ص ٢٤٤ س ١ كتب « ان كتبت » والصواب ان ينأ كما هو في دواوين
الادب والمعنى عليه

ص ٢٤٥ س ٥ - ٧ « ام قرية » كتب بموحدة بعد الراء والصواب بقاء
والقاف مكسورة كما في القاموس والسيرة
ص ٢٤٨ س ١ كتب « عن الحيل » والصواب « عن الحمل » حسب المعنى
ص ٢٤٨ س ١٠ كتب « فليأخذها » والصواب « فليأخذ » كما في
النسخة التونسية

ص ٢٤٨ س ١١ كتب « واطلهم » والصواب « واطلقهم »
ص ٢٤٩ س ٨ كتب « وابنا » والصواب ابنا بدون واو
ص ٢٤٩ س ٩ « كتب » عمرو بن يقظة « والصواب » عمرو بن رباح
بن يقظة « كما في الاغاني وغيره

ص ٢٤٩ س ٩ كتب « بن عصية ومالك ذو التاج » وهذا نقص
والصواب « بن عصية وخفاف بن نذبة وهي امه واسم ابيه عمير بن الحارث بن
الشريد وهو عمرو بن يقظة بن عَصِيَّة » كذلك في مخرج مصحح في النسخة
التونسية - يلاحظ تصحيح عمرو بن يقظة بانه عمرو بن رباح بن يقظة كما
يقدم ايضا

ص ٢٦٢ س ٩ ضبط « هزم » بضم ففتح والصواب انه بضم فسكون
كما في السير

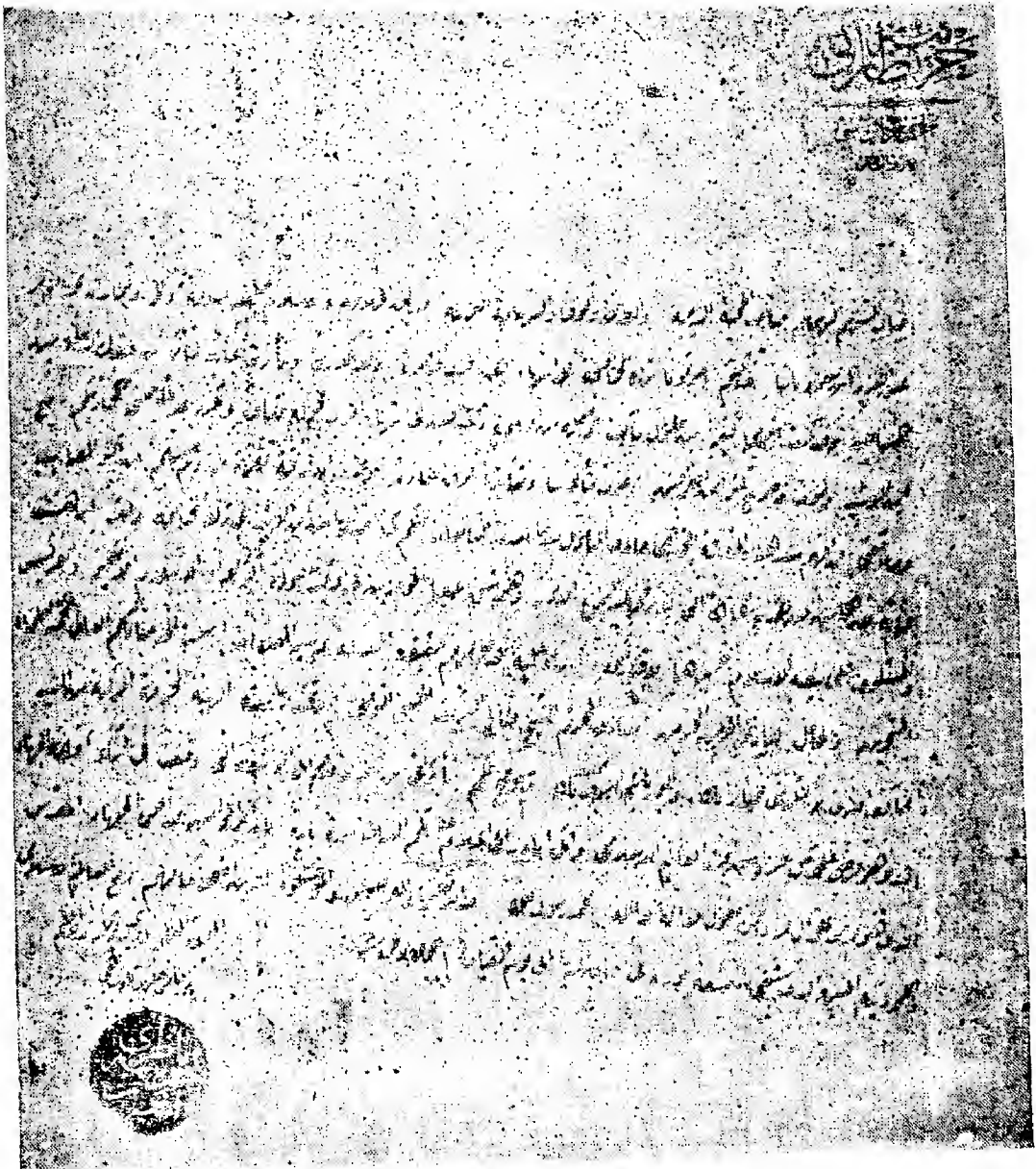
ص ٢٦٦ س ١١ - ١٣ ضبط مرجع « (ثلاث مرات) بفتح الميم
والصواب انه بكسر الميم كما في القاموس

ص ٢٦٩ س ٢ تب « اخاه منقاد » والصواب « اخوه منقادا » والضمير
عايد الى ربيعه في السطرين ١ - ٢ واما اسم منقاد فكذلك وقع تصحيحه
في النسخة التونسية بخط مصححيها وكان مرسوما منقاد بدال مهملة وكلا الامين

وثيقة تاريخية هامة تتعلق بحياة

الشيخ صالح الشريف

بقلم العلامة التحرير الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور المدرس بجامع الزيتونة



نصها: حربية نظارتي (١) تحريرات دائرة سي (٢) تحريرات قلبه (٣) جناب
 الشهم الهمام صاحب الحمية الدينية والصدق والوفاء والشهامة العربية صديق
 الخلافة والاسلام صاحب الدولة والي وقمانوان (٤) نجه الامير عبد العزيز ابن سعود
 باشا قد كنتم اخبرتمونا بترك المخاصمة الى انتهاء هذه الحرب الحاضرة ولقد تكديت
 تأثرت غاية التأثير من سفك الدماء بين المسلمين وقد كنت مبهتجا كثيرا من حصول
 ما كنت أومله من اصلاح ذات البين الى انتهاء الحرب بحوله تعالى ولكن عندما بلغني
 محاربتكم مع ابن الرشيد وموت وجرح كثير من الطرفين صرت مأیوسا ومتأثرا فوق
 المعتادة وعندني ان اراقة قطرة من دم مسلم من اكبر المصائب وما امكنتني ان افهم سبب
 هذه المقاتلة التي هي خلاف المأمول بعد ما اخذت التأمينات منكم كما اخذتها من ابن
 الرشيد في ترك المخاصمة ولقد اندهشت غاية الاندهاش من هذه الحالة التي لا ترضى
 عند الشرع الانور وهي شق عصا الموحددين في وقت صولة اكبر اعداء الاسلام
 الانكليز والفرنسيين والمسكوف (٥) على بيضة الاسلام لتكسرهما لا قدر الله بناء
 عايه لاجل فهم حقيقة المسألة وسبب المعاداة ارسلت الى جنابكم العالي احد العلماء
 المتبحرين والحامل لباية (٦) الحرميين المحترمين استاذي المحترم الشيخ صالح الشريف
 الحسني التونسي وتحت رئاسته الهيئة المحترمة المركبة من السيد عاكف افندي
 والبكباشي ممتاز بك واليوزباشي اشرف بك وسيوضح لكم تاثيراتي من هذه الاحوال
 المؤسفة التي وقعت في اثناء اقامة الجهاد الذي هو فرض على كل فرد من افراد العالم
 الاسلامي واني ابادر الى اعلام جنابكم العالي مرة ثانية بان امير المؤمنين قد اعلن
 الجهاد المقدس الذي هو فرض على كل فرد ممن يقول لا اله الا الله محمد رسول الله
 ضد الانكليز والفرنسيين والمسكوف الذين اقصى امالهم دفع العالم الاسلامي ومحو

(١) وزارة الحرب (٢) دائرة التحريرات (٣) قلم التحرير (٤) قائم عام
 (٥) الامة الروسية (٦) رتبة باي وهو انعام كان يخص رجال الهيئة الدينية

دينه المبين الذي سبقي شمس نوره في افاق الدنيا الى يوم القيامة ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٣

صهر الخليفة المعظم ووكيل قوماندان الاعظم

ياور خصاص حضرتي بادشاهي (١)

انور حربية ناظري ١٣٣٣ (٢)



الاسماء التي تدور عليها

المخاطب : جلالة الملك عبد العزيز آل سعود فارق مدينة الرياض سنة ١٣٠٨ وسنه احد عشر عاما لما زال عن امارتها والده عبد الرحمان بن فيصل والتجأ الى الكويت ثم عاد اليها غازيا سنة ١٣١٩ فاسترجعها من ايدي آل الرشيد الذين كانوا الحقوها بامارة حائل تحت السيادة العثمانية واستمرت الحروب بينه وبينهم حتى ضم اكثر البلاد النجدية الى امارته واستولى على الاحساء وفي سنة ١٣٣١ تصالح مع السلطنة العثمانية التي كانت ولاية الاحساء تحت سيادتها وسمي واليا على نجد مع منحه لقب باشا برتبة مشير

المرسل : انور باشا البطل التركي الاسلامي احد زعماء حركة الانحاد والترقي بقيادة ثورة الانقلاب سنة ١٣٢٦ اشتهر في حرب طرابلس وحرب البلقان وعلا نجهه بفك ادرنة سنة ١٣٣٢ ثم سمي وزيرا للحربية في الوزارة الاتحادية برئاسة طلعت بك وهي الوزارة التي كان دخول تركيا في الحرب العظمى على عهدها واضطلع فيها انور بمهمة توحيد العالم الاسلامي في موقف مناصرة الخلافة العثمانية فجدد في العمل لتمكين دواعي التقارب ورفع عوامل التفريق بين عناصر العالم الاسلامي دولا وشعوبيات واحزابا توفي شهيدا في اماره بخارى من بلاد التركستان سنة ١٣٣٩

ابن الرشيد : الامير سعود بن عبد العزيز بن متعب بن عبد الله بن علي بن الرشيد من عرب شمر كان اجدادهم امراء تابعين لسلطنة مال

(١) الملحق العسكري (المنعني) الخصاص لحضرة السلطان (٢) انور وزير الحرب

سعود يحكمون باسمهم ولاية شمر في سنة ١٣٥٠ وعاصمتها مدينة حائل (شمالي البلاد العربية)

وفي اوائل القرن الحاضر بدأ الامير محمد بن عبد الله - عمّ والد الامير سعود الذي يتعلق به موضوعنا يسير على منهج قاطع للعلاقات بين امارته وبين سلطنة آل سعود ورابط فيما بينه وبين سيادة الخلافة العثمانية حتى انتهى الى الاستيلاء على مدينة الرياض سنة ١٣٠٨ واجلاء السعوديين عنها وفي اماره ابن اخيه عبد العزيز بن متعب اخذ السعوديون بنارهم واسترجعوا الرياض عاصمتهم واستمرت اماره آل الرشيد مؤعزعة يسيطر عليها النفوذ العثماني وتنال منها عداوة السعوديين وكان آخر امرائها الامير سعود المتعلق به حديثنا فقد ظل محتفيا بالمدينة المنورة من بعد مقتل والده سنة ١٣٢٤ الى ١٣٢٦ اذ نصب اميرا على حائل تحت السيادة العثمانية وبقي معتصما بحبلها وسلطنة السعوديين على تهديداتها ومناوشاتها له الى ان انتهت اماره آل الرشيد بسقوط السلطنة العثمانية فقتل الامير سعود سنة ١٣٤٠ والحقت منطقة امارته بسلطنة منافسه الملك عبد العزيز آل سعود وهي الآن من اجزاء المملكة العربية السعودية

الظروف الخاصة بهذه الوثيقة

كانت روح التنافس والنزاع سائدة بين الامارتين النجديتين اماره آل سعود واماره آل الرشيد من اول القرن الرابع عشر وكانت صلات آل الرشيد بالخلافة العثمانية مبنية على نظرة الحذر والكراهية التي تلمحظ بها دار الخلافة آل سعود منذ ظهورهم صدر القرن الثالث عشر بنزعة المذهب الوهابي في عهد عبد العزيز آل سعود الاول وما تبع ذلك من استيلائهم على الحرمين الشريفين وتوغلهم في العراق وسوريا ومحاربة العثمانيين اياهم بواسطة والي مصر محمد علي الكبير وولديه طوسون باشا وابراهيم باشا الذين اتصروا عليهم انتصارا باهرا وساقوا عبد الله بن سعود الكبير وعظماء قومه الى الشنق في الآستانة سنة ١٢٣٤ واستمرت حركتهم معتبرة حركه ثورية انشاقية يتوالى قمعها من طرف ولاية مصر الى ان جدد فيصل بن تركي - جد الملك عبد العزيز الحالي - امارته بعد خروجه من الاعتقال بمصر سنة ١٢٦٠ وكان قد حمل اليها اسيرا

عند استيلاء خورشيد باشا على الرياض سنة ١٢٥٤ فعمل اساس عهده الجديد موالة السلطنة التركية وولاية مصر الا ان اماره السعوديين دخلت بعد وفاة فيصل سنة ١٢٨٢ في مشاقات داخلية ومنازعات عائلية ثم اشتبكت في الحروب مع آل الرشيد فكانت حالتها تلك كافية للسلطنة العثمانية عن محاربتها لا سيما مع سوء الحالة بمصر التي هي مقر القيادة العامة للحملات العثمانية على السعوديين فكان قصارى عمل العثمانيين في هذا الدور ان يلاحظوا حالات الاضطراب التي كانت محيطة بالعرش السعودي ليتحققوا من انحصار الخطر وان يساندوا الامارة التي كان وجودها توهينا لنفوذ آل سعود وتحييدا من انبساط سيادتها على كامل البلاد للنجدية وهي اماره آل الرشيد

فلذلك كان السعوديون يعتبرون في نزاعهم المتجدد مع آل الرشيد في منازعة مع العثمانيين من ولاء ستار فكانوا يهتبلون فرص ضعف الخلافة العثمانية وحدث مشاكلها وتولد مظاهر ضعفها نحو اماره آل الرشيد بضرباتهم العنيفة وكان العثمانيون يجدون من ذلك ما يحملهم على مناصرة آل الرشيد وامدادهم بالاراي والمال والسلاح وكان الانقليز بمطامعهم في بلاد العرب وحرصهم على اضعاف النفوذ العثماني فيها ثم رفعه عنها يوادون آل سعود ويأخذون بناصرهم ويمدونهم فكانت الخلافة العثمانية تقيم لهذا الامر حسابا وتعتبر عداءها لآل سعود ومقاومتها لهم مقاومة مستمرة للنفوذ الانكليزي في بلاد العرب .

وعلى هذا فان نشوب الحرب البلقانية سنة ١٢٣١ ~~كان~~ مناسبة مواتية لهجوم السعوديين على القطيف والاحساء وكان ذلك زائدا في غيظ العثمانيين عليهم وعاملا على تربصهم بهم نهاية الحرب البلقانية ليسترجعوا القطيف والاحساء . كما ~~كان~~ عليه الامر من قبل - متصرفية تابعة لولاية البصرة وبغروا ابن الرشيد بتجديد مواقفه مع آل سعود

الا ان الوزارة الاتحادية التي اخذت بالزمام بعد الحرب البلقانية ودخل فيها انور باشا وزيرا للحرب قد ~~كانت~~ سياستها بتوجيه انور مائلة الى حسم الخلاف مع ابن سعود وجلبه الى صف العثمانيين فقررت الاعتراف له بولاية القطيف

والاحياء واعتباره والي نجد من طرف السلطنة والسعي في اصلاح ذات بينه وبين ابن الرشيد على نية اقامة صفهما سدا في وجه التدخل الانكليزي الا ان احقاد النفوس لم تنقطع فاستمرت المناوشات قائمة على الحدود بين اماره ابن سعود وامارة ابن رشيد وكل من الطرفين يرمي الآخر بانه البادئ .

ولما دخلت تركيا في الحرب العظمى سنة ١٣٣٢ طلبت من والي نجد عبد العزيز وال سعود ان يكون الى جانبها فلم يجب الطلب ولكنه التزم بملازمة الحياد وتوقيف المنازعات مع امير حائل



موضوع المكاتبة

صدرت هذه الرسالة في جمادى الثانية ١٣٣٣ الموافق شهر افريل سنة ١٩١٥ وقد مضى على دخول تركيا في الحرب ستة اشهر وكانت المودة السعودية التركية حديثة عهد طرية فكان لحالة الفارات المستمرة سابقا من السعوديين على اماره حائل عقايلها القائمة التي لم تنقض عليها روح الصلح قضاء مبرما فما تزال قبائل الاطراف من الامارتين في منازعات حلقية ومصادمات دامية وكان لاقبل تلك الحوادث اثره العظيم في نظر السلطنة العثمانية لما كانت تحشاء من تولد تداخل انكليزي عن التواء بعض الاحداث وكان الاول في انضمام الامارة السعودية الى صف الجهاد العثماني لم يتحقق فبمجرد ما بلغ الوزارة التركية نبا حداث على الحدود السعودية الرشيدية اهتمت لمكاتبة الامير عبد العزيز وال سعود لتحرضه على قطع دابر الفتن وسد الابواب في وجه الدسائس الخارجية

وكان هذا المعنى يحتوي على اعتبارات هامة من تأكيد صفاء نية الوزارة السفارة واقلاعها حقاعما كان معنادا من الاغراء والامداد السريين لآل الرشيد وما تتوقع الوزارة من اثر الاصبع الانكليزي وما ترجو من قيام الامير السعودي بعمل محسوس يربطه بموقف تركيا بين الحرب ويقطع ما بينه وبين الانكليز وكل ذلك كان يستدعي حديثنا شفهيان من شخصية ذات قيمة ومقدرة على شرح اصل الموضوع مع امانة

وديانه كفيّلين باطمئنان من تجري معه انذاصكرات الى ما يبذل له من الضمان مع افراد يؤيدونه من ذوي الكفاءات الاختصاصية في ما يمس بالموضوع من الاحوال الادارية والعسكرية والمالية

لذلك اختير المقدس الشيخ صالح الشريف لرئاسة هذه البعثة لما كان يقوم عليه مجده من النسب الشريف والعلم الواسع والفصاحة الباهرة والتفاني في سبيل الوحدة الاسلامية ولكونه مضمون الحماية بانه ليس بتركي ولا نهجدي وانه لا يربطه بالموضوع الا المعنى الاسلامي الخالص الذي ينبغي ان يكون محل اطمئنان الطرفين ووضع تحت رئاسته موظف مدني سام وضابطان عسكريان لاجراء المباحثات فيما يرجع الى التفاصيل الناشئة عن الاتفاق السياسي المبدئي

فحوى الرسالة

في الرسالة اشارات سياسية سامية الى المعاني التي ستدور حولها المحادثات وهو

١ - التاكيد بوجوب وقف الحوادث وقفا عمليا مطلقا (يشار اليه بتعظيم امر القتل وتهويل اراقة الدماء وقلق الحكومة من ذلك)

٢ - التحذير من الانكليز (يشار اليه ببيان عداوتهم للخلافة ونواياهم ضد الاسلام ولامر ما حشروا مع غيرهم ممن لا ماس له بالموضوع حتى لا يكون الاقتتار عليهم تعريضا باتهامات تؤلم المخاطب)

٣ - الرغبة بين انظام الامارة السعودية الى الواجهة العشمانية في الحرب انظما عمليا (يشار اليه بواجب الجهاد الديني الذي اعلنه امير المؤمنين فصار امره محتما على كل مسلم تحتمل ينلازم مع نطقه بكلمة الشهادة

مآل الرسالة والسفارة

كانت فكرة ارسال الشيخ صالح الشريف بمامورية للبلاد العربية عزمها قديما لانور باشا تحدث الامير شكيب ارسلان انه فاضله فيه

وكانت النية على ان يتوجه الى الرياض لمحادثة الامير السعودي وإلى
 حائل لمحادثة الامير ابن الرشيد وإلى عسير لمحادثة السيد الادريسي
 ولم يتحقق ابراز هذا العزم الا بعد دخول تركيا في الحرب
 فخررت هذه الرسالة ويظهر انها كانت احدى الرسائل خوطب بها كل
 من الثلاثة الامراء

وقد ذكر الامير شكيب ازسلان في حواشيه على حاضر العالم الاسلامي
 (ج ٤ ص ١٧٠ - ٢) ان الحرب العامة قد حالت دون قيام الشيخ صالح
 برسائله لدى الادريسي في عسير ويظهر ان ذلك المانع قد حال ايضا دون
 قيامه بسفارته في الرياض فالمحقق ان الشيخ لم يفارق الاستانة بعد اعلان الحرب
 وان احوال البلاد العربية في الحجاز وسوريا والعراق ما كانت تسمح له بذلك
 وحالت المواصلات بين تركيا والشرق الادنى ما كانت سهله ولا تعين عليه
 فيظهر من ذلك ان السفارة التي جاءت في الوثيقة لم تدخل حيز التنفيذ وان
 الرسالة سلمت الى الشيخ إستعدادا لفرصة لم تسنح ولذلك بقيت في اوراقه
 ولو تمت السفارة لكانت هذه الوثيقة في حوزة الدولة السعودية فلم تصل الى
 ايدينا ولم يثر بها هذا التعليق الذي نشر صحيفة مطوية من التاريخ .



مختارات الخواص

للكهول الطاهر الحميري

مقدمة

جاء في كتاب « الادب الصغير » لابن المقفع : « لَا يَنْبَغِي لِلشَّعْرَةِ أَنْ يَغْتَنِّدَ بِعِلْمِهِ وَرَأْيِهِ مَا لَمْ يَسْذَكِرْهُ ذَوُو الْأَلْتَبَابِ وَمَا لَمْ يُجَامِعْهُ وَلَا عَلَيْهِ ، فَبِأَنَّهُ لَا يُسْتَكَمَّلُ عِلْمُ الْأَشْيَاءِ بِالْعَقْلِ الْفَرْدِيِّ . » ينطبق هذا القول على كتب المختارات الادبية بصفة خاصة ، لان الموضوع موضوع ذوق ، والذوق الفرد أدنى الى الخطأ من العقل الفرد . هذا قطع من الادب العربي شاركني في استحسانها بعض الادباء المعاصرين انشرها راجياً ان ينشط الكتاب الى النسخ على منوالها فتكثر كتب المختارات ويجد المتأدبون ما يقرأون .

(عبادة الاحرار)

إِنْ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً ، فَتَمْلِكْ عِبَادَةَ التَّجَارِ .
وَأَنْ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً ، فَتَمْلِكْ عِبَادَةَ الْعَبِيدِ .
وَأَنْ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا ، فَتَمْلِكْ عِبَادَةَ الْأَحْرَارِ . (نهج البلاغة)
طلبت مرة الى احد تلامذتي من المشرقين الالمان . وكان شاعراً اديباً . ان يترجم هذه القطعة الى اللغة الالمانية . فترجمها شعراً وعلق عليها بقوله : هذا مثال من الادب العالمي الرفيع الذي يترجم الى اللغات المختلفة ولا يفقد شيئاً من وضوحه وقوته وجماله . وتحدثت يوماً في موضوع العبادة مع قسيس انكليزي ممن درسوا

تاريخ الاديان وتخصصوا في النصوص واستشهدت بهذه الكلمة من « نهج البلاغة »
 فقال القسيس : هذا . فيما اعلم . اسمى ما وصل اليه التفكير الديني . . . اذا كان هذا
 الاسلام فاننا اليوم من المسلمين .
 همبورغ ١٩٤٦

٢

﴿ دُعَاء ﴾

رَبِّ طَوْقَاتِ مَغَانِينَا جَمَالاً وَجَلالاً
 وَنَشْرَتِ الْخَيْرِ فِيهِنَّ بَيْنَنَا وَشَمَالاً
 رَبِّ هَذِي جَنَّةُ الدُّنْيَا سَلِّوْنَاهَا مَلالاً
 كَسِيفَ تَمَشُّشِي فِي رُبَاهَا الْخُضْرَ تِيهًا وَاحْتِيالاً
 وَجَرَّاحَ الذَّلِّ تُخْفِيهَا عَنِ الْعِزِّ احْتِيالاً
 رُدَّهَا جَزْدَاءَ وَأَمْلأْهَا صُخُوراً وَرِمَالاً
 نَحْنُ نَجْفُو الْخُلْدَ إِنْ لَمْ نَذِقْ فِي الْخُلْدِ رَجَالاً
 عمر ابو ريشه

◆

قرأت هذه القطعة في أحد اعداد سنة ١٩٤٨ من « جريدة الانشاء » السورية
 ثم رأيت ادباء الحالية العربية في لندن وباريس يتناشدونها ويستنسخونها، ولما
 ذهبت الى مصر سنة ١٩٥٠ وجدت بعض كبار الادباء هناك ما يزالون يتحدثون
 عنها . هل القطعة ذات قيمة في ذاتها ام هي ظروف خاصة قد اكسبتها قيمة خاصة ؟
 قضية فلسطين ؟ « جراح الذل » ؟
 القاهرة ١٩٥٠

٣

﴿ وَجْه ﴾

وَوَجْهَهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِداءَهَا عَلَيْهِ ، نَقِيَّيَ اللَّوْنِ ، لَيْسَ يَتَخَدَّدُ
 طرفة بن العبد

◆

دار الحديث حول هذا البيت مع الاستاذ صالح فرحات فقلت : لقد لعبت
القافية بالشاعر فأفسد البيت بقوله « لم يتخذ »

لان الوجه الذي كأن الشمس ألقت عليه رداءها لا يحتاج في وصفه الى مثل
هذا الاحمرار والتفصيل . فقال الاستاذ فرحات : والوزن ايضا قد لعب بالشاعر
فهدم ركناً آخر من البيت بقوله « نقي اللون » وذلك لنفس السبب الذي ذكرته

تونس ١٩٥١

.....

﴿ الشَّيْخُوخَةُ ﴾

إِذَا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا
وَارْتَعَشَتْ مِنْ كِبَرِ أَجْسَادُهَا
وَأَخَذَتْ اسْتِقَامُهَا تَقْتَادُهَا
تِلْكَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

؟

انشدني هذه القطعة الشيخ محمد الشواشي في باجه ولم ينسبها ، وكنيت
اعرف عدلاً قطع في هذا الموضوع بالعربية والانكليزية والالمانية . ولكني لا أتذكر
اني تأثرت باحداً منها تأثري بهذه القطعة لبست هذا القطعة اجمل ولا
اعنى من كل ما قرأته في موضوع الشيخوخة ولكن الشيخ الشواشي أحسن
إنشادها ... كان معجباً بها وكان يتذوقها فازدادت قيمتها لذلك .

هذا موضوع تأمل لاولئك الذين يعتنون بالتفخيم والتحويل في انشاد الشعر
ويهملون الفهم والتذوق ، ومنهم اكثر مذهبى المحطات العربية .

باجه - تونس ١٩٥١

التاريخ

الحروب الصليبية

اسباب ونتائج

بقلم الشيخ الاستاذ التهامي الزهار المدرس بجامع الزيتونة

ما زالت الحن تضي على الشعوب القوية الايمان بوجودها انغيورة على كيانها المواقفة بتعاليمها انواب العز والسودد رغم الاعاصير التي يخيمل للناظر من بعيد. انها ستجتاحها وتأتي عليها في وقت قريب لما ظهر عليها من تمزق في الشمل وتفرق في الكلمة وتنازع على السيطرة وما انفكت اقلام الكتاب تتناول بالتحليل والمرض العوامل التي كانت دثاراً للحروب الصليبية التي مني بها المسلمون .

يمكن ارجاع تاريخ الحروب الصليبية الى اليوم الذي هزم فيه المسلمون هرقلا في واقعة اليرموك على عهد سيدنا عمر رضي الله عنه (١٣) هجرية فكانت الحروب التي شنها المسلمون لافساح المجال للعقيدة الإسلامية المبشرة بالتعاليم السهوية الضامنة لكافة الشعوب حرية المعتقد والمساواة في الحقوق واداء الواجبات وتخليصا للشعوب الواقعة تحت سيطرة الملوك المستبدن الذين لا يقيمون وزنا الا لطبقة من الشعب قربها الحكم بامرهم ويميزوهم بالرعاية وسعة العيش فكانت الشعوب مستعبدة للملوك وطبقة النبلاء وهذا الفتح افسح امام المسلمين المجال لادخال اراضي شاسعة واقوام كثيرة ضمن الدولة الإسلامية الفتية فافتكوا من الروم الشام ومصر وشمال افريقيا واستمروا ينشرون الانوار الى ان بلغوا في اروبا جبال البراني ومن قبل قهروا دولة فارس ولم يبق فيها ظل للنفوذ الفارسي

بقي المسيحيون ينظرون مبهورين من قوة هاته الدولة ووقرت في نفوسهم الهيبة

وتملكهم للاعجاب واخذوا انفسهم بالبحث عن اسباب هاته العظيمة فلم يستطيعوا طيلة خمسة قرون تقريبا ان يقدموا على حرب المسلمين حربا يرجعون بها شيئا من سالف عزمهم ففي الاندلس كانت هبة المسلمين ما زالت موفورة الى اواخر القرن الرابع الهجري فالنصور ابن ابي عامر الذي قال في حقه الشيخ عبد الواحد المراكشي : « اقام الهبة فدانت له اقطار الاندلس كلها وامنت به ولم يضطرب عليه شيء منها ايام حياته لعظم هيته وفرط سياسته » لم يزل مواصلا غزو الروم فقد غزا في ايام مملكته سبعا وخسين غزوة موفقة ووصل الى معاقل قد كانت امتنعت على من كان قبله وملا الاندلس غنائم وسبيا من بنات الروم واولادهم ونسائهم . وفي الشرق رغم ان الخلفاء العباسيين لم تعد يدهم قابضة على جميع ما يرجع اليهم بالنظر والتصرف والحكم الفعلي ابتداء من محمد المنتصر بالله بن المتوكل سنة ٢٤٧ عادالى القواد والدويلات الموزعة الناشئة امثال الدولة البويهية والدولة السلجوقية ودولة ال سبكتكين . فالسلجوقيون المتاخون للدولة البيزنطية ما زالوا يخيفون بياسهم وقوة شكيמתهم صاحب القسطنطينية حتى اضطروه الى دفع جزية سنوية فاستنجد بملوك اهدبا على المسلمين واثار العرق الحساس في البابا واعدا اياه ان يدخل في طاعة كنيسته ويتخلى عن ارتودكسيته اذا هو ساعده على دفع صائل المسلمين . وكانت الدولة الفاطمية الراجع اليها امر بيت المقدس تلزم كل حاج من النصارى بدفع ضريبة زعموا انها فاحشة وعظم امرها عند بعض رؤساء الدين منهم (البطريرك سيمان) فهاج امثال بطرس الناسك الحواطر في الضرب على المسلمين وبالفوا واكثروا فيما يلقياه النصارى من العنت في حجهم . على انه لم يحدث من الاعتداء على حجاج القبر المقدس سوى حوادث فردية قليلة لا تخلو منها بلاد

قال منزو (١) : كانت هذه الفظائع المنسوبة الى المسلمين ممزوجة بكثير من الافاويه لتوافق روح ذلك العصر الذي كان اشد توحشا من عصرنا هذا وكان النصارى ياخذون قصص هذه الفظائع على علاتها فمظم تاثيرها في حاسنة الكثير منهم

(١) نظرة الغرب الى الاسلام في زمن الحروب الصليبية لمنزو (مجلة الكلية ١٨)

ولجأ الغربيون الى انواع اخرى من الدعوة واهاجة الافكار على المسلمين
واتهموهم بعبادة الاصنام واختتم البابا فرصة عقد الجمع الديني في كلرمون فعرض
عليه ما يلقاه النصارى من الارهابى وحرض ابناء النصارى على حمله الصليب ليفتحوا القبر
المقدس ومنحهم غفرانا عن كل خطاياهم واحل لهم ما تجترحه ايديهم وجوارحهم حاميا
بسيادته الروحية عيالهم واموالهم مدة غيابهم واعدا اياهم بمغانم دنيوية كثيرة يسقطون
عليها لا محالة اذا فتحوا الارض المقدسة فسار بعضهم مدفوعا بسائق الدين ومنهم الطامع
بالمغانم والارباح . وقد كان الفقر في تلك الفترة قد عضهم بنابه واصيروا باوثة
حصدتهم ومجاعات زادت في عوزهم فاوهم رؤساءهم بان الشرق الاسلامي بلاد
الذهب لا يلبث نزيله ان يقتني وينعم .

وفي اخر سنة (٤٩٥ هـ) اجتمعت في القسطنطينية جيوش الصليبيين وبعد
مصاعب شديدة اقوها في آسيا الصغرى تقدموا وفتحوا الساحل الشامي واستولوا
على بيت المقدس في ٢٣ شعبان سنة ٤٩٢ هـ وولوا قودقوسوا الفرنساوي ملكا
عليها ولو لم يكن آل سلجوق لاهين عن مقاومة المسيحيين بالحروب الداخلية
العائلية لما امكن المسيحيين من التقدم شبرا في الاراضي الاسلامية ولكن التفرق
والنزاع على النفوذ وحب الاستئثار بالجاه بين رجال الموقع الواحد يكون دائما
مدعاة لضباع ما بالايدي وسلط الغير . ففي غضون هذه الحروب الداخلية ملك
الافرنج عدة مدن اخرى منها سروج من اعمال الجزيرة وعكا وقنسرين في
سنة ٤٨٤ هـ وطرسوس في سنة ٤٩٥ هـ ثم تقدموا وفتحوا جفيل وغيرها من بلاد
الشام في سنة ٤٩٦ هـ واخيرا استولوا على مدينة طرابلس في سنة (٥٠٣ هـ)
ومدينة صيدا في سنة ٥٠٤ هـ فما زال المسيحيون مقتنمين فرصة حدوث الفلاقل بسبب
الخلافات المستمرة بين السلجوقيين اذ قامت بين السلطان محمود السلجوقي
واخيه داود وبعض اعمامه حروب سفكت فيها دماء المسلمين فسكانوا يسرعون
الخطى لتثبيت اقدامهم في جهات الشام واسسوا اربع امارات مسيحية في بيت
المقدس وحمص وانطاكية وطرابلس . الا ان الله لا يبد ان يجعل لاتباع دينه

مخرجاً بعد ان يبلوهم ليريههم عاقبة التفرق والتنازع على حطام هاته الدنيا فظهر صاحب الموصل عماد الدين زنكي الذي استولى على عدة امارات اسلامية ثم عقد العزم على اخراج الافرنج من بلاد الشام وكان له ذلك وبلغ الاسلام اوج عزه كسابق عهده في فترات من التاريخ في عدد من بقاع الارض في مدة نور الدين محمود وصلاح الدين الايوبي الذي استرجع من النصارى مدينة القدس في ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ فذهب حلم النصارى المذيد وادركوا ان المسلمين تهمهم ~~كثيرا~~ قبلتهم الاولى وان عوارض الضعف ظهرت عليهم موقفاً وان اجسامهم مازالت سالة والانحرافات التي تعرضوا لها لا تلبث ان تزول اذا ما قبض الله لهم رجالاً صالحين منهم يمدونهم باسباب العلاج والوقاية .

ثم لنفارق بين اعمال الصليبيين واعمال المسلمين : اما الصليبيون فكانوا عاهدوا ملك الروم على ان يسلموا اليه اول بلد يستولون عليه فاستولوا اولاً على مدينة ينعية ولم يسلموها اليه ولم يترددوا في اهانة قومه وسكان بلادهم واطالة ايديهم بالاذى فحربوا المصانع وعبثوا بالبيع والكتائس وجعلوها طعاماً للنار ولما جاؤوا الى المعرة قتلوا على رواية ميسو (١) جميع من كان فيها من المسلمين ممن لجأوا الى الجوامع واختبأوا في السرايب واهلكوا صبراً ما يزيد على مائة ألف انسان في اكثر الروايات وكانت المعرة من اعظم مدن الشام وكان سكان الاطراف بعد سقوط انطاكية يعتصمون فيها . وكذلك فعلوا ببیت المقدس فقد افحشوا القتل في المسلمين حتى هلك منهم عشرات الألوف فيهم جماعة من الائمة والعلماء والعباد والزهاد . وارتكبوا كل محرم في دينهم مع المسلمين واليهود . قال معبود ايضا : كان الممسيقيون يكرهون العرب على اقاء انفسهم من اعالي البروج والبيوت ويجعلونهم طعاماً للنار ويخرجونهم من الاقبية واعماق الارض ويجرونهم في الساحات ويقتلونهم فوق جثث الآدميين ودام الذبح في المسلمين اسبوعاً حتى قتلوا منهم على ما اتفق على روايته مؤرخة الشرق والغرب

(١) تاريخ الحروب الصليبية لميسو

سبعين ألف نسمة ولم ينسج اليهود كالعرب من الذبح فوضع الصليبيون النار في المذبح الذي لجأوا اليه واهلكوهم كلهم بالنار
 وكان هذا ديدنهم مع اهالي كل بلد يدخلونه في الشام . واحرقاهم لدار
 الحكمة في طرابلس وكان فيها نحو مائة الف مجلد اكبر دليل على رעותهم
 وخشوتهم فاوقدوا بما صنعوا نيران التمصب بين المسلمين والنصارى من الشاميين
 وما نظن المسلمين فاعلمين بهم يوم ان رجع لهم الامر . انهم عملوا بقول الله
 تعالى : « ولا تزر وازرة وزر اخرى » واما هم فقد خالفوا تعاليم المسيح في
 الشفقة والاحسان .

والى القاريء الكريم دليل محسوس من سيرة من سيره سيدنا عمر بن
 الخطاب السلطان صلاح الدين لما استرجع بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ وجد فيها
 مائة الف صليبي منهم ستون الف راجل وفارس عدا من تبعهم من النساء
 والاطفال فابقى على حياتهم واستوصى بهم خيرا واكتفى بان ضرب على كل
 رجل منهم عشرة دنانير وعلى كل امرأة خمسة وعلى صكل طفل دينارين .
 اما النتائج للعراك الذي حدث بين الغرب والشرق فقوستاف لبون يفيض
 فيها ويقول انها كانت عقيدة من حين غايتها الاولى وهي الاستيلاء على فلسطين
 فالصليبيون على ما اهرقوا من دماء وبذلوا من اموال رجموا بعد قرنين بخفي
 حنين . اما من حيث النتائج غير المباشرة في هذه الحروب فيمكن ان يقال ان
 منافعها عظيمة فالاختلاط بالشرق ماثي سنة كان من العوامل القوية في انتشار
 المدنية في اوروبا وحدث ان الغاية من الحروب الصليبية جاءت على غير ما اريد منها
 وان هذا التناقض بين الغاية المتوخاة والغاية التي وصلوا اليها ما يماثله في التاريخ
 وليتمثل في ذهنه من شاء ان يقدر التأثير المشترك من احتكاك الشرق بالغرب
 حالة تمدن كل الشعوب التي اختلطت بالامم الاخرى . ونحن نعرف ان الشرق

بفضل العرب كان ينعم اذ ذاك بمدينة زاهرة على حين كان الغرب غارقا في التوحش . ولم يريح الشرق باحتكاكه هؤلاء البرابرة من الصليبيين بل خسر وتنجت له كراهة الغربيين كراهية دامت قرونا وهذا من النتائج المضرّة ومن اشأم نتائج تلك الحروب اذ تاصل التعصب وعدم التسامح في العالم عدة قرون ومن الفوائد التي عادت على الغربيين من الحروب الصليبية تحرير اصحاب الارضين من رقهم وتقوية السلطة الملكية وادخال تعديل على نظام الاقطاعات فانقلبت انثراوت من ايدي الامراء والزعماء الى ارباب الطبقات الوسطى والدنيا من اهلها فباع من بام من الكبراء وابتاع من عمل بارضه ومتجره فاغتنى واقتنى الرباع والضياع .

هذه وللمصائب فوائدها اذا ما كان المبتلى بها من ذوي الاحساس وقوة الادراك وعزة النفس فقد ولدت الشدائد رجالا افذاذاً نبغوا في فنن الحرب والسياسة يتقدمهم النابختان نور الدين محمود بن زنكي وصلاح الدين يوسف بن ايوب ولولا الحروب الصليبية ما ظهر طغمتكين نابعة السياسة والاداية ولولاها ايضا ما ظهر نوابغ الحرب امثال الكامل واطاهر وقلاوون والاشرف وعشرات من القواد والزعماء . ومن حسنات المصائب ايضا ان توفق بين مختلف ذوي السلطة فكان التضامن بين امراء المسلمين في العهد الصليبي على اتمه وربما لم تتشالف قلوبهم في عصر من العصور الدافقة تألفهم في ذلك العهد العصيب .

مدينة صبرة المنصورية

بقلم البحانة مصطفى سليمان زبيد متفقد الآثار الاسلامية بالديار التونسية

لما احتل الفاطميون افريقية سنة ٢٩٦ ارادوا اقرار المذهب الشيعي بها فكان لهذه المحاولة الاثر السيء في نفوس اهل القيروان المتشبهين بالمذهب السني وسريعا ما خاب الظن بهم بعد الاستبشار بقدمهم وتأهب الناس لمقاومتهم بعد ان ادركوا ان الدولة الجديدة ليست باحسن من دولة الاغالبة السابقة ، ازاء هذه الموجة الناقصة عليهم كان حتما على الفاطميين ان يبتعدوا عن القيروان وان يبتعدوا لانفسهم مدينة يكونون فيها في مأمن من رعايا قد جاهدوا بعدائهم

فسكنوا رقادة الاغالبة في بداية امرهم ثم شرعوا في بنيان مدينة المهدي فاذا ما تم بانيها غادروا رقادة وانتقلوا اليها ولم يلبثوا حتى ثار ابو يزيد مخلد ابن كيداه الخارجي فدوخ البلاد وساعده اهل القيروان في حروبه نعمة على الدولة الجديدة ودامت الحروب دهرا وضيق الحناق على المهدي آخر مرحلة لمقاومة العبيديين وكاد ابو يزيد ان يقتحمها ويقضي نهائيا على اصحابها الا انه ولاسباب لا يمكن ضبطها - حدث ما جعل ابا يزيد يقلع عن حصاره وجيش العبيديين ورااه الى ان التقى الحصان بموضع كان يعرف بصلب الجمل وهو فيما بين القبلة والغرب من القيروان على ميل منها فهزم المنصور الفاطمي ابا يزيد شرهزيمة ولامر ببناء مدينة صبرة مكان تلك المعركة الحاسمة وسماها المنصورية باسمه فاستمر عليها الاسمان وصبرة اشهر وسبب تسميته بصبرة ما يذكره ابن حماد حيث يقول « وكان في ايام حروبه (حروب المنصور) مع ابي يزيد وقد انهزم عنه الناس وبقي معه صابة فقال لهم صبرة يا عبيد امير المؤمنين فسمي ذلك الموضع « صبرة ولا تم بناء صبرة في سنة ٣٣٤ جعلها المنصور دار ملكه عوض المهدي

وصف صبرة المنصور بن صاحب ما اورده الفصوص التاريخية

ان معرفتنا لتاريخ صبرة لمحي معرفة ضئيلة منقوصة جدا ذلك ان النصوص التي لدينا الا انها لا تفيدنا الافادة الكافية بحيث لا يمكننا ان تشمل من خلالها صورة قريبة من الواقع لما كانت عليه هذه المدينة الاميرة الزاهرة التي كشفت من اجلها القبروان مدة فانت القرن

نعم لقد جاءت الاخبار في الاشهر الاخيرة من الشرق تبي بتطور البحائين على وثائق جديدة عن تاريخ دولة الفواطم واتصلنا ببعض منها على انها تقتصر على الناحية المذهبية ولم نح في حاجة الى معرفة النواحي الاخرى ولعل الايام المقبلة تفاجؤنا بنصوص ضافية تشفي الغليل وتطلعنا على اسرار دولة من ابرز الدول الاسلامية

وفي انتظار تلك الايام التي ليس في مقدورنا التمكن بقرب اجلها او بعدها بيدنا مادة غزيرة الفوائد هي الآثار وما تثيره من مشاهدات وملحوظات مما تكون احيانا ابلغ واكثر اطنابا من كتاب كامل

ولترك الآثار الى مناسبة اخرى ولتقتصر على ما وصفت به صبرة في النصوص التاريخية القليلة

يقول ابن احوول وقد زار إفريقية في صدر الدولة العبيدية ان الشروع في بناء صبرة كان سنة ٣٣٤ ولم ينتقل اليها المنصور بعد اتمامها الا سنة ٣٣٧ حيث جعلها قاعدة ملكه واول ما فوي بها السور (في مستذرا بالطواهي على عمال سور بغداد) وقصر الخلافة والجامع (وها في صبرة المدينة) وكان للسور أربعة ابواب معلقة بالحديد ابواب قبلي (لم يشتهر باسم معين) وباب شرقي (باب زويلة) وباب جنوبي (باب كنيسة) وباب غربي (باب الفتح) وكان السور صبرة يتصل بسور القبروان بواسطة طريق مسور طوله نصف ميل السور الفصيل جعل في كل من طرفيه باب فن رام دخول القبروان وكانت المصنعة فان لزاما عليه ان يمر بصبرة وبالفصيل يدفع ما تيسر من الاداء المفروض على بضاعته

فكان هذا سببا في اغلاق اسواق القيروان وكانت هذه الاسواق مجتمعة كلها فيما سمي بالسماط الاعظم وهو شارع طوله ثلاثة اميال يمر بالجامع الاعظم من الجهة القبلية الغربية فلما كثرت الضرايب عليها حتى صارث لا تحتفل في هذه اصحابها فيها وغلقوها فامرا اذ ذاك الخليفة بنقل جميعها الى ضربة فكانت ضربة قاضية على القيروان الى حد ان هاجرها اكثر اهلها وصار اصحاب الدكاكين ينتقلون على الحمير المصرية ذهابا وايابا بين متاجرهم في ضربة ومساكنهم في القيروان وكانت السياسة السلوكية نحوهم انهم اذا حاولوا القيام على السلطان وهم بصرة خافوا على اهلهم وعشيرتهم بالقيروان واذا راموا الثورة وهم بالقيروان خافوا على ارضاقهم في الحالين لا يسعهم الا الانقياد والطاعة وتدل هذه الملحوظة على ان صبرة صارت هي الام بالنسبة للقيروان وان القيروان اصبحت ضاحية بالنسبة لصبرة لا توجد فيها غير المنازل

ودامت هذه الحال مدة طويلة ازدادت خلالها القيروان ضعفا وانكماشاً وازدادت صبرة خلالها ازدهارا والشاهد على ذلك ما جاء به الادريسي حيث يقول ان الحمامات التي كانت بها ثلاثمائة حمام وهو رقم قياسي ينبي بمدد المؤسسات الاخرى وعدد السكان وما الى ذلك وكاني بمن يقول ان هذا العدد مضخم الى درجة قريبة من الوهم سيما اذا تصورنا ان صبرة هي اليوم قطعة من الصحراء لا ينبت فيها شيء وليس فيها ما يشتم منه رائحة الماء ويتسائل المتسائل اي ماء كانت تستقى تلك الحمامات ومع ذلك فالواقع ان الماء بها كان وفيرا جدا بفضل كثرة المواجل والآبار والاربطة التي تخزن المياه الضائعة وبوجهها نحو المصالح عوض ان تغمر السباخ وتندفع في البحر بدون ان ينتفع بها كما انهم كانوا يجلبون الماء من العيون بواسطة الحنايا واعظمها حنايا الشريشيرة التي بناها المعز الفاطمي لتزويد قصوره بصبرة بناء غزير للشراب والنساء والبرك

ولنستدل بشاهدين على ما ذكرنا الاول ما انشده علي بن محمد الايادي

مادحا المعز (الفاطمي) وواصفا قصر دار الدجج

ولما استطلال المجد واستولت البنى
بنى قبة للملك في وسط جنة
بمعشوقة الساحات أما عراصها
تحف بقصر ذي قصور كأنما
له بركة للماء ملء فضائه
لها جدول ينصب فيها كأنه
لها مجلس قد قام في وسط مائها
كأن صفاء الماء فيها وحسنه
إذا بث فيها الليل اشخاص نجمه
وان صافحتها الشمس لاحت كأنها
كأن شرافات المقاصر حولها
يذوب الجفاء الجعد عن وجه مائها

على النجم واشتد الرواق المروق
لها منظر يزهى به الطرف موق
فخضر واما طيرها فهي نطق
ترى البحر في ارجائه وهو متأق
تجذب بقصرها العيون وتعنى
حسام جلاء القين بالارض ملصق
كما قام في قبض الفرات الخورنق
زجاج صفت ارجاؤه فهو ازرق
رايت وجوه الزانج بالنار تحرق
فيرتد علي تاج المعز ورونق
عذارى عليهم الماء المنطق
كما ذاب اهل الصححان المرقق (١)

والشاهد الثاني ما قاله في عين الموضوع عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي
يا ربّ قتيان صدق رجب بينهم
مرضى احائلها حسرى شئائلها
معاطيا شمس ابريق اذا مزجت
عن ماجل طافح بالماء معتلج
تضمه الريح احيانا وتفرقه
من اخضر ناضر والطل يلحقه
تهزه الريح احيانا فيمنحها
كأن حافاته نطقن من زبد

والشمس كالدينق المعشوق في الافق
تروح الفصن الممطور في البورق
تقلدت عقد مرجان من النزق
كأنما نفسه صيغت من الحدق
فالماء ما بين محبوس ومنطلق
والبيض تحت فضي الضحى يقق
للزجر خفق فؤاد العاشق القلق
مناطقا رصمت من لؤلؤ نسق

كان قبة من سندس نمط حسناء مجلوة اللبّاب والعنق
 اذا تبلج فجر فوق زرقته حسبه فرسا دهما في بلق
 او لا زوردا جرى في مته ذهب فلاح في شارق من مائه شرق
 عيشة كملت حسنا وساعدها ليل يمدد اطنابا على الافق
 تجلى بغرة وضاح الجبين له ما شئت من كرم واف ومن خلق

وما هذا قصر « دار البحر » الا واحد من مجموعة قصور تفوق بعضها بعضا
 ضخامة وحسنا. ان اول قصر بني بصيرة هو . كما ذكرنا سابقا . قصر الامارة
 بناء ابو الطاهر المنصور الفاطمي زمن بنيان السور والجامع وكانه لم يزد على
 ذلك شيئا الى ان خلف المعز اياه على العرش فشرع في تشييد القصور
 والمجالس والمناظر فن جملة ما شيده

- حجرة التاج

- مجلس الكافور

- مجلس الريحان

- حجرة الفضة

- الايوان

- المعزية

- الحورنق

- دار البحر

هذا ما شهر من بنيان في عهد الخلافة الفاطمية بالمغرب فزاد عليها الامراء
 من بني زيري بن مناد الصنهاجي بعد انتقال الدولة الى القاهرة

- قصرأ داخل الصور بناء المنصور الصنهاجي

- قصرأ خارج القصر بناء المنصور الصنهاجي ايضا

- الحورنق

- الايوان

— منظره قال فيها القفطي • في سنة ٤١٧ انتهى المعز بن باديس منظره في منزله بصيرة وهي منظره جليلة انيقة يقول فيها الحسن بن رشيق من قصيدة امتدح بها المعز •

وحملت من علياء صبرة موضعا أكرم به من موضع ومكان

(انظر كتاب انباء الرواة للقفطي ج ١ - ص ٢٩٩ طبع القاهرة ١٩٥٠)

والتصور الثلاثة الاخيرة بناها المعز بن باديس الصنهاجي وقد ورد اثنان منها (الحورنق والايوان) في قائمة قصور سمي المعز الفاطمي ايضا والظاهر انها لاحد المعزين دون الآخر لكننا اوردناها في القائمتين لاننا اعتمدنا مراجع مختلفة تنسبها لبصرache تارة لهذا وتارة لذاك . ازاء هذه اللابدة يقف الباحث محتارا مرتبكا والاضطراب ناجم عن عدم احتياط المؤرخين الاول حيث لم يميزوا المعز الفاطمي من المعز الصنهاجي حتى توهم بعض الناقلين انها ملك واحد سيما وان الاثنين عاشا في صبرة وان عصر كل منهما اصبح في ذهنهم عصرا واحدا ومهما يكن من الامر فان صبرة ازدهرت في العهد الفاطمي على يد المعز الاول الا انها وصلت الى ذروة الازدهار مع المعز بن باديس فقد وصف ابن عذاري حياة البذخ والترف في ايامه وصفا مدهشا ولاغربة في ذلك لان الشيء اذا بلغ منتها تدرج نحو الانحطاط وفلا فان المعز بن باديس قد شاهد في النصف الاول من ولايته بلوغ صبرة اسمى درجة وفي النصف الثاني ذاق عجزم الهوان وامر بنفسه بتهديم مدينة ابائه قبل الخروج الى المهدي فلم تمر سنة ٥٠٢ حتى لم يبق اثر لقصورها واسواقها سوى الاطلال البالية والحرايب الهامدة هذا منتهى ما وصلتنا من الاخبار عن صبرة وهي كما قلنا طيفة جدا

ولعل في فرصة اخرى نوالي الكلام عن مدينة صبرة بحول الله

* جوامع القطر الليبي

بقلم الأستاذ عثمان الكفاك

جامع تاجورة - تاجورة بلدة واقعة على بعد ١٢ كم من مدينة طرابلس العاصمة العثمانية في الجنوب . وقد اشتهرت بانها عاصمة الاتراك في اوائل الفتح العثماني وانها القبروان الذي كان يشن منه العرب والاتراك الغارة على الاسبان حتى قضوا عليهم القضاء المبرم وكانت ايضا المركز الكبير والمقل العظيم الذي كان يلتجئ اليهما سكان البلاد عندما تشتد عليهم وطاة قرسان مالطة من جانب البحر . ومن هناك ايضا كانوا يستأنفون القتال لرد هجمات اولئك اللصوص البحريين ورد كيدهم في نحرهم . فهذه البلدة على صغرها مركز استراتيجي من الطراز الاول .

وكان زعيمها الاكبر في هذا العصر الذي نتحدث عنه هو مراد آغا كان من كبار الفاتحين الاتراك ومن اساطين الاداريين المحنكين ومن رجال الدولة السيوسيين ومن ابلوا في الاسلام البلاء الحسن احتسابا لوجه الله تعالى لا لغاية دنيوية مطلقا .

وقد بنى في تاجورة جامعا كبيرا بحسب انه في الآن نفسه معقل فهو قد شيد بنيانه ورفع اركانه بما حمله حصنا حصينا . وراينا في جامع تاجورة هو راينا في جامع القبروان . فكلاهما قد كان جامعا وحصنا لا جامعا ليس الا . وقد زرنا جامع تاجورة منذ عامين ودرسناه عن كسب فئيت لدينا ما نقول . فدخل بلدة تاجورة فتجد ساحة كبيرة وفي الطلع البني من الساحة يرى جامع مراد آغا او جامع تاجورة . وقد اسسه مراد آغا المذكور في القرن العاشر الهجري .

● يراجع المقال المنشور في الجزء الاول عن طرابلس بقلم الأستاذ الكفاك

يقول الباحثون الايطاليون في كتبهم ان مراد آغا اصله من مدينة راقوزة بايطاليا وانه سبي منها صغيرا ونقل الى الاساتنة العلمية حيث ربي تربية اسلامية صحيحة وعسكرية محرية متميزة فتخرج في ذلك احسن تخرج . ثم انتقل الى طرابلس في خدمة الغازي الكبير خير الدين . فظهر من نبوغه في الحروب البحرية والبرية ومن تضلعه بالشؤون الادارية وسياسة الشعوب ما جعل خير الدين ينعم عليه بالولاية بعد ان شارك في فتح تونس مشاركة واسعة النطاق . وصار بالنهاية والي تاجورة وسيدها . فانشأ بها جامعها هذا .

ويروي الايطاليون ايضا ان الذين اقاموا بنيانه اسرى من الايطاليين بعد ان هندس مثاله مهندس منهم . ونحن اذا كننا نستبعد ان المهندس ايطالي فلا نستبعد ان الهندسة المعمارية التي بني الجامع وفقها هي من الذوق العربي الصقلي الذي يمشى مع الارتفاع اكثر مما يمشى في السطح فالمعمار شبيه بمعمار قصر العريضة وقصر القبة وقصر الفوارة من بناء العرب في صقلية . لان الجملة البنائية ضخمة جليلة تكاد ان تكون هرمية الشكل مقطوعة . وليس في البنية طرابلس ما يشبه هذا النمط . لا في جوامعها الموحدية ولا في جوامعها التركية .

وطول هذا الجامع ٤٠ مترا في عرض ٣٢ م . وجدرانها الخارجية مرتفعة جد الارتفاع . لمساء لمنع كل تسلق وزحلفة كل اصابة وفي منتهى اعلاء نوافذ صغيرة منيعة . وتركب من الداخل من سبع بلاطات متجهة من الشمال الى القبلة ومن تسع مساكب جملة اعمدتها ٤٨ عمودا من اجل المرمر والرخام مما صنع بقصر الجامع او جلب اليه من خرائب لبدية (لبيستيل ماغنا) الواقعة في الجنوب من تاجورة . وهذه الاعمدة خالية من التيجان وانما عقدت عليها اقواس عربية الشكل رائعة الجمال . بنيت فوقها اقواس ثانية على نظام معمار جامعي قرطبة اي ازاج فوق ازاج . والاقواس نصف دائرة كاملة من نوع مسبار الوسط . هذه الاقواس غير مختومة بقباب حسب العادة وكما هو الشأن في المعمار الاندلسي ولكنها مختومة بتدريس من نوع الترابيع وهذا اقرب الى الذوق الصقلي العربي . واقواس الاطراف من جانب الجدران لا تعتمد على الجدران نفسها وليكن على

صناديق مبنية بارزة من الحيطان بروزا أفقيا .
وعلى طول الجدار الشرقي يرتفع جدار ثان الى علو ٦ م وفي الفسحة بين
الجدارين قد جعلت ١٤ غرفة صغيرة او محاريب اما لتتكون مرافق المجاهدين
واما لتكون مأوي للمحاربين . وفي اعالي الجدران ممشى في نفس الحائط على
طول الكوى القصد منه ان يقف عليه المحاربون وان يتخذوا من الكوى شرفات
يصوبون منها النيران على المحاصرين

والانطباع الحاصل من جملة هذه البناية المعلقة انها جملة جليلة . وقد زارها
جملة خلوها من الزخرف والعلم بانها دار تقوى وجهاد . وقد تحدث عن
تاجورة وجامعتها صديقا البجائي الكبير الاستاذ عمر الباروني مدير مدرسة الصناعات
بطرابلس في كتابه الاخير عن تاريخ طرابلس وأعمال فرسان مالطة ؛ فاحسن
القول واسهب في البسط واطنب في الدراسة مما جعلنا نؤمن بان مستقبل الثقافة
في ليبيا مستقبل زاهر باذن الله تعالى .

اجدادية -- من المعلوم ان برقة كانت تسمى في العصر اليوناني قسراً . والى الآن
يسمى بالافرنج سيرينايا نسبة الى مدينة سرينه او قرنا او قرنه او

الشهات التي كانت عاصمة القطر في العهد اليوناني .
ثم لما فتح المسلمون برقة صارت العاصمة هي مدينة اجدادية وكانت برقة
منذ القرن الاول الى آخر حكم الاغالبة بالقيروان يتنازع السيادة فيها التونسيون
والمصريون . فلما مال الامر الى بني عبيد الفاطميين استقرت تبعيتها للقيروان
واتخذ منها الفاطميون معسكرا ومذبة لفتح مصر لا سيما في عصر المعز لدين الله
الفاطمي . وفي مدينة اجدادية جامع كبير يدل شكله الحالي على انه من بناء
الفاطميين . والظاهر هو ان الفاطميين قد وضعوا فيه اليد الاخيرة لجملة على
شكله الحالي . ويبدو لنا ان الجامع اقدم من العهد الفاطمي . وانه كان
في اول الامر مسجدا بسيطا يرجع الفضل في تشييده الى عمرو بن العاص حين
الفتح فهو من اقدم مساجد الاسلام . وهو صنو مسجد الناقة بمدينة طرابلس
نفسها . والمروي عن مسجد الناقة هذا ان ناقة عمرو بن العاص اناخت به هناك .
فبنى مسجد حيث هو فكان اول مسجد انشئ بمدينة طرابلس

ثم ان الاغلبية قد زادوا في مسجد اجداية زنادات . الا انها لم تعد كافية في العهد الفاطمي لازدياد عمران المدينة ولغايات سياسية كانت في نفس الفاطميين وقد تحدثنا عنها . فتوسعوا فيه او اعادوا سبكه حتى صار على شكله الحالي . وهذا الشكل يرجع بنا الى النصف الاول من القرن الرابع وهو قدم جليل محترم . قل من المساجد ما يتعنع به .

والمسجد في ذاته مبني على انقاض كنيسة بيزنطية وبحجر منحوت مثل حجر الجامع الاعظم بالمهدية .

ومدينة اجداية بلدة صغيرة الآن وانما كانت عظيمة الهمية في العهد الفاطمي لانها تقع موقعا متوسطا بين مصر وافريقية وبين البحر المتوسط وقلب الصحراء فهي عقدة اساسية لجميع القوافل وملتقى الطرق الاصلية المتحكمة في عامة المسالك وقد كانت دار علم في العصرين الفاطمي والصنهاجي تحدث عنها الجغرافيون امثال البكري والادريسي وياقوت الحموي واسهبوا في وصفها وذكر ياقوت البعض من علمائها . ثم صارت في اوائل هذا القرن مركز السيوسيين ولاسيما السيد محمد ادريس بن محمد المهدي السنوسي فاتخذ منها مركز السنوسية ومقر العائلة الكريمة وعندما اراد الايطاليون بسط يدهم عليها في فبراير سنة ١٩٢٣ قاوم السنوسيون اشد المقاومة وابلوا بالبلاء الحسن .

المرج ويسمى بالافرنج بارتشي والقدماء برقة واليهما ينسب القطر كله . هي بلدة واقعة في الجنوب من بنغازي . كانت في الاصل بلدة يونانية ثم صارت رومانية بعد الاحتلال الروماني . وفتحها عمرو بن العاص في طريقه الى طرابلس وضرب اتوة على اهلها . وقد صارت في العصر الاسلامي جملة حدائق غناء وبساتين فيحاء فدعيت بالمرج لعمرانها . وذكر البكري والادريسي عن المرج انها بلدة كثيرة الزروع وباسمة البساتين قوية التجارة مع مصر .

(يتبع)

المجلة الزيتونية

المدير

د. محمد الشاذلي بن القاوي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

رئيس التحرير :

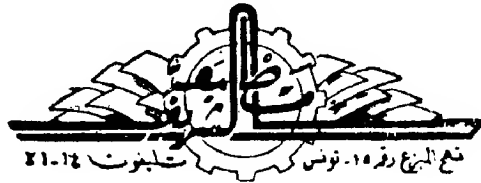
محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

الادارة نهج ابن محمود رقم ٦ بتونس تليفون ٤٦ - ٢٩

قبضة الاشتراك عمه سنة الفا فرنك بنقص الربع لتكملة المعاهد العلمية

نمن الجزء : مائتا فرنك



تونس في

١٩٥٣ - ١٣١٢

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي الجامعة الزيتونية



المجلد الثامن

الجزء الرابع

تونس

١٠٠

فهرس القيد

الجزء الرابع من المجلد القاصي

طابع المظلل

الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن
عاشور شيخ الجامع وفروعه

بقلم النعم الشيخ محمد ابن القاضي نائب
الدولة لدى النظارة الطلية كان

بقلم الملامة الشيخ محمد الهادي ابن القاضي
المفتي الحنفي بالهدار التونسية

بقلم النعم امير الامراء علي عبد الوهاب
بقلم محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
بقلم الملامة المحقق الاستاذ الاكبر الشيخ محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع وفروعه

بقلم الاستاذ عثمان الكماء

بقلم الاديب احمد مختار الوزير مدرس فن
التعليم وعلم النفس بجامعة الزيتونة
بقلم الملامة البحر الشيخ محمد الفاضل ابن
عاشور الاستاذ بجامعة الزيتونة
بقلم الشاب حسن الخاوي

بقلم القدس البرور الشيخ محمد بيرم الثاني

المقالة

١٤٥ دعوة الشباب لتعاليم الاسلام

التفسير

١٤٧ تفسير آية من سورة البقرة

الحديث الشريف

١٥٣ الحذر من الغضب والغواش

التشريع

١٥٦ حاجة البشر الى الشرائع

الحق بطلو

١٥٩ شهادة علماء اوروبا في الاسلام

١٦٢ الوعظ والارشاد

١٦٥ تصحيح اخطاء وتعاريف في طبعة

جبهة الانساب لابن حزم

التاريخ

١٧٠ جوامع القطر الليبي

الادب

١٧٣ ادب الامير شكيب ارسلان

دراسة - تحليل - نقد

١٧٦ البحري من الشام الى الشام

١٨٠ ابن تيمية

الفقاهي ولاحكام

١٨٤ حكم ولد الشريعة

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

شعبان ١٣٧٢ | ماي ١٩٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوة الشباب لتعاليم الاسلام

ان العالم الاسلامي داهمته حوادث جسام منذ قرن او يزيد ومن اخطر تلك الحوادث واشدها تاثيرا حدث انزلاق الشباب عن حضرة تعاليم الاسلام وجهله بمبادئه وآدابه فتذكر لها وهو جاد في تنكره هذا وهو يحسب انه لم يات شيئا محضورا او هو قانع بموقفه مغرور بما هو عليه يظن ان الحياة التي يسعى لها لا يلزمه في سعيه الا التحصيل على كسب وفير وما يعود عليه من نفع كيفما كانت الوسائل التي تتخذ للتحصيل على عيش في والنقلب في محور هوى النفس الامارة والرغبة في ملاذ الحياة والاقبال عليها كلفه ذلك ما كلفه .

فهذا الشعب التونسي المسلم يخرج للعالم شبابا يتعثر في خطاه وهو يطلب منه ان يستعد للمستقبل ويتذرع بسلاح المعرفة ليكون على اهبة واستعداد لمواجهة معترك الحياة غير هباب ولا وجلان . فماذا يرى من هذا الشباب ؟

اول بادرة تظهر منه تنكره لدينه الذي جهل اصوله وفروعه وجهل بمبادئه وآدابه وجهل محاسنه ومميزاته ، فالدين كرابطة اجتماعية لا يعلم مبادئه التي هي قوام تلك الرابطة

التي تربطه بأسرته وتربطه بالبيئة التي يعيش بين أفرادها وتربطه بالمجتمع الذي سعادته مرتبطة بسعادته .

يري منه الاشتمال من الحياة التي عليها قومه يرميهم بكل نقیصة وينسب ما هم عليه مما لا يستحسنه منهم الى مؤثرات لا يستسيغها هذا العصر ولا يقرهم عليها ويخلط في مواقفه معهم بين ما هو راجع للعقيدة وما هو راجع للاخلاق وما هو راجع للاداب وما هو راجع للعادات وما هو راجع لشؤون الحياة العامة .

ففسدوا المعاشرة وتحصل الوحشة ويفقد التعاون او يضعف وكل ذلك منشاء التباين الذي حصل في تكوين نفس الشباب بينه وبين قومه الذي لم يالف الاسس التي بنوا عليها حياتهم فقومه بنسوا حياتهم على اسس غير التي شب عليها شباب الجيل الحاضر فتباينت الاخلاق وتنافرت الطباع وتهدمت الاسر وانحلت عراها وتفككت اجزاء المجتمع لفقدان عرى الجامعة التي تلم الشمل وتربط الحلق وتمتق بينها .

ومن اهم البواعث على ذلك المؤثرات الخارجية التي تتاثر بها نفوس الشباب مما يقع تحت نظره من احوال معاصريه ومساكنيه من انشاء المدن التي تعيش معهم ويضل جميعهم سماء واحدة وتربطهم به روابط وان لم تكن لها مثل روابط الاسرة لكن قواتها جعلتها في نظره مثال الكمال والقدوة التي بها يقتدى وهي عوامل العز والمنة والجاه ووفرة ذات اليد والسلطة والنفوذ التي عند الغير .

فهي من اقوى المؤثرات التي اثرت فيه فتركته لا يحفل بما عليه قومه ولا يرغب في الحياة التي هم عليها وربما ظن ان المبادي التي اقاموا عليها حياتهم المادية والروحية جديرة بالمقاومة او تاول في المجادلة فرماهم بانهم جهلوا تعاليم الاسلام ولذلك وقعوا في الخطا وسبقتهم قافلة الحياة وعجزوا عن ادراكها ففقدت بهم جهالتهم وهم يحسبون ان في مقدورهم الالتحاق بغيرهم

وهذا التاويل هو اشد خطورة وهو الذي يتشدد به الكثير من شباب هذا العصر ويستشهد عليه بحوادث وانتقال الغالطة ابواب العقول الساذجة واستبقاء للخطاة التي رسمها لنفسه والذي عول نايها في نجاح طريقته التي يروم بناء مستقبله على اساسها .

التفسير القرآن الكريم

بقلم فضيلة الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع الاعظم وفروعه

يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا
الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ .

بيان وتفسير للجملةتين المصدرتين باما على طريق النشر المعكوس لان معنى هاتين
الجملةتين قد اشتمل عليهما معنى الجملةتين السالفتين اجمالاً فان علم المؤمنين ان الحق من
ربهم هدى وقول الكافرين ماذا اراد الله الخ ضلال . والاظهر ان لا يكون قوله « يضل
به كثيرا ويهدي به كثيرا » جوابا للاستفهام في قول الذين كفروا ماذا اراد الله بهذا مثلا
لان ذلك ليس استفهاما حقيقيا كما تقدم . ويجوز ان يحمل جوابا عن استفهامهم تخريجا
للكلام على الاسلوب الحكيم بحمل استفهامهم على ظاهره تبينها على ان اللائق بهم
ان يسالوا عما اراد الله بتلك الامثال فيكون قوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
جوابا لهم وردا عليهم وبيانا لحال . المؤمنين وكون كلا الفريقين من المضلل والمهدي
كثيرا في نفسه لا يتنافى نحو في قوله وقليل من عبادي الشكور لان المبالغة في الشكر اخص
من الاهتداء .

والفاسق لفظ من منقولات التبرية اصله اسم فاعل من الفسق وحقيقة الفسق
خروج التمرة من قشرها وهو عاهة او رداءة في التمر فهو خروج مذموم يعد من
الادواء . قال النابغة :

صفار النوى مكنوزة ايس قشرها اذا طار قشر التمر عنها بطاير
 قالوا ولم يسمع في كلامهم في غير هذا المعنى حتى نقله القرآن للخروج عن امر
 الله تعالى بارتكاب المعاصي الكبار فوقع بعد ذلك في كلام المسلمين قال رؤبة يصف ابلا
 فواسقا عن قصدهما جوائر يهوين في نجد وغور غابرا
 والفسق مراتب كثيرة يبلغ الى الكفر . وقد اطلق الفسق في الكتاب والسنة
 على جميعها لكن الذي يستخلص من الجمع بين الادلة وهو ما اصطلح عليه علماءنا من
 المتكلمين والفقهاء وهو ان الفسق غير الكفر وان المعاصي وان كثرت لا تزيل الايمان
 ولقد لقب الله اليهود في مواضع كثيرة من القرآن بالفاسقين . واحسب انه المراد
 هنا وعزاه ابن كثير لجمهور من المفسرين

واسناد الاضلال الى الله تعالى مراعى فيه انه الذي مكن الضالين من الكسب
 والاختيار بما خلق لهم من العقول وما فصل لهم من اسباب الخير وضده وفي اختيار
 اسناده الى الله تعالى مع صحة اسناده لفعل الضلال اشارة الى انه ضلال متمكن من
 نفوسهم حتى صار كالجبلية فيهم فهم ميوّس من اهتدائهم كما قال تعالى ختم الله على قلوبهم
 فاسناد الاضلال الى الله تعالى منظور فيه الى خلق اسبابه القريبة والبعيدة والا فان الله
 امر الناس كلهم بالهدى وعي مسالة مفروغ منها في علم الكلام .

وقوله « وما يضل به الا الفاسقين » اما مسوق لبيان ان للفسق تاثيرا في زيادة
 الضلال لان الفسق يرين على القلوب ويكسب النفوس ظلمة فتساقط في الضلال المرة
 بعد الاخرى على التعاقب حتى يصير لها دربة وهذا الذي يؤذن به التعاقب على الوصف
 المشتق ان كان المراد به هنا المعنى الاشتقاقي فكانه قيل هؤلاء فاسقون وما من فاسق
 الا وهو ضال فما ثبت الضلال الا لثبوت الفسق على نحو طريقة القياس الاقتراضي
 واما مسوق لبيان ان الضلال والفسق اخوان فحيثما تحقق احدهما انبأ بتحقيق
 الآخر على نحو قياس المساواة اذا اريد من الفاسقين المعنى اللقبى المشهور فلا
 يكون له ايدان بتعليل

واما لبيان ان الاضلال المتسكيف في انكار الامثال اضلال مع غباوة فلا
 يصدر الا من اليهود وقد عرفوا بهذا الوصف .

والقول في مذاهب علماء الاسلام في الفسق وتأثيره في الايمان ليس هذا مقام بيانه اذ ليس هو المقصود من الآية .

ثم ان كان محمل الفاسقين على ما يشمل المشركين واليهود الذين طعنوا في ضرب المثل كان القصر في قوله وما يضل به الا الفاسقين اضافيا اي بالاضافة الى المؤمنين ليحصل تمييز المراد من المظل والمهتدي . وان كان محمل الفاسقين على اليهود كان القصر حقيقيا ادعائيا يضل به كثيرا وهم الطاعنون فيه واشدهم ضلالا هم الفاسقون ووجه ذلك ان المشركين ابعد عن الاهتداء بالكتاب لانهم في شركهم واما اليهود فهم اهل كتاب وشانهم ان يعلموا افانين الكتب السماوية وضرب الامثال فانسكارهم اياها غاية الضلال . فكانه لاضلال سواه .

وجملة « الذين ينقضون الى آخره » صفة للفاسقين لتقرير اتصافهم بالفسق لان هاته الحلال من اكبر انواع الفسوق بمعنى الخروج عن امر الله تعالى .

ويجوز ان تكون مقطوعة مستأنفة على ان الدين متداً وقوله اولئك هم الخاسرون خبر . وهي مع ذلك لا تخرج عن معنى توصيف الفاسقين بتلك الحلال اذ الاستئناف لما ورد اثر حكاية حال عن الفاسقين تميز في حكم البلاغة ان تكون هاته الصلة من صفاتهم واحوالهم للزوم الاتحاد في الجامع الحيايي والا لصار الكلام مقطعا متنوعا فليس بين الاعتبارين الا اختلاف الاهراب واما المعنى فواحد فلذلك كان اعرابه صفة ارجح او متعينا اذ لا داعي الى اعتبار القطع . ومجىء الموصول هنا للتعريف بالمراد من الفاسقين اي الفاسقين الذين عرفوا بهذه الحلال الثلاث فالأظهر ان المراد من الفاسقين اليهود وقد اطلق عليهم هذا الوصف في مواضع من القرآن وهم عرفوا بما دلت عليه صلة الموصول كما سنبينه هنا بل هم قد شهدوا عليهم كتب انبيائهم بانهم نقضوا عهد الله غير مرة وهم قد اعترفوا على انفسهم بذلك فناسب ان يجعل النقض صلة لموصولهم لاشتهارهم بها . ووجه تخصيصهم بذلك ان الطعن في هذا المثل جرهم الى زيادة الطعن في الاسلام فازدادوا بذلك ضلالا على ضلالهم السابق في تغيير دينهم وفي كفرهم بعيسى ، واما المشركون فضلالهم لا يقبل الزيادة ، على

ان سورة البقرة نزلت في المدينة واكثر الرد في الآيات المدنية متوجه الى اهل الكتاب

والنقض في اللغة حقيقة في فسخ وحل ما ركب ووصل بفعل بما كس الفعل الذي كان به التركيب وانما زدت قولي بفعل النخ ليخرج القطع والحرف فيقال نقض الحبل اذا حل ما كان ابرمه ونقض الغزل ونقض البناء .

وقد استعمل النقض هنا مجازا في ابطال العهد بقرينة اضافته الى عهد الله وهي استمارة من مخترعات القرآن بنيت على ما شاع في كلام العرب من تشبيه العهد وكل ما فيه وصل بالحبل وهو تشبيه شائع في كلامهم ومنه قول ملك بن النسيهات الانصاري للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك . يريد اليهود التي كانت في الجاهلية بين قريش وبين الاوس والخزرج . وكان الشائع في الكلام اطلاق لفظ القطع والصرم وما في معناها على ابطال العهد ايضا قال امرؤ القيس :

وان كنت قد ازمعت صرمت فاجلي

وقال لبيد :

اولم تكن تدري نوار بانتي وصال عقد حبايل جدامها

وقال :

بل ما تذكر من نوار وقد فات وتقطعت اسبابها ورمامها

وقال :

فاقطع لبانة من تعرض وصله فلشر واصل خلة صرامها

ووجه اختيار استمارة النقض الذي هو حل طيات الحبل الى ابطال العهد

انها تمثيل لابطال العهد رويدا رويدا وفي ازمة متكررة وبمعالجة ولا شك ان النقض

ابلغ في الدلالة على الابطال من القطع والصرم ونحوهما لان في النقض افساد

هيئة الحبل وزوال رجاء عودتها واما القطع فهو تجزئة . وفي النقض رمز الى

استمارة مكينة لان النقض من روادف الحبل فاجتمع هنا استعارتان مكينة

وتصريحية وهذه الاخيرة تمثيلية وقد تقرر في علم البيان ان ما يرمز به للمشبه به المضمر في المكنية قد يكون مستعملا في معنى حقيقي على طريقة النخيل وذلك حيث لا يكون المشبه المذكور في صورة المكنية رديف يمكن تشبيهه برديف المشبه به المضمر في النفس

وقد يكون مستعملا في معنى مجازي اذا كان المشبه في المكنية رديف يمكن تشبيهه برديف المشبه به المضمر نحو يتقضون عهد الله . وقد زدنا انها تمثيلية ايضا (وعهد الله) هو ما عهد به اي ما اوصى برعيه وحفاظه ومعاني العهد في كلام العرب كثيرة وتعريفه خفي قال الزجاج « قال بعضهم ما ادري ما العهد ومرجع معانيه الى المعاودة والمحافظة والمراجعة والافتقاد ولا ادري اي معانيه اصل لبقيتها وغالب ظني انها متفرع بعضها عن بعض والاقرب ان اصلها هو العهد الذي هو مصدر عهده عهدا اذا تذكره وراجع اليه نفسه يقولون عهدتك كذا اي التذكر فيك كذا وعهدي بك كذا وفي حديث ام زرع ولا يال عما عهد اي عما عرف وترك في البيت . ومنه في عهد فلان اي في زمانه لانه ينال للزمان الذي فيه خير وشر لا ينسأه الناس . والعهد في الآية فسر بالعهد الذي اخذه الله على بني آدم ان لا يعبدوا غيره « الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان » الآية فنقضه يشمل الشرك .

وفسر بالعهد الذي اخذه الله على الامم على السنة رسلهم انهم اذا بعث بعدهم رسول مصدق لمن معهم ليؤمنن به « واذا اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاركم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه » الآيات لان المقصود من ذلك اخذ العهد على اممهم

وفسر بالعهد الذي اخذه الله على اهل الكتاب ليمينته للناس « واذا اخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب ليمينته للناس » الآية في تفاسير اخرى بعيدة . والصحيح عندي ان المراد بالعهد هو العهد الذي اخذه الله على بني اسرائيل غير مرة من اقامة الدين وتأييد الرسل وان لا يسفك بعضهم دماء بعض وان يؤمنوا بالدين كله . وقد ذكرهم القرءان بعبود الله تعالى ونقضهم اياها في

غير ما آية من ذلك قوله تعالى «واقصد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم . الخ . وقوله تعالى - لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا . الى قوله فعموا وصموا . وقوله تعالى واذا اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم الى قوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم الى قوله وتكفرون ببعض . وقوله تعالى وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ . بل ان كتبهم قد صرحت بعهود الله تعالى بهم وانحت عليهم نقضهم لها وجعلت ذلك انذارا بما جاء لهم من المصائب كما في كتاب ارميا ومراثي ارميا وغير ذلك بل قد صار لفظ العهد عندهم لقبا للشرعة التي جاء بها موسى .

ولما كان قوله الذين ينقضون عهد الله في الآية وصفا للفاسقين وكان المراد من الفاسقين اليهود كما علمت كان ذكر العهد ايماء الى ان الفاسقين من هم وتسجيلا على اليهود بانهم قد حق عليهم هذا الوصف من قبل اليوم بشهادة كتبهم وعلى السنة انبيائهم فكان لاختيار لفظ العهد هنا وقع عظيم يزل منزلة المفتاح الذي يوضع في حل الاغز ليسير المتقصود وهو العهد الذي سيأتي ذكره في قوله تعالى واوفوا بعهدي (من بعد ميثاقه) يتعلق بينقضون ومن موعدة للبعدي لانهم نقضوا العهد غير مرة .

والميثاق معمال وهو يكون للآلة كثيرا كمرقاة ومرآة ومحرث قال الحفاجي كانه اشباع للمفعل . ويكون المصدر ايضا نحو الميلاد والميعاد وهو الاظهر هنا والضمير للعهد اي من بعد توكيد العهد وتوثيقه ولما كان المراد بالعهد عهدا غير معين بل كل ما عاهدوا عليه كان توكيد كل ما يفرضه المخاطب بما تقدمه من اليهود وما تاخر عنه فهو على حد ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فالميثاق اذن عهد آخر اعتبر مؤكدا لعهد سبقه او لحقه .



اختتام الحديث الشريف

الحذر من الغضب والفواحش (٤)

بقلم المذم الشيخ محمد ابن القاضي نائب الدولة لدى المظارة العلمية كان

بقي النظر في انه هل يصح ان يتعلق بالاوصاف الغير المقدورة للانسان اذا انصف بها الثواب والعقاب ام لا . قيل ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات النظر يتجاذبه الطرفان وربما يستدل على تعلق العقاب والثواب بها بامرين اولهما : ان الاوصاف المذكورة قد تعلق الحب والبغض بها قال الله تعالى (والله يحب المحسنين) وقال (ان الله لا يحب كل مختال فخور) والحب والبغض من الله تعالى اما ان يراد بهما نفس الانعام او الانتقام واما ان يراد بهما ارادة لانعام او الانتقام وعلى كلا الوجهين فالحب والبغض راجعان الى نفس الانعام والانتقام وهما عين الثواب والعقاب والثاني اذا افترضنا الحب والبغض لا يرجعان الى الثواب والعقاب فتعلقهما بالصفات اما ان يستلزم الثواب والعقاب ام لا فان استلزم فهو المطلوب وان لم يستلزم فتعلق الحب والبغض اما للذات وهو محال واما لا مر راجع الى الله تعالى وهو محال لان الله غني عن العالمين وتعالى ان يقتصر لغيره او يشكّل بشيء بل هو الغني على الاطلاق وذو الكمال بكل اعتبار واما للعبد وهو الجزء اذ لا يرجع للعبد الا ذلك . وامر ثالث وهو انه لو سلم انها محبوبة او مكروهة من جهة متعلقاتها وهي الافعال فلا يخلو اما ان يكون الجزء على تلك الافعال مع الصفات مثل الجزء عليها بدون تلك الصفات او لا فان كان الجزء متفاوتا فقد صار للصفات قسط من الجزء وهو المطلوب وان كان متساويا لزم ان يكون فعل اشج . اشج عبد القيس

حين صاحبه الحلم والافادة مساويا لفعل من لم يتصف بهما وان استويا في الفعل وذلك غير صحيح لما يلزم عليه من ان يكون المحبوب عند الله مساويا لما ليس بمحبوب واستقراء الشريعة يدل على خلاف ذلك . وايضا يلزم ان يكون ما هو محبوب ليس بمحبوب وبالعكس وهو محال فتبت ان للوصف حظا من

الثواب والعقاب واذا ثبت ان له حظا من الجزاء ثبت مطلق الجزاء فالأوصاف المطبوع عليها وما اشبهها مجازي عليها وللقائل بانها ليس مما يتعلق بها الثواب والعقاب انظار لا يسع بسطها في هذا المقام .

ومما يجب التنبيه اليه ان الأوصاف التي لا قدر لا للإنسان على دفعها ولا جليها على ضررين احدهما ما كان فطريا ولم يكن نتيجة عمل كالشجاعة والجن والحكم فيه ما قررنا والثاني ما كان نتيجة عمل كالعلم والحب في نحو قوله احبوا الله لما اسدى اليكم من نعمه وهذا يتعلق به الثواب والعقاب في الجملة من حيث كانت تلك الأوصاف مسببات عن اسباب مكتسبة فيجب على العاقل ان لا يهمل امر الاسباب حيث كانت مطية الثواب والعقاب .

قل الحافظ بن القيم في مدارج السالكين ان اصعب ما على الطبيعة الانسانية تغيير الاخلاق التي طبعت عليها واصحاب الرياضات الصعبة والمجاهدات الشاقة انما عملوا عليها ولم يظفروا اكثرهم بتبديلها واليك ما يصل به السالك مع تلك الاخلاق ولا يحتاج الى علاجها وازالتها ويكون سيره اقوى واجل من سير العامل على ازلها وتقدم قبل هذا مثلا نضربه مطابقا لما نريد لا وهو نهر جار في صبيه ومنحدرا ومنته الى تغربق ارض وعمران ودور واصحابها يعلمون انه لا ينتهي حتى يخرب دورهم ويتلف اموالهم واراضهم فانقسموا ثلاث فرق فرقة صرفت قراها وقوى اعمالها الى سكر ولا حبسها وايقافه فلم تصنع هذا الفرقة **كبير** امر فانه يوشك ان يجتمع فيكون على السكر ثم يحمل افساده وتخريبه اعظم وفرقة رات هاته الحالة وعلمت انه لا يغني عنها شيئا فقالت لاخلص من محذور لا بقطعه من اصل ينبوع فرامت قطعه من اصله فتعذر عليها ذلك غاية التعذرات طبيعة النهرية ذلك اشد الالباء فم دائما في قطع ينبوع وكلما سدولا من موضع نبع من موضع فاشتغل هؤلاء بشأن هذا النهر عزم الزراعات والعمارات وغرس الاشجار فجاءت فرقة ثالثة خالفت راي الفريقين وعلموا انه قد ضاعت عليهم كثير من مصالحهم فاختدوا في صرف ذلك النهر عن مجراها المنتهي الى خراب العمران وصرفوا الى موضع ينتفعون برصوله اليه ولا يتضررون به فصرفوا الى ارض قابلة للنبات وسقوها به فانبت انواع العشب والكلاب والثمار المختلفة الاصناف فكانت هذا الفرقة اصوب الفرق في شأن هذا النهر فاذا تبين هذا فالنهر مثال القوتين الغضبية والشهوانية وهو منصب في جدول الطبيعة

ومجرا لا الى دور القاب وعمرانه وحاصله بذهبا ويتلفها ولا يبدء بالنفوس الجاهلة الظالمة تركته ومجرا لا فخر بديار الايمان وقلع آثاره وهدم عمرانه واما النفوس الزكية الفاضلة فانهارت ما يؤل اليه امر هذا النهر فانفثوا ثلاث فرق فاصحاب الرياضيات والمجاهدات راموا قطعة من ينبوعه فابت ذلك حكمة الله تعالى وما طبع عليه الجيلة البشرية ولم تنقله الطبيعة فاشتد القتال ودام الحرب وحمي الوطيس وصارت الحرب دولا وسجالا وهؤلاء صرفوا قواهم الى مجاهدات النفس على ازالة تلك الصفات وفرقة اعرضوا عنها وشغلوا انفسهم بالاعمال ولم يجيبوا دواعي تلك الصفات مع تخليتهم اياها على مجراها لكن لم يتمكنوا نهرها من افساد عمرانهم بل اشتغلوا بتحسين العمران واحكام بنائه واساسه وراوا ان ذلك النهر لا بد ان يصل اليهم فاذا وصل الى بناء محكم ام يهدمه بل يأخذ عنه يمينا وشمالا فهؤلاء صرفوا قوتهم في العمارة واحكام البناء واولئك صرفوها في قطع المادة الفاسدة من اصلها خوفا من هدم البناء وفرقة ثالثة رأت ان هذا الصفات ما خلقت عبثا ولا سدى وانها بمنزلة الماء يسقى بها الورد والشوك والثمار والخطب فرات ان الكبر مثلا نهر يسقى به العلو والفجر والظلم والعدوان ويسقى به علو الهمة والافتة والحمية والمراغسة لاعداء الله وقهرهم والعلو عليهم فصرفوا مجرا لا الى هذا الغراس وابقوا على حاله في نفرسهم لكن استعملوا حيث يكون استعماله انفع وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم اباد جنة يتبختر بين الصفيين فقال انها لمشية يبغضها الله الا في مثل هذا الموضع فانظر كيف حلّى مجرى هذه الصفة وهذا الخلق بجري في احسن مواضعه وفي الحديث الآخر ان من الخيلاء ما يحبها الله ومنها ما يبغضها الله ، فالخيلاء التي يحبها الله اختيال الرجل في الحرب فانظر كيف كانت الصفة المذمومة عبودية وكيف استحل القاطع موصلا ويؤيد ذلك ايضا قول الله تعالى (ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) قال الفخر الرازي اعلم انه تعالى ذكر في هذا الآية قوله (بغير الحق) لان اظهار الكبر على الغير قد يكون بالحق فان للمحق ان يتكبر على المبطل وفي الكلام المشهور الكبر على المتكبر صدقة ومن يعالم نفسه بغير ما جاء به الرسول فهو كمن بعالج برأيه بدون معرفة الطبيب وابن رأيه من معرفة الطبيب فالرسل اطباء القلوب ولا سبيل الى تزكيتها وصلاحها الا من طرقهم وعلى ايدهم .

الشرع الاسلامي

هاجة البشر الى الشرائع (٣)

هل الفقه الاسلامي متأثر بالقانون الروماني

يقام العلامة الشيخ محمد الهادي ابن القاضي المفتي الحنفي بالديار التونسية

واما التشابه في عقدى البيع والاجارة فانه تشابه غير تمام فانهما وان تشابها في بعض احكامهما العامة بسبب ارتكاز هذا على مبادئ التبادل الاقتصادي والمعاملات التجارية التي استوجبت وجودها الا ان هناك اختلافاً في الاحكام التفصيلية كخيار الرؤية وغيرها .

فثبت ان تلك الامثلة غير دالة على ان المسلمين تأثروا بفقه الرومان وعلى فرض صحتها فهي قليلة لا تستحق الذكر لاسبابها اذا نظرنا الى الفروق العديدة بين القانون الروماني والفقه الاسلامي

فلمست العبرة بوجود بعض مواضع الموافقات لكن العبرة باهمية هذه المواضع بالقياس الى مواضع الفروق وان الفروق الاساسية كثيرة يطول بنا شرحها واليك بعضها على سبيل المثال .

اولاً - ان النساء الرومانيات كن تحت الوصاية الدائمة ولا يمكن من التصرف الا باجازة الولي

اما الشرع الاسلامي فقد اعطى المرأة الحرية التامة في التصرف بماله الا في حالات استثنائية

ثانياً - ان المهر عند الرومان يدفع للزوج من طرف الزوجة او احد ذويها بينما هو عند المسلمين يدفع للزوجة من طرف الزوج

ثالثاً - التبنّي لا بقره للشرع الاسلامي مع انه كان معروفاً في القانون الروماني

رابعاً - ان حوالة الدين لم تكن جائزاً في القانون الروماني مع انها جائز لا
بلا خلاف في جميع المذاهب الاسلامية .
خامساً - ان قواعد الارث والوصية مختلفة في الفقهاء باختلافها بينا فهي الشريعة
الاسلامية لا وصية لو ارث . اما عند الرومان فان الوصية اختيرت اساساً لاجل
تعيين الوارث

٢ - قيمة دلالة الشبه بمحد ذاته

ما هي قيمة الشبه بمحد ذاته اذا وجد بين شريعتين ، هل يكفي وحده
للحكم بان احدى الشريعتين اقتبست احكامها من الاخرى
لاريب ان مجرد الشبه وحده لا يكفي بوجه : ام لاثبات الاقتباس لان
الشبه اما في القواعد الكلية او في الاحكام الجزئية اما الكلليات كتحريم القتل بدون
حق وتحريم السرقة والزنا وتحريم اكل اموال الناس بالباطل وما اشبهه فان
هذه تتركز على مبادي العدل الاولى وهي لذلك ابدية واحداً فلا غرو ان من
تكون متشابهة قديماً وحديثاً وفي مختلف الاحوال والعصور والشعوب
قال الامام ابو اسحاق الشاطبي في المرافقات ان هذه الاحكام كلية ابدية
وضعت عليها الدنيا وبها قامت مصالحها في الخلق حسبما بين ذلك الاستقراء
والتبعية وعلى وفق ذلك جاءت الشريعة ايضا فذلك الحكم الكلي باق الى ان يرث
الله الارض ومن عليها . اهـ

فهذا الضرب من الاحكام العامة يتركز على مبادي اولية ابدية هي مبادي
العدل الصافي والخير الحقيقي وقد اسماها القدماء القانون الالهي او القانون الطبيعي
او القانون الابدي وهي قوانين القوانين
ولا شك ان هذا الصفة اللازمة لها تستتبع صفة اخرى وهي ان هذا
الاحكام واحداً متشابهة في جميع الشرائع سواء اكانت فيما بينها مبادلات وروابط
اولم تكن لذلك فان وجود مثل هذا الشبه لا يصلح ان يكون دليلاً في حد ذاته
على ان بعضها ليقبس من بعض

واما الاحكام الجزئية فاننا نجدها في الغالب مختلفة فيما بينهما فان وجد هذا
الشبه احياناً فانه لا يدل على الاقتباس ايضا لان الاحكام مبنية على هلل واسباب

فاذا وجدت العلل والاسباب متشابهة كان من المعقول ان تكون الاحكام المبينة عليها متشابهة ايضا وفاقا للمبدأ القابل ان نظاير الاسباب تولد نظائر النتائج

٣ - موقف الفقهاء المسلمين من القانون الروماني

ومما لا ريب فيه ان الفقهاء المسلمين لم يطلعوا على كتب الرومان في الفقه ولم يترجموها شيئا منها ولم يذكروا شيئا عنها ولو فعلوا ذلك لذكروا واعترفوا به ولكن اثره اذيا في كتبهم كما اعترفوا بترجمة كتب اليونان والفرس في العلوم المختلفة ولقد كان الباعث على احجام الفقهاء عن دراسة القانون الروماني راجعا الى عقيدتهم ان الشريعة الاسلامية الالهية مبنية على القرآن الكريم والسنة النبوية وانها مثل الكمال في التشريع اذا كانوا يثبتون كل مصدر عن غير المسلمين في التشريع ويحرمون الاخذ به .

٤ - تاثير عادات الرومان في البلاد المفتوحة على الفقه

ان تاثير هذه العادات على الفقه الاسلامي موضع نظر فالثابت الذي لامرأ فيه ان هذا الشرع مصدره الاساسي هو القرآن والسنة حتى انهم اجعوا بقية الاصول الاخرى من اجماع وقياس وغيرهما الى هذين الاصلين وان النص من الكتاب او السنة انما وصل الى المسلمين عن النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي الالهي في طور التشريع الاسلامي الاول حين لم تعد الحبال الاسلامية جزيرة العرب وحينئذ فلا اتصال ولا علاقة بالعادات الرومانية في هذا الدور الاول

وعند ما اتسعت الفتوحات واستولى المسلمون على بعض البلاد التي كانت خاضعة للحكم الروماني كمصر والشام اخذ فقهاء المسلمين وقضاتهم يعرضون عادات تلك البلاد على اصول الشرع الاسلامي فما كان منها ملائما لنصوصه ولما قصد له وحكمته وقبلوا بالاجتهاد وما كان مخالفا للشريعة ولا يندرج في دليل من ادانها نبذوه وحكموا بمنعه هذا هو المعروف عنهم والذي اطبقت كتب التاريخ على حكايته فيهم .

الحق يعلمو

شهادة علماء أوروبا في الإسلام

بقلم المنعم امير الامراء علي عبد الوهاب

وبكتابه الموسوم « رحلتي الى الشرق » قال السياسي والشاعر الفرنسي
انشير دو لا مارتين :

« انه لم يبق للناس ايمان لانهم يحيلون كل شيء على افهام الشخصية
« فليس هنالك يقين عام في اي شيء كان لا في الاديان ولا في المبادئ
« السياسية ولا في اصول الاجتماع .
« عقائد وايمان انما ذلك للامم لمثل الزنبرك فاذا انقطع هو انحل كل شيء .
« ولذا لم توجد الا وسيلة واحدة لانقاذ الشعوب الا وهي ان تعاد اليهم العقيدة . » اهـ

الخلاصة

وعليه فاننا نستبين من خلاصة ما قدمنا ان الموافقات بين الفقه الاسلامي
والقانون الروماني ضعيفة جدا بالقياس الى الفروق ونستبين ان هذه الموافقات لا
تدل بحد ذاتها على تاثير الاول بالثاني

ثم نستبين ان موقف الفقهاء المسلمين كان موقفا سلبيّا ازاء القانون الروماني
وذلك نظرا الى روح الشريعة الاسلامية ومصدرها الالهي

وان العادات التي اقتبسها الفقهاء في البلاد التي كانت خاضعة للحكم الروماني
دخلت الى التشريع الاسلامي ان لم يصحكن ما يناقضها في نصوص الشرع او في
مبادئه الاسلامية

وعليه فاننا نستنتج من جميع ذلك حكما قطعيا لا يدخلنا الشك فيه بحال
وهو ان الفقه الاسلامي مستقل بنفسه قائم على اساسه لم يكن في وقت من الاوقات
متاثرا ولا مقتبسا من غيره شيئا

« وفي مقدمة ترجمة كتاب الشيخ رحمة الله نعمه الله « اظهر الحق » باللغة الفرنسية قال مسيو دارليتي :

« ومنهم من يعيب على الاسلام ايضا انه يعارض الحريات المدنية وبالجملة
« يضاد النظم التي تسمى مجموعها بالتمدن المصري والحال ان هذه الوصمة ليست
« بناتجة لان الصبيان حتى الذين ما زالوا بالكتاب الابتدائية يعلمون ان
« العرب مكثوا مدة ثمانية قرون الزعماء الوحيديين للمدنية بالعالم وزاولوا
« كل العلوم البشرية وان جل الاختراعات والاكتشافات التي صارت فيما
« بعد اساسا للرقى الاروباوي هي متفرعة عن مبدكرات وتاليف المسلمين

« فلماذا والحالة هذه لم يكن القرءان اذذاك عقبة في سبيل للمدنية فهل
« تغير من ذلك الوقت كلا ولكن لم كان الايمان والتصديق بالقرءان شديدا
« ممكينا كان متبعوه يتعاطون دراسة العلوم بغير زمام حتى اتوا في مدة وجيزة
« بالتقدم الغريب المدهش الذي ما زال الى الآن محل اعجاب اروبا ثم عند ما
« ظهر قور المسلمين في العقيدة ابتداء انحطاطهم

« ولم يتعرض المسلمون لاي نظام او اصلاح من شأنه مساعدة التقدم
« واذا شاهدنا مع ذلك تأخر بعض الممالك الاسلامية وحالتها المنحطة بالنسبة
« للبلاد الاروباوية فالسبب هو ان بعض الامراء رغما عن تظاهرهم بالدين
« الحمدي لا يتعمون اوامر القرءان العزيز ولهم عن نواهي اذان صماء فهل تنويسي؟
« ان المستشفيات وماوي المرضى والمجبر والفقر والمجانين وان كانت في
« الاصل من تاسيس الهنود فان اروبا لم تتلقاها الا من المسلمين وكذا التعليم
« مجانا الذي لم تدخله اروبا في نظاماتها الا بغاية التواني فانه موجود الى يومنا
« هذا بالساجد الاسلامية وكل انسان له الحق في حضور الدروس بها بسدون
« واسطة ولا شقيع وقد قيل لي ان الماسوف عليه المسيو لآن الاقليزي زاول
« العلوم بالجامع الازهر في مصر مدة طويلة ولم يدفع دافعا واحدا والمدرسون
« هناك ليس لهم مثل زملائهم باوروبا عشرات الالاف من الفرنكات سنويا ولا
« يتجاوز مرتبتهم الشهري المائة فرنك وهم في مقاومة هذه الاجرة الزهيدة

- « يدرسون صباحا مساء واعرف منهم من له اربعة دروس يوميا كما اني اعرف
 « آخرين يقدون بالمساجد للتعليم من دون ادنى اجر ويسمونهم المتطوعين
 « وقد قضيت ما ينوف عن ربع قرن بالبلاد الشامية وبحاضرة تونس
 « وكنت مدة اقامتي بها كثير المخالطة للمسلمين من كل الطبقات فها اجزم اني
 « لم اسمع قط من يعيب او ينتقد على المدنية الاوروبية الا ما قبّح منها بل
 « سمعهم يتذمرون من انحطاط حالتهم بالنسبة للافريق ولا يسبون ذلك لانفسهم
 « ولا لمبادي دينهم ولكن لامرائهم والذي اعتقد ان احدى الدواعي التي منعت
 « بعض اولئك الامراء من الاهتمام برقي رعاياهم وتحسين حالتهم المادية
 « والمنعوية هي تداخل الدول الاوروبية في البلاد الاسلامية وبث الدسائس
 « المتنوعة والمكايد المستمرة . . » اهـ
- « ومن كتاب « تذكّر العالم الاسلامي » للفرنساوي شارل ميزير: وها
 « انا ابدي فكري بكل صراحة واقول ان في هذه الازمة ذات الفوضى المرعبة
 « المحيطة والتي تسعى مذاهبها الشتى والضالة المضلة في الانتشار والانتصار لو وجد
 « الدين الاسلامي مبشرين قادرين على منافسة ومجاراتة فصحاء النصارى لاهتدى
 « واسلم الناس حتى بعواصم اوروبا . . » اهـ



الوعظ والارشاد

قائمة رسالة الاسلام على الدعوة الى الخير والصلاح والتحذير من الشر والفساد
فاما الذين امنوا واتبعوا واجتنبوا السيئات فتطوبى لهم وحسن مآب واما الذين خالفوا
وعصوا وافسدوا في الارض فستصيهم قارعة ويحل عليهم غضب وبئس عاقبة
المفسدين الا من تاب فان الله غفور رحيم

وقد رآبت الشريعة الاسلامية السمحة على الطاعات انواعا من الثواب سينالها
المرء يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وربت على ارتكاب
المعاصي اصنافا من الرزايا سيلقاها العبد امامه يوم الحساب العظيم
وقد نطقت آيات القرآن واحاديث الرسول بذلك ترغيبا في الطاعات
وتحذيرا من المعاصي وجماع الطاعات تقوى الله فهي راس كل فضيلة ومفتاح
الخير وملاك الصلاح بها ينجو العبد من غضب الله وعذابه الاليم وينال السعادة
العظمى والثواب الجزيل واكرم بها من خلة استحق صاحبها مدح الله له في محكم
التنزيل وانم بها من صفة وصف الله بها الخالص من عباده ذوي النفوس الزكية
والمراتب العالية حتي بشرهم بالجنة وقال فيها ولنم دار المتقين

وتقوى الله لها ظاهر وباطن اما باطنها فهو في السريرة واما ظاهرها
فبالاعمال الصالحات التي يتقرب به الى باري الكائنات التي لا تخفى عليه خافية
وبعلم ما تكن النفوس وما تخفي الصدور فمن طابق ظاهره سريره كان من الناجين
ومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو من الراجين ومن بدل نعمة بسيئة
فاولئك العصاة المذنبون الذين يرتجى لهم اصلاح بعد ما افسدوا واقلاع عما
كسبت ايديهم واسروا ورحمة من الله تخرجهم منها وقوموا فيه

فان المعاصي التي يتركبها العبد لها مكفرات يمحو الله بها ما علق بالعبد من
خطايا كتبت له في سجل السيئات والكفارات انواع كما ان المعاصي انواع فمن

المعاصي ما يكفرها فعل الحسنات والتقرب الى الله تعالى باطاعات واجتناب السيئات وهي المعاصي التي لا يترتب عليها فساد عظيم تكفرها الصلاة ويكفرها الوضوء وتكفرها الصدقات الى غير ذلك من انواع القربات ومن المعاصي ما لا يكفرها الا التوبة والالابة ولاقلاع عنها خشية من الرحمن الرحيم والندم على ما فرط العبد في جانب مولاها ورد المظالم الى اهلها فيما هو من حقوق الخلق واسترضاءهم عما فرط فيه من حقوقهم وهي المعاصي التي يترتب عليها فساد عظيم وعظم خطرها الشارع وتوعد عليها بالعذاب الاليم او قرنها بغضب او لعنة او حذر منها كي يسلم العبد من نقمه وذلك ما وصفها به حبر الامة ابن عباس رضي الله عنهما وقيل له اهي سبع قال هي الا السبعين اقرب واعظمها واطورها الشرك بالله تعالى وان يجعل له سبحانه ندا فهو اعظم المفسد واشدها . ففي الصحيحين عن عبد الله قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك . قال قلت له ثم اي قال ثم ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال قلت ثم اي قال ثم ان تزاني حليلة جارك فهذه ثلاث من المعاصي المهلكات الاولى ان يجعل لله ندا اي شريكا .

الثانية قتل النفس وخاصة اذا كان ولده من املاق خشية ان ينفق عليه كما كانوا في الجاهلية فان من عاداتهم وأدبناهم خشية العار او خشية املاق الثالثة الزنا وخاصة ان يزني بجارته فان الاحق ان يغار عليها لا ان يفارشها واذا كان من العرب في الجاهلية من يفعل ذلك فان منهم من ينزله قال عنتره واغض طرفي ما بدت لي بجارتي حتى يوارى جارتى ماواها

وشدد الاسلام في ذلك فمدن من اعظم الذنوب لما يترتب عليها من الفساد وقد اتزل الله تعالى في ذلك مائة (والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلن النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أهما بضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا)

ومن اكبر الكبائر المهلكات واطهر المعاصي بعد الاشراك عقوق الوالدين

وشهادة الزور كما نطق بذلك الحديث الصحيح : الا انبئكم باكبر الكبائر قالها
صلى الله عليه وسلم ثلاثا الاشرار بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور وفي رواية
وقول الزور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس فزال يكررها
حتى قالت الصحابة ليته سكنت اي شفقة عليه صلى الله عليه وسلم وفي رواية
اخرى وقتل النفس وقول الزور

ومن المعاصي الكبائر السبع الموبقات التي نطق بها الحديث الصحيح قال
صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن . قال
الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل
مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

وقد عد صلى الله عليه وسلم من المعاصي الكبائر غير ذلك فمنها ما جاء في الحديث
المصحيح انه قال من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم
الرجل والديه قال نعم يسب اب الرجل فيسب ابلا . ويسب امه فيسب امه .
وقد عد الكبر من الكبائر الموجبة للنار المانعة من الاحراز على السبق
الى الجنة ففي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من
كاف في قلبه منقال ذرة من كبر قال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله
حسنة قال ان الله عز وجل جميل يحب الجمال . الكبر بطر الحق وغمط الناس
بطر الحق ابطاله وعدم قبوله والحيدة عنه حتى لا يراه حقا وغمط الناس
اختقارهم وجاءه العظمة والاحتقار فهذه جملة من المعاصي الكبائر خطرها عظيم
وفسادها جسيم فليحذر منها العبد خشية غضب الله وايتب من اصابته منها مصيبة

محمد بن الفضل بن القاسم

وفي التوبة والانابة رجوع عن العصيان ورجاء من
الملك الديان عساه سبحانه ان ينم بالمغفرة والرضوان
وهو عبده بالجنة وهو ارحم الراحمين

لغويات

تصحيح اخطاء وتحاريف

في طبعة جمهرة الانساب لابن حزم (٣)

بقلم العلامة المحقق الاستاذ الاكبر الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع وفروعه

وكلا الاسمين غير معروف . ورايت في ذكر ايام العرب انه منقذ بذال معجمة ومنقذ علم
من الاعلام العربية كما في القاموس

ص ٢٧٤ - س ١ « فلا ضيفن » صوابه « فلا خيفن » بخاء عوض الضاد كما في
النسخة التونسية

ص ٢٧٦ - س ١ . ٣ . ٦ . ٨ كتب « بن جُسَلَيَّ » في اربعة مواضع والتحقيق
انه « بن جلى » بضم الجيم واللام المشددة المفتوحة كذا ضبطه ابن ماكولا

ص ٢٧٧ - س ٤ . ٦ . ٧ ضبط « هِزَان » بكسرة على الهاء وكذلك ضبط
في ديوان الاعشى نشر جبير وذكره في تاج العروس فلم يتعرض لضبطه وهذا يقتضي انه بفتح
الهاء كما هو اصطلاحه

ص ٢٧٧ - س ٤ « بن صباح » هو بوزن غراب

ص ٢٧٨ - س ٢ كتب « اسد وحاتم طي » وهو تحريف صوابه « اسروا حاتم طي »

ص ٢٨٠ - س ١٧ ضبط « الحطم والحطمية » بضم الحاء وفتح الطاء فيهما
والصواب انه حطمة بدون حرف تعريف وبها تانيث في اخره وانه بفتح الحاء وسكون
الطاء وكذلك ضبط الحطمية كما في القاموس

ص ٢٨٢ - س ٢ « الممزق » بكسر الزاي والصواب انه بفتحها.

ص ٢٨٣ - س ٥ كتب « عقيلة » بعين مهملة مفتوحة وبكاف والصواب انه « غفيلة »

بعين معجمة فمضمومة وبفاء مفتوحة كما في القاموس

ص ٢٨٨ - س ٢ كتب « عمرو » وضبط « شيم » بكسر الشين والصواب « عمير »

وضبط الشيخ مصحح لسان العرب شليم بضم الشين وكذلك ضبط في نسخ صحاح من
القاموس وهو المناسب للصيغة

ص ٢٩٧. س ١٤ - ١٧ - ١٨ - ١٩ كتب « خوط » ارجع مرات بحاء معجمة
والصواب انه خوط بحاء مهملة

ص ٢٩٩. س ٢٢ ضبط « دغفل » بكسر الدال وكسر الفاء والصواب انه بفتح فيهما
ص ٣٠١. س ٤ كتب « الحطيم » والصواب انه « الحطم » بضم الحاء المهملة
وفتح الطاء المهملة كما في تاج العروس

ص ٣١٠. س ٥ كتب « الاقيون » بقاف وبتشديد التحتية والذي في النسخة
التونسية مصححة بفاء ومضبوطة بضم الهمزة وسكون الفاء وضمة على التحتية . وفي نسخ
تاريخ ابن خلدون المخطوطة والمطبوعة « لاسور » ولم اقف على مستند احد هذه الوجوه
الثلاثة .

ص ٣١٠. س ٦ كتب « بنى » والصواب « نبي » .

ص ٣١١. س ٥ « وعبد الله ووفدان » والصواب « وعبد الله والهتو ووفدان »

ص ٣٢٦. س ١٩ « تيم الله » والصواب « تيم اللات »

ص ٣٣٣. س ١١ « بن منقذ » والصواب « بن منقذ » بذال معجمة .

ص ٣٣٥. س ١٠ « بنو قوقل بن عوف بن الخزرج » والصواب « بنو قوقل

ابن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج » كما في النسخة التونسية

ص ٣٣٥. س ١١ « بنو غنم بن الخزرج » والصواب بنو غنم بن عوف

ابن الخزرج كما في النسخة التونسية

ص ٣٤٢. س ٧ « كان سكن » والصواب « كان مسكن »

ص ٣٥٤. س ١٠ - ١١ ضبط « الهنو » بفتح الهاء في ثلاثة مواضع

والصواب انه بكسر الهاء كما في القاموس

ص ٣٥٨. س ١١ ضبط « سلم » بفتح اللام والصواب انه بسكون اللام

ص ٣٦٠. س ٣ ضبط « الشري » بسكون الراء والصواب بفتحها مقصورا

ص ٣٦٢. س ١٨ - ٢٠ - ٢١ ضبط « الجلندي » بفتح الجيم واللام

وبالقصر في المواضع الثلاثة والصواب انه بضم الجيم وضم اللام مع القصر كما في
القاموس فاذا فتحت اللام صار ممدودا وهو مما وهم فيه الجوهرى

ص ٣٦٨ س ٣ « بنو معاوية » صوابه « بنو مغوية » بغير معجمة بوزن
معصية كما في القاموس

ص ٣٧٤ س ١٠ كتب « همار » بهاء فصاد مهملة والصواب « حضار »
بحاء وضاد معجمة كما في تاج العروس واما ضبطه فهو بفتح الحاء وتشديد الضاد
كما في خلاصة تذهيب التهذيب للذهبي

ص ٣٧٥ س ١٨ كتب « حيش » وفي النسخة التونسية « حيش » فليحقق

ص ٣٧٥ س ١٨ كتب « حَلُوا » والصواب « رَحَلُوا »

ص ٣٧٧ س ٤ ضبط « نبهان » بضمة على النون وهو سهو والصواب فتح النون

ص ٣٧٧ س ٦ كتب « مَلِك » والصواب « مَلَكَة »

ص ٣٧٧ س ١٥ - ١٧ - ١٨ ضبط « عتود » بفتح العين والصواب

انه بضمها كما في تاج العروس

ص ٣٧٨ س ٢٢ « لامة والمحدث » هنا نقص والصواب « لامة » وفتحت

عين عدي بن حاتم رضي الله عنه يوم الجمل فقاها عبد الله بن حكيم بن حزام والمحدث

كذا في النسخة التونسية

ص ٣٧٩ س ١٦ - ١٧ كتب « وبوت » وكذلك هو في النسخة

التونسية ولا يعرف بوت في الاسماء فيما ذكره كتب اللغة . ووقع في الاصابة

« نوب » بتقديم المثلثة ولعله هو الصواب لان العرب سموا بتوب . ووقع في

نسخة الاغانى « نور » فليحقق

ص ٣٧٩ س ١٧ كتب « بن رضى » والصواب « بن عبد راضى »

كما هو في النسخة التونسية وهو المعروف

ص ٣٨٢ س ١ ضبط « يحصب » بكسر الصاد والصواب بضم الصاد

ص ٣٨٣ س ١ « الصنابح » صوابه « والصنابح » بواو عطف

ص ٣٨٧ س ١٩ « وحرب بن علة بن جلد » هنا نقص صوابه هكذا

« وحرب بن علة فولد حرب بن علة منبه . ويزيد فولد منبه بن حرب بن علة رهاء بطن . وهؤلاء بنو رهاء بن منبه بن حرب بن علة بن جلد الشيخ » كما في النسخة التونسية

ص ٣٨٧ . س ١٩ - ٢٠ وص ٣٨٨ . س ٢ . ضبط « الرهاوي » بضم الراء في أربعة مواضع والصواب انه يفتح الراء كما في القاموس
ص ٣٨٨ . س ٦ - ١٧ كتب « وسيحان » والصواب « سحان » بنون بعد السين المكسورة وهو اسم كما في القاموس ولم يذكروا سيحان في الاسماء
ص ٣٩٦ . س ٤ كتب « مجربة » والصواب « محرمة » بفتح الميم وفتح الراء بوزن مرحلة

ص ٤١٢ . س ٦ « من ولد حجر » صوابه « ومن ولده حجر » كما في النسخة التونسية

ص ٤١٢ . س ٤ - ١٤ - ١٦ كتب « القود » في ثلاثة مواضع والصواب « الفرد » براء عوض الواو كذا في تاج العروس ولم اقف على ضبطه
ص ٤٠٢ . س ١٤ « ومشرح » هو بوزن منبر كما في تاج العروس
ص ٤٠٢ . س ١٥ قوله « كلهم بالاسكان » يعني باسكان او اخرها على لغة حير فهي مبنية على السكون

ص ٤٠٦ . س ١٣ - ١٧ كتب « خيران » في موضعين بخاء معجمة ومثنا. تختيه والصواب « حيران » بخاء مهملة وباء موحدة وهو بضم الحاء كما في القاموس
ص ٤٠٧ . س ١٤ كتب « اسميقع » بقاف والصواب انه بفاء عوض القاف . وفي القاموس « سميقع » بدون الف في اوله وضبطه كسميدع والمشهور انه بالف في اوله وسكون السين وفتح الميم وسكون الياء وفتح الفاء
ص ٤٠٨ . س ٤ كتب « الفقيه النبيه الاوزاعي » وهو ابن عمرو وهو تحريف والصواب « الفقيه الاوزاعي » وهو ابو عمرو

ص ٤٠٨ . س ٢ وضبط « السحول بضم السين والصواب « السحول » بفتح السين كما في القاموس

- ص ٤٠٩ . س ٥ « تميم » الصواب « تيم »
- ص ٤١١ . س ٣ كتب « تيان » ولم يضبط والصواب « تيان »
- بموحده بعد المتاء الفوقية ويضبط بضمها ويجوز تخفيف الموحدة وتشديدها
- ص ٤١٢ . س ٦ كتب « ويزيد » بمنزلة تحته والصواب أنها فوقه
- ص ٤١٥ . س ١١٠٩٠٨ و ص ٤١٨ . س ٢ ضبط « أسلم » بفتحة على اللام والصواب أنه بضمة على اللام كما في تاج المروس
- ص ٤١٥ . س ٩ و ص ٤٢٠ س ٣ ضبط « حوتكه » بفتح الحاء والصواب بضمها
- ص ٤١٨ . س ٣ كتب « وخزيمة » بحاء معجمة والصواب بحاء مهملة مفتوحة وبكسر الزاي كما في القاموس
- ص ٤٢١ . س ٩ - ١١ - ١٣ - ١٥ كتب « سليم » بيم في آخره وضبط بضم
- بفتح والصواب أنه « سليح » بحاء مهملة في آخره وبفتح فكسر كما في القاموس والتاج
- ص ٤٢٢ . س ١٨ و ص ٤٢٣ . س ١ - ٣ - ٥ ضبط « والبترك » بفتح الباء والصواب أنه بضمها بوزن قفل
- ص ٤٢٤ . س ١٠ كتب « ذو الشكوة » وهو تحريف والصواب ذو الشوكة كما في النسخة التونسية
- ص ٤٢٥ . س ٧ - ٨ كتب « مرة » في موضعين والصواب « مر » كما في النسخة التونسية
- ص ٤٣١ . س ٧ - ١٢ ضبط « العتق » بكسر العين في ثلاثة مواضع والصواب ضبطه بضم العين كما في القاموس ويجوز في التاء السكون والفتح
- ص ٤٣٤ . س ٣١ ضبط « بنو شجع » بفتح الشين والصواب بكسر الشين كما في القاموس
- ص ٤٤٨ . س ٦ ضبط « احاطة » بكسر الهمزة والصواب بضمها كما في القاموس (تنبيه) قد تكرر كثير من الاسماء في الملخص الذي لحصه المؤلف لاسماء القبائل والبطون البدوة بصحيفة ٤٣٣ من الجهرة فما يكون في بعضها من تحريف او تصحيف انما لم يماود التصحيح عليه اكتفاء بما سبق فالناظر لا يعسر عليه اصلاحه .

التاريخ

جوامع القطر الليبي (٢)

بقلم الاستاذ عثمان الكعاك

وقد اعتنى بالمرج الاتراك فاسسوا بها برجاً وقسموها الى محلتين المحلة الشرقية والمحلة الغربية وجامعها الكبير من بناء الفاطميين في القرن الرابع وقد زاد اتساعاً في القرنين الخامس والسادس الا ان عصور الانحطاط قد قضت عن عمران المرج فتناقص بنائها واستولى الخراب على جامعها الى ان اعاد الاثراك حوالي سنة ١٢٨٨ وهو جامع مركب من ثلاث بلاطات قائم سقفه على اعمدة من الرخام . والى جانبه الزاوية العروسية المؤسسة في القرن العاشر الهجري .

درنة درنة واقعة احسن موقع على انقاض مدينة دهنيس اليونانية ثم الرومانية — وقد فتحها عمر بن العاص في طريقه الى طرابلس . وقد شهدت في القرن الاول ارتجاع الوالي زهير بن قيس البلوي الذي كان والياً على القيروان . ثم تغلب عليه البربر فتقهقر الى درنة مع صاحبيه ابي منصور وعبد الله بن ابي بكر واستشهد هناك مع صاحبيه ودفنوا جميعاً في مقبرة ابي منصور . فاكتمست المدينة من جراء ذلك قيمة تاريخية وقدسية واسعة النطاق .

وقد زادت المدينة عمراناً في عصر الفاطميين ولم ينتقص عمرانها في اي عصر بسبب ما بها من المياه المتدفقة ، المروج الفيحاء والبساتين الغناء والحقول الثرية وعندما اخرج فيليب الثالث ملك اسبانيا المسلمين من الاندلس سنة ١٠١٢ هجرية

هاجروا الى بلاد المغرب فاستقروا في جهات كثيرة منها وأم جماعة منهم مدينة درنة فاستوطنوها ونقلوا اليها اساليبهم الصناعية والزراعية الرابضة فانتعشت المدينة انتعاشا جديدا . وفي نفس الوقت كان واليها محمد باشا من رجال السياسة والتدبير فعامل اهل الاندلس معاملة حسنة رعاية للحمة الاسلام الجامعة ونظرا لكونهم عاملا اقتصاديا قوي المفعول . وكانت سيرته هذا شبيهة بسيرة عثمان داي المرادي بتونس الذي انزل الاندلسيين منزلا حسنا . وكان محمد باشا مغرما بالعمران محبا لنشر الوية الخصب و الرفاهية مولعا بتشبيد المباني . فكان مقدم الاندلسيين معينا له على ادراك غاياته وانجاز مشاريعه . ولا يزال اهل درنة يذكرون بكل خير ذلك الرجل الصالح . وقد طفق العمران على عهد لا بفضل استتباب الامن وازدهار اسباب الاقتصاد فقصد درنة - علاوة عن اهل الاندلس - كثيرون من اهل طرابلس وجماعة من اهل الاناضول ومن الجند الذين استقدموا لنسكين اولاد علي

ويرجع لمحمد باشا الفضل في بناء الجامع الكبير بمدينة درنة . اسمه في حارة البلاد التي هي اقدم حارة عربية في بلدة درنة . وسمي الجامع الكبير او جامع القباب الاثني والاربعين . ذلك لان هذا الجامع مبني على نمط تركي وسقفه يتالف من ٤٢ قبة على غاية من الجمال وهذا العدد من القباب نادر في الفن الاسلامي الا اننا نعلم ان الفن الموحن . اعني الفن البنائي الذي جلبه الاندلسيون الى المغرب كان يميل في بعض مبانيه الى الاكثار من القباب من ذلك ان جامع بلدة بلي الاندلسية الواقعة في طريق نابل على بضعة اميال من قرنبالية يحتوي على ٢٥ قبة .

ومن المعلوم ان الفن المغربي في القرن الحادي عشر سواء بالجزائر او بتونس او بليبيا كان مزيجا بين الفن البنائي التركي والفن البنائي الاندلسي المعروف بالفن الموحن . مع ان الفن التركي غلب في مدينة طرابلس في جوامع القرجمي والباشا واحمد شايب العين ودرغوث فان هذه الجوامع لا تحوي من الفن الاندلسي الا الكسو من الزليج ليس الا .

اما درنة فان وضعيتها التاريخية - اعني وجود جاليتين بها احدهما اندلسية والاخرى تركية قد حلنا بهما في نفس الوقت تقريبا قد جعل فهما المعماري مزيجا من الفن التركي والفن الموحن الاندلسي .

وهذا القباب الاندلسية قائمة على ثلاثين عمودا من جميل المرمر . والمنارة تركية النمط جميلة القامة ويوجد بدرنة جامع ثان يسمى جامع المغار جامع قديم البناء قد جدد رشيد باشا

وهذا الجامع مبني وفق اجمل معمار تركي وهو حجري بالمحافظة ليس من حيث انه جامع فقط بل ايضا لانه من المباني ال اثرية الدالة على جمال الفن في الاسلام بنغازي هي عاصمه البلاد البرقاوية واقعة على البحر بين الشاطي وسبختين ————— ويوجد في المدينة جامعان لهما اهمية اثرية الاول هو الجامع الكبير بنا لا في اخر القرن التاسع القاضي عبد السميع وادخل عليه الطاهر باي تحسينات وهذا الجامع في عومره يجمع بين الفن الموحيدي والفن التركي . فان جملة البناء هي ذات صبغة موحدية شبيهة بجامع القصبة بتونس اما الزخرف الخارجي وشكل المأذنة فانهما ينتسبان الى الفن التركي . والسبب في ذلك ظاهر وهو ان القاضي عبد السميع قد بنى الجامع قبل قدوم الاتراك حينما كان الفن الموحيدي شائعا فلما اصلحه الطاهر باي كان ما ادخله عليه موافقا للنمط التركي .

واما الجامع الثاني فهو جامع رشيد باشا وبه تربته وفق العادة التركية وقد دفنت معه بعض شعرات الرسول صلى الله عليه وسلم ونمط الجامع هو النمط التركي الخالص شبيه بجامع حمودة باشا وجامع يوسف داي بتونس وجوامع القرصي والباشا وشايب العين وسبيدي درغوث بطرابلس .



ادب الاصيل شكيب ارسلوه

دراسة - تحليل - نقد

(٢) بقلم الاديب الاساذ احمد مختار الوزير مدرس
فن التلميم وعلم النفس بجامعة الزيتونة

وفيما يتأدى بنا الى ذلك نشير الى ان اديبنا قد استشعر ان الامة العربية في
حادث اتصالها بالغرب الجديد . كانت تقف بهفترق الطريق . فصارحها لتلوذ
برابه . وتأخذ مفاديه من شر المخاطر بحكمة عقله . قال : لم يعهد التاريخ دوراً
من الادوار خالص من علاقة الشرقيين بالغربيين . وخلطة الغربيين بالشرقيين .
ونسخ كل فريق عن الآخر . واقتباس هذا من ذاك . اخذاً ورداً . وجزراً ومدأ
حتى في اعرق الادوار في القدم . واوغل الاطوار في الظلم . وقد عم هذا التحاك
جميع احوال الحياة . واركان العمران من التجارة الى السياسة الى الصناعة الى الثقافة
فكما تناقلوا فيما بينهم البضائع والمتاجر . فقد تناقلوا الحكم والحواطر . وكما حمل
بعضهم الى بعض المهن والصناعات . فقد حملوا الاختراعات والبراعات . وكما تسلط
منهم الاشجع على الاجبن . والاشك على الاعزل . فقد نسلط الالحن على الالكن .
والاعلم على الاجهل . اذا اخذ والعطاء بين الشرق والغرب قديمان منذ طلعت
الشمس وولى اليوم والامس . لم ينحصر في الامور المادية والحوالات المالية والآثار
البدوية . بل شمل الامور المعنوية والمسائل العقلية والشؤون الاجتماعية .
وما ترقى في سلم الاجتماع امة في شرق ولا في غرب الا كان الآخر عيالاً
عليها جادا في محاكاتها ومنحسراً على مناعاتها . فقد اخذت يونان عن مصر . واخذت
فداد عن يونان . واخذت اوربة عن الاندلس ثم اخذ الشرق في جدته الاخيرة
عن اوربة الا انه لم يعرف التاريخ فيما مضى اي قبل ظهور الآلات التجارية
والكهربائية دوراً انت فيه للعلاق بين الشرق والغرب . وارتفعت فيه الحواجز

على البعد والقرب . وتشارك فيه الناس في تناول كل مادي ومعنوي . كما في هذه الايام الاخيرة التي القى فيها الغرب بجرانه السياسي على الشرق . وراى الشرق ان لا قبل له بمناهضة الغرب على وجه كافل لنجاحه الا بان يقاتله بسلاحه . فاضطر الشرق اذا . ان ياخذ عن الغرب طوعاً او كرهاً . والضعيف مولع بتقليد القوي كل ما تيسر له اخذه من اسباب المدنية كأدلة الحرب والمتاع والماءون . والعلم والحكم والقانون . مجتهدا في اكثر الاحيان ان يضمن هذه العلوم السننه الذليقة . ويطبع بها مدنيتة العربية . ويلقى على غرايتها ديباجته الشرقية . احتفاظا بقوميتة واعتصاما بانانيتها .

لان كل امة نسبت اصلها ونبذت قديمها وفرحت بجديدها وانكرت رميمها فاحر بها ان تكون ساقطة عن امم . وان تعد خلطاً لا تعرف من بين الامم »
هذا هو موضوع الامير شكيب ارسلان . وهو في نفسه عقدة المعاقبة فيه كان الامير شاعرا أفصاحه القصائد . حين كانت تستبد بمشاعرا الحماسة في ميادين المماننة فيلوذ بالعواطف يلهب ثوائرها . ويستفز دوائرها بما يعرضه عليها في تنعيم تالفه . ونسق شعري تسانسه . من مناقب العرب ومفاخرهم وفضائل اعمالهم . من شرف الاعراق . وكرم الاخلاق . وعلو الهمم . والوفاء بالذمم . وصدق الولاء . ومصانعة الاعداء . وتطويل البناء .

وفيه كان الامير كاتباً ببيانته المقالات المنطقيات وايات البراهين البينات . ذلك حين كان المقام للفكر والحقيقة يجلبها في ادق ملاحظة . واتم تصور . واحكم استقراء . واثق استعباط . واصدق حكم . واقوم تعليل . يخاطب بذلك كل من يفاوض ويعارض ويقارع ويناهض . في توضيح الراي للعرب لهم ليزدادوا اقتناعاً . وعليهم ليتاركوا ما لا خير فيه انقطاعاً .

وفيه كان الامير اديباً بارع الترجمة . جيد الاختيار . صحيح النقل . دقيق العقل . واسع العلم . مستقيم التنظير . تستجيب له قريحته ما دعاها الى التصنيف

والتأليف . والى التصحيح والتوقيف . والى المناظرة . والمحاضرة . ذلك ليتدارك ما يفيد الخزانة العربية كلاً . في اخص ما تكون عليه من نقص . وفيه كان الامير زعيما سياسيا . داعية من اخطر الدعاة . محرصا من ابلغ المحرضين . واقواهم على الاستهواء . وافذرهم على الاستهالة . يحتل ما وسعته الحيلة في انشاء اذق الاسباب الجامعة لبؤلف منها روابط الاتحاد . يدبر للابرار من فروض الحلول الملائمة للشؤون الدافعة ما يمكن ان يكون مثال الحكمة الحازمة . ويدبر للنقظ اوجها مختلفة يجيز في تصميم مناهجها اعتبارا كل امر مقبول الا ذلك الامر الذي يتوقع معه ان ينتج من الاحوال ما يلزمه اضطرارا ان يتخلى عن مبدئه او يرتد الى غير قصدا

وتمتد به السفارة السياسية الى آفاق البلاد الغربية ويفضي به الراي هنالك ان يتمكن من تعرف سياسات الدول الاوربية . وما هي قائمة عليه من احتمالات التاويل لصور تطبيقها في البلاد الشرقية وما يرتبط بكل صورة . صورة من العواقب العاجلة والآجلة . فلا يلبث ان يكون مشايخا بالقول والعمل لكل ما لا ينتظر وقوع غيره . على ان يكون برا بسفارته على كل حال .

فلامير شكيب ارسلان . شاعر . كاتب . اديب سياسي . له في كل ميدان من هذا الميادين البعيدة المجال فنه الخاص به المميز بطرازا . المطبوع بطابعه المفارق . وانه كذلك بارز الشخصية في اكثر هذه الميادين . ذلك لان الحماسة الطاغية التي كانت في اعماق نفسه المتيقظة مصدر الجاذبية القوية التي تدفعه دفعا عارما الى هذا الميدان او ذاك . فيبذل فيه عن سخاء نشاطه . ويستخدم فيه عن اقتدار جهوده قد كانت حماسة فذلا . نادرا المثيل .

ومع اعتبارنا لهذا الجانب يسهل علينا ان نفهم الى اي حد كانت سجايا الامير شكيب ارسلان وكفاءاته ومواهبه مهيأة للعمل في كل تلك الميادين اذ كانت تلك الحماسة تملأ قلبه بفيض عتي قوي من الشعور بالقدرة التامة . ومن كان كذلك فليس يعوقه شيء عن بلوغ اشرف احوال التجويد . او يقصر به شيء دون السمو الى مراتب الكمال .

البحثري من الشام الى الشام

قلم العلامة البحر الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور المدرس بجامع الزيتونة

ولد ابو عبادة البحتري سنة ٢٠٨ في اشمال الشرقي لبلاد الشام بين مدينة حلب والضفة خرية لنهر الفرات بقريّة من تلك القرى التي كانت تحيط بحلب الشهباء احاطة الانجم الزهر بيدر التمام كما قال الصنوبري

حلب يسار دجى انجمها الزهر قراها

وهي قرية منبج التي كانت مركزا اقلاعيًا لاحد سادات البيت العباسي عبد الملك بن صالح بن علي - فكانت بذلك تمثل حياة نعمة ورفاهية وبذخ تدنو بها من مظاهر الحياة اناعمة المترفة التي كانت تعمر قصور الخلافة ببغداد فكان ذلك كله يلوح بقصور الخلافة في بغداد ويشوق اليها تلويحًا وتشويقًا اخذا بنفس البحتري وجملًا نظره من اول نشأته معلقًا ببغداد وقصورها

ثم تردد بين منبج قريته وحلب قصبة عمله فانبهر سعة المجتمع وقوة الحركة وضخامة العمران وتباين الطبقات واختلاف مظاهر العيش واصناف الناس ففتق بحلب واستوطنها وفتحت على عمرائها بصيرته وانبعثت بجلبتها بقضته النفسية فتوجه نحو المظاهر المختلفة في الوان العيش وضروب البشر يتنقل بينها بملاحظته الدقيقة وحسه المرفه

وحسني به وطيس الغلبان الاجتماعي الذي كان يثز مدينة حلب اذا بسبب ما يلتهب حولها من نيران توقدها مميزات السياسية والاجتماعية وموقعها الجغرافي فقد كانت روح العصية العباسية تتلاطم امواجها من شرقي حلب فتصطرع بامواج العصية الاموية المتكسرة في تراجعها على جبال لبنان وكانت روح الاسلام المتوثبة قد تقبضت تعصية الدولة العباسية بعد ان خلعت عصية الدولة الاموية وتقدمت في اهابها الحديد تقفن فوق سلسلة جبال الاكام لتأخذ بحجرة السلطة البنزنطية افي ما انفكت تراوحها على سهوة السيرة الخالية للطفقة.

كان ذلك في خلافة المعتصم التي تعتبر مبدأ دور قائم بذاته من ادوار التاريخ العباسي هو الدور الذي انحلت فيه العصبة الفارسية التي كانت خلافة العباسيين قائمة عليها واستمرت الدولة قائمة على عصبية مصطنعة في ظل المجد القديم والنصاب المستصحب وامادة المالوفة والمعاني القدسية التي اصطنعها آل العباس للمكهم . وكانت شخصية المعتصم المحبة المائسة للقلوب اعجابا واجلالا قد زادت في تقوية العباد الادبي الروحاني الذي تستند اليه الاريكة العباسية بما حمده المعتصم في وجه الحركات الانقلاية الالحادية الهدامة وما تم له من الانتصارات المينة التي ظهرت حمى دولة الاسلام في وقائع بابل والافشين واضرابها فاشرقت بذلك على المعتصم معاني الثقة القومية في ان ملجأ الدين ومأمن الدولة انما هي في قبة الخلافة العباسية حتى ارتقت حرمة الخلافة الى معنى رمزي قدسي اسمى من معاني السلطة المادية ثم كان ترامي همة المعتصم الى تجديد الحروب الانتشارية للاسلام في بلاد آسيا الصغرى قد مكن له فوق ذلك مظهرا وجعل قلعة حلب اشد رقعة في الارض احساسا برفعة ذلك المقام

فقد كانت حاب دهلين الجواز الى آسيا الصغرى والمعسكر العام لقوات الخلافة الغازية وملتقى الجيوش والامداد ازاحفة على جبال اللكام من ممالك العالم الاسلامي تلمحي دعوة النخوة العربية الصادرة عن المعتصم وتنادي بمجد النبوة المكنون بين برديه وجاءت المواضع التي بلغت فيها سيادة المعتصم وبطلوته اوج الشهرة سنة ٢٢٣ في فتح عمورية وسقوط انقرة

وكان البحري في مقتبل شبابه لما امتاز العالم الاسلامي بنشوة الانتصار في عمورية وكانت حلب هي القلب النابض بتلك البهجة لما اندفع الطائي الاكبر ابوتام يتغنى بالقوافي الخوالد من قصيدته البائية موقعا على اوتار المجد والبطولة والمزة القومية فتجاوبت رفاتها في اطراف دنيا الاسلام والتقت رجعات اصداؤها تهليل رخيمة حول القلعة الشهباء فحركت شاعرية البحري وهزت اريحته

ولقد كان ما يربط البحري بابي تمام من اواصر النسب الطائي والوطنية الشامية والنشئة الشعرية يجعله اقرب الى الشعور بهاتيك المعاني واتم اندماجا في ذلك الامتزاج

الغريب الذي بدا بين فيض الاحساس القومي وبين الالهام الطافح به شعر ابي تمام فاستولد من هذا الاندماج مثله الاعلى وبدا ضميره يهتف بانوار البطولة والمجد المتألقة في نجم الشعر الزاهر في افق النسب الطائلي : ابي تمام فاندفع يسير في غباره واتخذ نسبه الطائلي مطية الى الدنو منه والتحليق في الجو الذي كان مالكا فأنحدر من حلب الى حمص يعيشوا الى قر منير طلوع عليها مشرقا لالاء مجده بامداد البطولة والشهامة والنصر والشجاعة هو القائد العظيم ابو سعيد محمد بن يوسف النعري الطائلي الذي كان ابو تمام يعيش في دائرته ويتغنى بفتوحه ومواقفه وهناك وجد البحثري نفسه محلقا مع ابي تمام في جو واحد بعد ان ارهقه طول التشوف الى ذلك الافق العالي

وكان فخر الطائية وعزها اعظم ما يتجلى في ذلك الافق بكون ابي سعيد : طائلي النسب ، طائلي السؤدد لتخرجه في الغزوات والقيادات تحت حميد الطوسي الطائلي الذي سار بسذكرة من قبل شعر ابي تمام ، طائلي الفخر والشهرة لان مدائح ابي تمام فيه قد نسجت على لمة الاعتزاز بالمجد الطائلي والعصبية له . وتقدم البحثري على مرأى ومسمع من ابي تمام ينشد القائد العظيم قصيدته القافية التي هي اولى مدائحه في العظماء (١)

أأفاق صب من همى فافيقا ام ضان عهدا ام اطاع شفيقا

وسواء احذنا بالرواية التي تفيد ان ابا تمام قد داخلته عوامل الانقباض والحسد من ظهور هذا الطائلي الجديد الذي بدا يلاحقه في ميدان مجده او الروايات الاخرى التي تقول انه قد انشرح له وابتهج به ، فان الروايات متفقة على ان موقف البحثري هذا قد انتهى بان تكدت الصلة بينه وبين ابي تمام حتى تولاه ابو تمام بل تبناه في النسبة الادبية وان القائد ابا سعيد قد جعله في منزلته منه ثانيا ابي تمام وان شعر البحثري من يومئذ سار في افاق السيادة والمجد العالي فاصبحت قصائده مروية ذائعة وصار اسمه علما على النبوغ له طينة في اوساط السيادة المتصلة بمقام الخلافة .

كان ذلك قطعاً قبل سنة ٢٣٦ لانها السنة التي توفي فيها محمد بن يوسف كما اعاده ابن الاثير وشواهد شعر البحثري في مدائحه لمحمد بن يوسف دالة على ان هذا الاتصال كان في خلافة المعتصم اي قبل سنة ٢٢٧

فهذه قصيدته الرائية (١) التي يتوجه بها الى محمد بن يوسف عند وفاة المعتصم معزيا فيه ومهنثا بولاية ابنه هارون الواثق ومنوها بما كان لمحمد بن يوسف من الاثر في تولية الواثق الخلافة

وفيها نلاحظ ان البحثري لم يزل يولي نظره شطر مقام الخلافة ويمد اسبابه لاتطلع الى الخطوة في ذلك المقام بما يتوقع من ذبوع شعره وروايته عند سدة الخلافة يظهر ذلك في هذا الاسلوب الذي قلما رايناه لغيره من الشعراء اسلوب التذرع بمدح عظيم الى مدح من هو اعظم منه واحتمال فرصة التعزية في المفقود للتهجم على امتداح الموجود فهو منذ اثناء خلافة الواثق سنة ٢٢٧ قد بدا يترامى على مدح الخليفة ويمهد السبل لادراكه مباشرة بل ذلك وهر مقيم بالشام وهمنه مترامية الى الاتصال بالعراق وهناك شاهد اخر من شعر البحثري على هذا الفن من المحاولة والترامي هو قصيدته الدالية الشهيرة في مدح محمد بن عبد الملك الزيات الذي كان ركن الخلافة وعماد الدولة في عهد الواثق

بعض هذا انتساب والتقنيد ليس ذم الوفاء بالمحمود (٢)

فايأنا ناطقة بانه وجه بها من الشام الى ابن الزيات ببغداد مراسلة ولم يمتدحه بها شهده عيانا

وانه اجهد نفسه فيها جريا وراء المعنى الذي سعى اليه في تعزية محمد بن يوسف بالمعتصم فقد اصطنع الاسباب ايضا لاثارة ذكر الخليفة الواثق وتمجيده وتمجيد ابن الزيات باخلاصه له وحسن غنائه في خدمته كانه يستدرج ابن الزيات بذلك لان يبلغها الى الخليفة وانه راغب في ربط صلة الصداقة الوثيقة فيما بينه وبين ابن الزيات من طريق التكافؤ الادبي بما احتفل له في تلك القصيدة من اظهار اعجابه بمقام ابن الزيات من الاب والكتابة وما تفنن فيه من تقريره بتلك الابيات العجيبة التي كشفت عن نواحي السمو الفني الذي يمتاز به نثر ابن الزيات وينالقي فيه مع مقاييس الجودة التي طبع عليها شعر البحثري

(البقية على صحيفة ١٨٥)

(١) ص ١٦٩ ج ١ ديوان البحثري ط الجوانب ١٣ (٢) ص ١٩٣ ج ٢ الديوان

ابن تيمية *

(٢)

وكما يقول في كلامه على النصيرية : « ومن المعلوم ان السواحل الشامية انما استولت عليها النصارى من جهتهم وهم دائما مع كل عدو المسلمين . فهم مع النصارى على المسلمين . ومن اعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للساحل وانتهاء النصارى . بل من اعظم اعيادهم اذا استولي والعباد بالله على ثغور المسلمين . ثم ان التتار انما دخلوا ديار الاسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين بمعاونتهم ومؤازرتهم وهم احرص الناس على تسليم الحصون الى عدو المسلمين . وعلى افساد الجند على ولتي الامر واخراجهم عن طاعته . »
ومن اجل ذلك استمات الشيخ في مهاجمتهم . ومعرفة كسروان سنة ٧٠٤ هـ التي هزمهم فيها مشهورة

وكثير من الناس يملكون هذه الظاهرة وغيرها من ظواهر دفاعه بما يضع من قيم المجاهدين فيقولون مثلا : ان ابن تيمية يحب الدين . ويبغض هذه الطوائف . هذا قدر لا ينزع فيه احد . اما سر مشاركته العملية في المقاومة انما هو حبه للظهور . وتعشقه للسيادة . معتمدين في هذا القول بما شهد به زميله الحافظ الذهبي فانه قال بعد كلام : « فما وجدت ما آخره بين اهل مصر والشام حتى مقتله نفوسهم وازدروا به وكذبوه وكفروه الا الكبر والمجب وقرط الفرار في رئاسة المشيخة والازدراء بالكبار فانظر كيف وبال الدعاوي ومحبة الظهور نسأل الله المسامحة »

وهذا في الحقيقة لا يتم ضرورة ان في حياة الشيخ ما ينقضه فقد عرف بما شهد به الشاعر الصوفي ابن الوردي في قصيدة رثاها على الرغم من ان الصوفية كانت من بين ما ناهضه ابن تيمية مناهضة عنيفة شهد بانه زاهد في المناصب التي كان يتكالب عليها الناس في ذلك الزمن في قوله :

• تابع المقال المنشور في الجزء الثاني صفحة ٩٢

ألم يك فيكم رجل رشيد يرى سجن الامام فيستشاط
 امام لا ولاية كان يرجو ولا وقف عليه ولا رباط
 ولا جارك في كسب مال ولم يعهد له بكم اختلاط
 فقيم سجلتموه وغطتموه اما لجزا أذيتيه اشتراط

مع انه كان الى هذا شديد المواقف حتى مع الملوك الذين يطمع منهم بالوظائف والسيادة . وانما كل ما في الامر ان الرجل متى عرف مهمته وشعر بمسؤوليته لا يستطيع بحال ان يكتف حقا او نصحا . ثم يجاري مناسبة او إشخاصا . وقيام في مثل هذه المشادة الزيفة ليس اللائق به ان يعمل هذا التعليل اذا كان فينا فضل من انصاف او حسن نية على كل حال

ثم على فرض تسليمنا لهذا القول افلم يكن لابن تيمية الحق في ان يستبد بمشيخة الاسلام وهو الرجل الكفء المشهود له بالنبوغ والمقدرة حتى عند الاعداء في قرارات نفوسهم . في عصر قل فيه الاكفاء واشتبهت فيه وظائف الاسلام الكبرى بوظائف الكتبة في دواوين الانشاء او دكا كين الوراقة ؟

نهايته في هذا الطور

على ان ابن تيمية لم يكن ليخرج من كل هذه الحوادث سالماً موفوراً خصوصاً اذا علمنا ان دعاة هذه الطوائف لهم مكاتهم عند الملوك والامراء فقد اصابه منهم مكر ومحنة . من مسألته الحموية التي كتبها وهو سجين سنة ٦٩٨ هـ . وهي جواب على سؤال موجه اليه من حماة . في توضيح عقائد السلف في صفات الله . وسعوا به لدى الملوك ليسجنوه . فكان ان عقد له سنة ٧٠٥ مناظرة بمحضر نائب السلطنة الافرم كمبرر لسجنه فيما اذا اخفق ولكنه ظهر على مخالفته وسد عليهم الطريق قبل الوصول . فتابعوه بالسعاية الى ان تمكنوا من سجنه في الحب بقلمة الجبل سنة ونصفا وكان يصحبه في السجن اخوام زين الدين وشرف الدين

الطور الثاني منه سنة ٧٠٥ هـ الى سنة ٧١٢ هـ .

كل هذا الذي جرى عليه وهو في انشام بين صحاب واقرباء . فما الذي يكون من تقي الدين بعد هذه المعارضة وهو الدؤوب على احياء عقيدة ؟
ان عملا من اعمال المصلحين لم يكن له اثره في الملا الذي يحاول اصلاحه
عمل لا يجدي الاستمرار عليه بالروح التي ابتدئ بها كالا يحسن الانصراف
منه تباعا . وانما يجب التبدل من اساليبه نوعا ما . او محاولته في بلد غير
البلد الاول . ونحن راينا ما جرته هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة
للاسلام من عزة وظهور .

ومن اجل ذلك ارتحل الشيخ تقي الدين الى القاهرة عامه يجد فيها الفاهمين
لدين الصحيح والمتمسكين به لمتساعد بهم على تنفيذ مهمة التي هي : تبديد سحب
الصلاات التي تاتيها تلك الطوائف المستفحل امرها . وقطع خرافات العقائد
الواهية من اصولها . والسهر على انجاب شباب صالح مفيد .

ففضى فيها كل مدته ينشر العلوم وينير الازهان ولكن رقام العالم الاسلامي
في ذلك الطور تكاد تكون مطبوعة بطابع واحد بحيث ان معرفتك لعادات وعقائد
بلد تغنيك عن معرفة عادات وعقائد سائر البلدان . ولهذا لم تكن اقامة الشيخ
بالقاهرة باروح من اقامته في دمشق . فقد عورض واصابه من التكيل الشيء
الكثير وادع الى السجون . ولعل اغاب مدته بمصر قضاها بين الاسوار والسدود

الطور الثالث والاخير منه سنة ٧١٢ هـ الى سنة ٧٢٨ هـ .

وهنا وقد دب الى عظمه الوهن وعرف الانفسح في مكانه لم يبق
له الا ان ينتظر فرصة العودة الى الشام .

وفي عام ٧١٢ كان الجيش المنصور متوجها من مصر الى العراق فصحبه
الشيخ . وطاف معه بلادا واسعة زار خلالها بيت المقدس ثم رجع بعد الى
دمشق ولازمها للافتاء والتصنيف ونشر العلوم وقد صفا له فيها العيش زمنا الى
ان افنى في الحلف بالطلاق . واصل هذه الفتوى . ما كان يعتقد ابن تيمية

من ان الممالك يتخذون الطلاق طريقا الى الزنا : وبيان ذلك ان الرجل متى حلف بطلاق زوجته فقال مثلا الحرام يلزمني لا افعل كذا وجب ان تطلق عليه طلاقا باثنا حتى لا يملك ارجاعها اذا اراد فتضطر المرأة حينئذ وقد اصبحت مزهودا في التزوج بها ان تاكل من ثدييها وتلك بغية الفسقة من ذوى الاكياس . وبناءً على ذلك التفت الشيخ الى هذه الهنة الاجتماعية الكبرى واصدر فتوا بالغاء الحلف بالطلاق رجاء ان يخلق بابا عن الفجور يكون شرا علي الاسلام لو بقي مفتوحا ولا محاولة في اغلاقه

فقام في وجهه ~~كثير~~ من السوقة والمضللين وأوسعوه اذابة فاشار عليه بعض الفضاة ان يمسك عن الافشاء بها اشفافا على كرامته . فانتهى عنها مدة وقد ورد كتاب من السلطان يقضي بمنع الفتوى بها . ولكنه لم يكن ايرتاح ضميره على هذا الصمت الذي يعتقد انه عائد على البلاد بالشر فعاد الى الافشاء بها قائلا كلمته الماثورة : « لا يسعني كتاب العلم » .

ولم يمض وقت طويل حتى زج به في قلعة دمشق خمسة اشهر ونهاية عشر يوما . ولما اتمها خرج كأبه لم يصبه شيء الى التعليم ونفع الناس حتى عثر اعداؤه على جواب يتعلق بمسألة شد الرجال الى قبور الانبياء التي كان قد اجاب بها منذ نحو من عشرين سنة خلت . فسعوا به الى المحاكم وهو ابن الامر حتى ورد كتاب من السلطان في شعبان سنة ٦٢٦ يامر بحجسه في القاعة

سجنه الاخير

فالقى به في القاعة ومعه اخوه يخدمه فانقطع الى التلاوة والعبادة والتأليف وجمع عاشر للرد على مخالفيه . وقد ~~كتب~~ في المسألة التي سجن من اجلها عدة مجلدات قدر لها ان تشق الجدران الى الملا فكان لها خطر دفع اركان الدولة الى منه من الكتابة واخلاء القلعة من جميع مرافقها . وكان الشيخ لا يصبر عن الكتابة يوما فكتب على جدار بالفحم ما يؤدي : « ان ابعاد وسائل الكتابة عنه لمن اعظم النقم » . حسن المذاوي

الفتاوى والامام

هل اولاد الشريفة يكونون اشرافا

نص السؤال : هل اولاد الشريفة يكونون اشرافا تبعاً لامهم ويستحقون ما تستحقه الاشراف من الاوقاف عليهم ام لا ؟

اجاب عنه الولي الشيخ محمد بيرم الثاني شيخ الاسلام في عصره رضي الله عنه بما نصه :

في بحث اشارة النص ان للام في قوله تعالى : « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » للاختصاص ولا يصير الولد مخصوصاً من حبت الملك بالاجماع فدل على اختصاص الاب بالنسبة اليه حتى لو كان الاب قرشياً والام عجمية بعد الولد قرشياً هكذا قرره عبد اللطيف الرومي في شرح المنار وغيره ومقتضاه ان الاولاد المذكورين ليسوا بشرفاء فلا يدخلون في الاوقاف على الاشراف .

لكن رايت بخط موقوف به في بعض حواشي نسخ مجمع الفتاوى ما صورته :

سمعت استاذي شمس الائمة الكردي قال وعمو سيد واستدل بان الله تعالى جعل عيسى عليه الصلاة والسلام من اولاد اسحاق عليه الصلاة والسلام وبالأول أفقي شيخنا الشيخ زين ابن نجيم الحنفي المصري وهو مذكور في فتاواه كتبه محمد بن عبد الله بن احمد الحنفي من فتاوى الغزي لصاحب تنوير الابصار في آخر كتاب الكراهية .

وفي جواب آخر منقول من الكتاب المذكور عن السؤال المسطور في
مد ان اجاب بانه ليس بشريف قال :

واما وضع العلامة الخضراء براسه فلا مانع من ذلك لان له نسب شريف بالنسبة الى غيره اهـ .

« تمة مقال البحري »

واقدر ظل هذا الاتصال المباشر بمقام الخلافة وعلاقة المودة مع مقام الوزارة حلما للبحري لم يتم له تحقيقه في خلافة الوائقي ووزارة ابن عبد الملك الزيات وقد ذكر ابن خلدكان (١) ان البحري لم يدخل العراق ويستدئ مدح الحلفاء الا في خلافة المتوكل وكانت من سنة ٢٣٢ الى سنة ٢٤٧

واذا اردنا ان نحقق بالضبط الزمن الذي دخل فيه البحري العراق فاننا واجدون من شواهد شعره ما يعين على ذلك . فمن جهة نجد :

(١) كثرة مدائحه في المتوكل دالة على طول مدة اتصاله به وذلك يقتضي ان هذا الاتصال كان في السنين الاولى من خلافته

(٢) تهنئته اياه ببناء قصور المتوكلية الجعفري والصبيح (٢) وذلك يقتضي ان اتصاله بالمتوكل قبل سنة ٢٤٠ التي هي سنة بناء المتوكلية .

(٣) تهنئة المتوكل بسفرته الى دمشق (٣) وذلك يقتضي ان اتصاله به كان من قبل سنة ٢٤٣ وهي سنة تلك الرحلة .

(٤) تهنئته ببلوغ المعز (٤) ولده وهي تقتضي انه كان في دائرة المتوكل قبل سنة ٢٤٠ وهي التي احتفل فيها بادراك المعز

(٥) تهنئته بعقد البيعة لاولاده الثلاثة (٥) يقتضي انه كان متصلا به سنة ٢٣٥ وهي السنة التي كان عقد تلك البيعة في اخرها

ومن جهة اخرى نجد :

بعض مدائحه في الفتح بن خاقان وزير المتوكل واقائم بامر دولته تدل على انها كانت عن مراسلة لا على انها عن مشاهدة وذلك كما كانت مدحته لابن عبد الملك الزيات ففبيء اخر قصيدته في مدح الفتح التي مطلعها (٦) :

خيال لم او حبيب مسلم وبرق تجلي او حريق مضم
يقول مسترفدا

الميك القوافي نازعات قواصدا	يسير ضاحي وشيها وينغم
ضوامن للحاجات اما شوافعا	مشقة او حاككات تحكم
وكائن غدت لي وهي شعر مسير	وراحت علي وهي مال مقسم

وفي الاخرى التي مطلعها (٧)

(١) وفيات الاعيان ص ٢٣١ ج ٢ ط بولاق ١٢٩٩ (٢) ص ٣٨ ج ١ ديوان جوائب (٣) ص ٣٧ ج ٢ ديوان جوائب (٤) ص ٢٧ ج ١ ديوان جوائب (٥) ص ٧ ج ١ ديوان جوائب (٦) ص ٦٠ ج ١ ديوان جوائب (٧) ص ٥٦ ج ١ ديوان جوائب

سقيت الغواذي من طولول واربع وحيت من دار لاسماء باقع
يقول شا كرا نعمته عليه معلنا بقرب ارتحال الية

سيحمل همي عن قريب وهمتي قري كل ذيل جلال جلنفع
بناهن اجواز الفيا في بارجل عجال الى طي الفيا في واذرع
متى تبلغ الفتاح ابن خاقان لا تنخ بضك ولا تفزع الى غير مفزع
.....

لك الحيراني لاحق بك فارتد علي واني قائل لك فاسمع
مكاني من نعمك غير مؤخر وحظي من جدواك غير مضيع
وفي قصيدته التي يذكر فيها وصوله ودخوله على الفتاح ابن خاقان يذكر سابق
انعامه عليه قبل اللقاء ثم ادناؤه منزله منه بعد فيقول (٢)

بداني بمعروف هو الغيث في التري توالي ندام والشارت خائله
امنت به الدهر الذي كنت اتقي ونلت به القدر الذي كنت امله
ولما حضرنا سدة الاذن احرت رجال عن الباب الذي انا داخله
ففضيت من قرب الى ذي مهابة اقابل بدر الافق حين اقبله
.....

فسلمت واعناقك جذاني رهبة تنازعني القول الذي انا قائله
فهذه شواهد على انه اتصل بالفتح ابن خاقان مراسلا ثم قصده عيانا والحال ان
الفتح لم تعظم منزلته ويشتهر ذكره ويقصد فضله الا في خلافة المتوكل .
فنحن حينئذ بين ادلة تثبت ان دخوله بغداد في اول خلافة المتوكل وادلة اخرى
تثبت وجود فترة تراخ بين ولاية المتوكل ودخول البحثري بغداد هي الفترة التي كان
البحثري فيها خاطب لمودة الفتاح بن خاقان حتى ظفر بها فدخل بغداد في ظلها .
ومن الجمع بين هذين الدليلين نستطيع ان نقدر ان انقطاع البحثري عن الشام الى العراق
انما كان بعد سنة ٢٣٦ وقبل سنة ٢٣٦ فاذا قدرنا ان فترة التراخي قد كانت فيها قصائد البحثري
للفتاح بن خاقان عديدة مع التزامنا انسه في اخر سنة ٢٣٥ كان في بغداد يمدح المتوكل تعين
ان نقدر لتلك الفترة سنتين على الاقل فنفرض انه دخل بغداد في سنة ٢٣٤ او اوائل سنة ٢٣٥
وقد تقلبت به في العراق اطوار كانت تابعة لتقلبات الوسط السياسي الذي حل فيه
فعرف اوج الاقبال والسعادة في عهد المتوكل بما استوثق من صلاته به وبوزيره
الفتح بن خاقان حتى اصبح لهما صديقا ونديما وسلا بغبطة العيش التي وجدها في حياهما
وطنه الشامي وعهود انسه الغرامي كما قال (٢)

جفوت الشام مرتبعي وانسي وعلوة خلتي وهوي فـؤادي
ومثل نساك اذهلني حبيبي واكسبني سلوا عن بلادتي

تم كانت الواقعة الشيعة في اغتيال المتوكل والفتح معا في مجلس واحد كان
البحثري ثالثهما فيه ففتح عليه بذلك باب من الحنة عظيم وتعرض الى نقمة الخليفة الجديد
المنتصر وتزت به عواطفه نزوة جاححة تهجم بها على هجاء الخليفة واظهار بغضه اياه (١)
ثم استشرش تلك النزوة واشفق منها على نفسه فتوارى تحت اجنحة رجال من الكتاب
والامراء والوزراء كان مظهرا الغنى عنهم في عهد حظوته لدى المتوكل حتى استدرج
نفسه الى مدح المنتصر واستجدائه فاصبح تابعا حقيرا وشاعرا ضئيلا يتراعى على ابواب
الحلافة بعد ان كان من صاحبها بمقام الحن والنديم

ووجه اماله في تجديد مكانته الى ولي العهد محمد المعتز بالله وقد كان من المنتسبين
اليه العاملين على خدمته في عهد والده المتوكل فاذا المعتز نفسه يدخل ظلمة الحن اذ عزله
المنتصر عن ولاية العهد وحبسه واسند ولاية العهد الى المستعين احمد بن المعتصم .

فزاد ذلك في مرارة الحنية وقسوة الحرمان والاهمال الذين لقيهما البحثري واندفع
بهذا الشعور البائس الى الاستهتار في معاقرة الخمر .

وولي المستعين الخلافة فدحه كذلك مستجديا متراميا غير منظور اليه والشعور بالحنية
والوحشة يتقدم في نفسه يوما فيوما حتى نسخ البهجة التي كانت تملأ نفسه فسلطها عن الشام
وعن غرامه فيها بعلوة فساد في شعره ذكر الاحتياج والتصریح بالجري وراء الرزق .

فاضطربت بغداد بثورة المعتز على المستعين وتقسمتها الشيعة فندفع به حنينه الى
عهد المتوكل الى الانضمام الى شيعه ابنه المعتز فاعلن بمدائحه وهجاء المستعين وقد سئم هذه
الحياة البغدادية التي ملئت فتنا واكدارا

فبدا مع ما بلغ بولاية المعتز من امل ان يتغنى بذكر الشام ويراجع في نفسه عهود
محبه اعلوه وحنينه اليها بعد ان ظهر ذلك في شعره اكثر مدة مقامه في بغداد

ففي تشبيب قصيدته التي يذكر فيها استيلاء الامر للمعتز يقول (٢) :

خيال يـهـ تـرـيـني في المنـام لسـكـرى اللاحـظ فاتـنة القوام
العلوة ايها شجن انفسى وبلبال لقلبي المستهام

.....

التخذ العراق هوى ودارا ومن اهواء في ارض الشام
فلولا غرة الملك المرجى لآثرت المسير على المقام

ثم يخرج من هذا التردد الى العزم على العودة الى الشام ويصدع بذلك في مدحه

(١) قصيدة في المتوكل ص ٢٧ ج ١ ديوان جوائب (٢) ص ١٤٥ ج ٢ ديوان حوائب

المعترف فيه فيستأذنه في الرحيل (١)

هل اطلعن على الشام مبجلا في عز دولتك الجديد المونق
وذلك انهي البحثري طور حياته البغدادية ورجع الى الشام اول علاقة المعترف
في سنة ٢٥٢ فكان انقطاعه عن الشام سبعة عشر عاما
وقد تأثرت نفسيته وشاعريته في طوره اشامي الجديد بما اوقرتة اطوار حياته
البغدادية من احوال السنن والكوارث وعبر القلب بين الجدة والفقر وظلمة النفس بتوالي
الرايا وانعكاس الآمال وحزازات الحرمان وتضعف القوى النفسية بما طغى عليه من
مزيئات الاعواء وموبقات الانحلال الخلقي والمخطاط القوى البدنية بعوامل الاكذاء
والانفعال وغلبة السنن وعواقب الاستهتار في الحر وطالت حياته بالشام اكثر من ثلاثين
سنة بعد عودته من العراق اذا كانت وفاته سنة ٢٨٥

فاصبحت نظراته الى الحياة نظرة المتعب السخر المتعالي المتدبر بها في ظواهر الحياة
المختلفة من الزيف وما في باطنها المتعمد من الحق الخالد فارسل الحكم في مداخله وطارح
احبابه الشكوى في مراسلاته وسعى بشعره في تسيير حاجاته المادية متسخطا بالفقر متبرما
بالهرم وقد جعل نجوى فؤاده ومثار اشجائه ذكريات الايام التي ازدهرت بها حياته في
الاتصال بالفتح والمتوكل وكلما فارق خوله وحاجته الى احقر اولي الامر بمقام رفعة وغبطة
وغناه عن الناس حسن الى ايامه الخوالي فاشتاقها شاكيا واستعرضها باكيا وما انعاق بالذي
كان ثالث الرجلين الذين خدمتهما الملوك وتقرب اليهما العظماء باماني الخدمة حين يتقدم
الى عالم منبج يتملقه في اسقاط مال التقيسيط او يستعطفه في اسعاف او ارفاق ان يرضخ
الى الواقع المفروض ويعتبر في اختلافه حاله فيقول

قنعت على كره وطاطات ناظري	الى رنق مطروق من العيش حشرج
ولجلجلت في قولي وكنت متى اقل	بمسمعة في مجمع لا الجلعج
يظن العدا اني فريت وانما	هي السنن في برد من الشيب منهج
نظوت الصبا نضو الرداء وساءتي	مضي اثني انس متى يمض لا يجي
... مضي جمفر والفتح بين مرمل	وبين صبيغ في الدماء مضرع
المطلب انصارا على الدهر بعد ما	ثوى منهما في الترب اوسي وخزرجي
اولئك ساداتي الذين براهم	حلت افريق الربيع انشجع
مضوا اما قصدا وخلفت بعدهم	اخاطب بالتامير والي منج

هذا البحث هو خلاصة محاضرة من المحاضرات العشرين التي القاها محمد الفاضل
في العام الدراسي الماضي في حياة البحثري وشعره على طلبة السنة النهائية من شعبة
الاداب بالجامعة الزيتونية وهي ملخصة بقلم تلميذه ومدونه الشيخ محمد عمر آل عساكر الجزائري

المجلة الزيتونية

المدير

محمد الشاذلي بن القاوي

المدرس من الطبقة الاولى بجامعة الزيتونية

رئيس التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

الادارة نهج ابن محمود رقم ٦ بتونس تليفون ٤٦ - ٢٩

قائمة الاشتراك عمه سنة الف الفرك بنعمم الربع لتضمنه المعاهد العلمية

نعم الجزء : مائتا فرك



تونس في

١٣١٢ - ١٩٥٣